الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية.

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة يحيى فارس – المدّية.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم العلوم الإنسانية.

شبعة التّاريخ.

الإصلاح في المغرب الأوسط
القرن (2 هـ –4 هـ)

أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه (L.M.D) الطّور الثّالث في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالب:

- بوعلام علوان.

إشراف:

– أ. د/ موسى هيصام.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة	المؤسسة الأصلية
العربي بوبكر	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة المدية
موسى هيصام	أستاذالتعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة المدية
حمزة حاجي	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة المدية
أمين كرطالي	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة المدية
مصطفى داودي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعةالجلفة
مصطفى باديس أوكيل	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة البويرة

السّنة الجامعية: 2024/2023.

الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية.

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة يحيى فارس – المدّية.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم العلوم الإنسانية.

شبعة التّاريخ.

الإصلاح في المغرب الأوسط
القرن (2 هـ – 6 هـ)

أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه (L.M.D) الطّور الثّالث في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالب:

- بوعلام علوان.

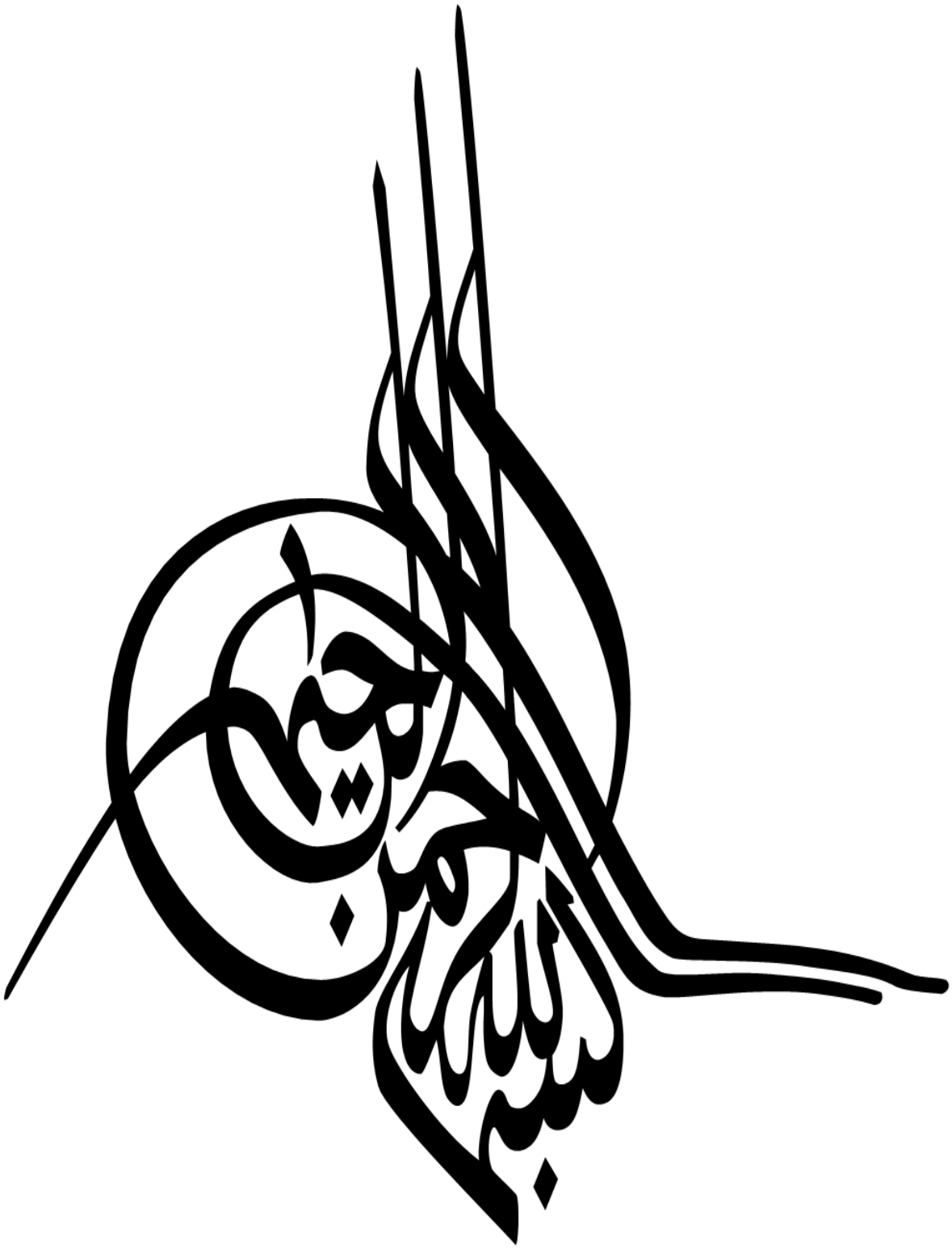
إشراف:

– أ. د/ موسى هيصام.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرّتبة	الصّفة	المؤسسة الأصلية
العربي بوبكر	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة المدية
موسى هيصام	أستاذالتعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة المدية
حمزة حاجي	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة المدية
أمين كرطالي	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة المدية
مصطفى داودي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعةالجلفة
مصطفى باديس أوكيل	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة البويرة

السّنة الجامعية: 2024/2023.


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى:

- إلى عطر الخلود و أجمل ما في الوجود..أمّي العزيزة الغالية.

-إلى روح والدي رحمه الله تعالى.

- إلى روح أستاذي المغفور له بإذن الله، الدّكتور نور الدّين ميهوبي.

- إلى جميع أفراد عائلتي الكريمة.

- إلى جميع من علّمني حرفا طيلة مساري الدّراسي.

- إلى جميع أصدقاء الدّراسة لكلّ الأطوار.

شكر وعرفان.

الحمد لله وحده.

أتقدّم بشكري الخالص إلى أستاذي المشرف:موسى هيصام الّذي أنار دربي بتوجيهاته ونصائحه في سبيل إتمام هذا العمل على أحسن وجه.

كما أتقدّم بجزيل الشّكر إلى جميع أساتذتي الكرام بجامعة يحيى فارس بالمدّية.

والشّكر موصول أيضا إلى أساتذتي بجامعة أكلي محند ولحاج بالبويرة.

قائمة الرّموز و المختصرات.

ص	: صفحة.
ج	: حزء.
هـ	: هجري.
م	: ميلادي.
ط	: طبعة .
ت	: متوفي .
تح	: تحقيق .
تص	: تصحيح .
تع	: تعليق .
تر	: ترجمة .
د.ط	: دون طبعة .
د.ب.ن	: دون بلد النّشر .
د.ت.ن	: دون تاريخ النّشر
VOL:	VOLUME
P:	PAGE

المقدّمة

مقدّمة:

رافق عملية القتح الإسلامي لبلاد المغرب موجة من الإصلاحات، تبنّاها من كانت لهم رؤية إصلاحية من فاتحين و ولاّة وعلماء وحكّام...فؤلاء جميعا كانوا ينشدون الإصلاح بطريقتهم الخاصّة، وفق مارأوه نافعا ومفيدا يخدم مصالح الدوّلة والمجتمع، ضمن توجههم السّياسي والمذهبي، ووفق ما كانت تمليه الظّروف الأمنية السائدة أنذاك..

هذه الإصلاحات الّتي عدّت تغييراً جذريّا في تاريخ المجتمع البربري، حيث مسّت مختلف المجالات، السّياسية والفكرية والثّقافية والمعمارية والاقتصادية والاجتماعية..

كان نتيجتها، بناء حضارة مازالت بعض آثارها شاهدة على عظمتها إلى يومنا هذا.

ومن العوامل الّتي ساعدت هؤلاء المصلحين في تجسيدها على أرض الواقع، هو استيعابهم لحقيقة دينهم، وكذا جمعهم بين العلم والإيمان، والرّوح والمادّة وعمارة الدّنيا.

إضافة إلى الرّخاء الاقتصادي الّذي بفضله بلغت الحضارة والعلوم والفنون ذروتها، عبّرت من خلالها عن مدى النّضج الّذي وصل إليه مجتمع المغرب الأوسط، بفعل الاندماج الّذي حصل بين المسلمين الفاتحين والبربر أهل البلاد.

ومن خلال ذلك كلّه جاءت أطروحتنا موسومة بعنوان : الإصلاح في المغرب الأوسط (ق2هـ-ق4هـ) .

الإشكالية :

للخوض في دراسة هذا الموضوع، استوجب منّي طرح الإشكالية التّالية:

- ما أهمّ المجالات الّتي شملها الإصلاح بالمغرب الأوسط ، في الفترة الممتدّة من القرن الثّاني للهجرة إلى القرن السّادس الهجري ؟

وللتّفصيل في ذلك، يمكننا طرح بعض التّساؤلات الّتي تضمّنتها فصول ومباحث الأطروحة وهي كالأتي :

– ما دور الحكّام والعلماء والمصلحين في هذا المجال ؟

– وما العوامل المساعدة على انتشار المدّ الإصلاحي بالمغرب الأوسط خاصّة والمغرب الإسلامي عامّة؟

– هل كان الهدف من هذه الإصلاحات هو تغيير الأوضاع المتدهورة، وإزالة الفساد المتفشّي ببلاد المغرب الأوسط؟ أم لها أبعاد مذهبية وأخرى سياسية ؟ أم كلاهما معا؟

– ما أثر الإصلاح على دول ومجتمع المغرب الأوسط؟

– هل حقّقت هذه الإصلاحات الأهداف المرجوّة منها؟

أهمية الموضوع:

يكتسي موضوع دراستنا أهميّة بالغة، وقد أردت من خلاله معالجة موضوع الإصلاح بالمغرب الأوسط في خضم التّحوّلات السّياسية والمذهبية الّتي شهدتها المنطقة من القرن (2هـ–4هـ) ، أي من منذ انقسام بلاد المغرب إلى دويلات مستقلّة عن مركز الخلافة وإلى غاية اضمحلال وسقوط الدّولة الصنهاجية، بسبب الغزو الهلالي للمنطقة وظهور قوى أخرى جديدة على الأرض، تمثّلت أساسا في المرابطين والنّورمان والموحّدين.

إنّ عملية الإصلاح الّتي اتّبعها قادة هذه الدّول، بدءًا بالرّستميين وانتهاء بالصنهاجيين ، كانت وفق ما رآه هؤلاء القادة حلاً لبعض المشاكل والعقبات الّتي كانت تحول دون تحقيق هدفهم السّياسي المسطّر من جهة، أو وفق ما تمليه تعاليم ومبادئ المذهب الذي قامت على أساسه البعض من تلك الدّول من جهة أخرى.

ومن حكمة الله تعالى في الكون، أنّ المصلحين لا يخلو منهم عصر ولا مصر، فقد كان لهؤلاء المصلحين من علماء وفقهاء اليدّ الطّولى في هذه الإصلاحات.

ولمّا كانت قيمة هؤلاء المصلحين بهذه الدّرجة من الأهميّة، فإنّ مسؤوليتهم عدتّ أيضا مضاعفة، فمن واجبهم إصلاح الرّاعي والرّعية، وإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، لأنّ مبدأهم

في ذلك ، كان الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فالمطلوب منهم توجيه المجتمع وإرشاد الحكّام لخدمة الدّين والدّنيا، لأنّهم يدركون أسباب الدّاء ويعرفون وصف الدّواء..

كان الكثير من هؤلاء المصلحين يلاقي من العناء ما لا يتحمّله إلاّ أولي العزم، بسبب مواقفهم وثباتهم على ما كانوا يرونه حقا ،فمنهم من نادى بالسّير بالعدل في الرّعية، كما طالب بعضهم بإصلاح بعض المجالات الحيوية كالإقتصاد والقضاء والإدارة.. ومنهم من ذهب إلى حدّ المطالبة بتغيّير بطانة الحاكم ومعاقبة المفسدين من عمّال و ولّاة...

دواعي اختيار الموضوع:

من المعلوم أنّ بلاد المغرب الإسلامي كانت تعاني مأزقاً حضاريا قبل الفتح الإسلامي، بسبب التّراكمات التي خلّفها الغزاة البيزنطيون، الأمر الّذي فرض على الفاتحين المسلمين تحدّيا كبيرا، تعلّق الأمر بكيفية إخراج وتخليص هذه المنطقة من ظلمات الجهل ومخالب الوثنية، وإدخالها في مضمار النّور والحضارة الإسلامية.

لقد اختلفت الطّرق المتّبعة في عملية الإصلاح من فترة إلى أخرى، وذلك حسب ما أملته الضّرورة السّياسية والمذهبية لكلّ دولة، وكذلك حسب حجم الضّرر الّذي سبّبه الفساد، الأمر الّذي استوجب إزالته من السّاحة السّياسية والاجتماعية..

كان من دواعي اختياري لموضوع الإصلاح في المغرب الأوسط ، أنّه لم يحظ الكثير باهتمام الدّارسين والباحثين، إذ أنّ اهتمام الكثير منهم كان خاصّا بالشّأن السّياسي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة.. كما يعدّ الموضوع في حدّ ذاته حديثا في فكرته وجديدا في إضافاته، فهذا الإصلاح الّذي أتى على جوانب عديدة من حياة الإنسان المغربي، يعتبر من أبرز العوامل الّتي غيّرت وجه البلاد وساهمت في رقيّ وتحضّر المنطقة، إضافة إلى دواع أخرى ذاتية دفعتني للخوض في هذا موضوع ، منها شغفي الكبير بتاريخ المغرب الأوسط و حضارته .

كما أردت تسليط الضّوء على الّدور الإصلاحي للبربر المسلمين في تاريخ المغرب الإسلامي، إضافة إلى معرفة الأثر الذي تركه الإصلاح في مجتمع المغرب الأوسط خاصّة والمغرب الإسلامي عامّة، وقد كانت رغبتي شديدة في أن أترك بصمتي في مجال البحث التّاريخي الأكاديمي.

مناهج البحث:

اعتمدت في إعداد موضوع هذه الأطروحة، على المنهج التّاريخي الذي يعتني بجمع المعلومات التّاريخية وانتقائها ثم تحليلها ومناقشتها ومقارنتها، كما اعتمدت أيضا على المنهج المقارن، الذي يتناسب ويتماشى مع موضوع بحثي كونه بحثا استنتاجيا، يعتمد في بعض الأحيان على دراسة الأحداث وتحليلها ،ثم إدراجها في قالب إصلاحي.

عرض الموضوع:

أملت عليّ دراسة موضوع الإصلاح بالمغرب الأوسط، من القرن الثّاني الهجري إلى القرن السّادس للهجرة، تقسيمه إلى مدخل وأربعة فصول رئيسية.

أمّا المدخل، فكان بمثابة تعريف عام لموضوع الدّراسة، تطرّقت فيه إلى تعريف الإصلاح لغة واصطلاحاً، مع تناولي لأوجه الإصلاح في القرآن الكريم، ثمّ عرّجت بعد ذلك على جغرافية بلاد المغرب، من خلال عرضي لعنوان جدلية الموقع والتّسمية.

وقد خصّصت الفصل الأوّل، الّذي حمل عنوان: الجهود الإصلاحية للفاتحين و الولاّة ، متّبعا في ذلك، طريقة التّسلسل الكرونولوجي لفترات حكم أهم الشّخصيات، الّتي كان لها باعا في ميدان الإصلاح.

وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين، فالأوّل خصّصته لإصلاحات الفاتحين، بدءا بعقبة بن نافع الفهري وتأسيسه لقاعدة القيروان، والّتي كانت محطّة لانطلاق عمليات الفتح ونشر الدّين الإسلامي، مع تجسيد السّياسة الإصلاحية بالمنطقة، مرورا بأبى المهاجر دينار، الّذي غيّر من سياسته اتّجاه البربر، حيث عمل على كسب قلوبهم

وتقريب سادتهم.. ثمّ جاءت فترة حكم حسّان بن النّعمان، الّذي أظهر إصلاحا حقيقيا بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، حيث كان أثر عمله واضحا على جلّ المجالات.

وأخيرا جاء دور موسى بن نصير، فنال شرف إكمال عملية الفتح ببلاد المغرب ونشر الدّين الإسلامي بأرجائه، وتغيير الأوضاع بهذه الرّقعة ، بل زاد على ذلك، أن تمكّن من إيصال تعاليم الدّين الإسلامي السّمح إلى الأندلس وبعض أراضي أوروبا المسيحية، وهو ما لم ينل شرفه أحد من قبل، وبه تكتمل فترة حكم الفاتحين، لتبدأ حقبة جديدة تمثّلت في فترة الولاّة بفرعيها الأموي والعبّاسي.

هذه الحقبة بدأت بفترة حكم محمّد بن يزيد القرشي ومن بعده إسماعيل بن أبى المهاجر، مرورا بعهد حنظلة بن صفوان ومن جاء بعده، كما أبرزت دور الإصلاح في عهد كلٍّ من عبد الرحمن بن حبيب ويزيد بن حاتم بن قبيصة، هؤلاء الولاّة الذين بذلوا ما في وسعهم، من أجل إتمام المشاريع الإصلاحية، التي بادر بها من سبقهم في الحكم.

أمّا الفصل الثّاني فكان بعنوان: السّياسة الإصلاحية في الدّولة الرّستمية وأثرها باعتبارها أوّل دولة مستقلة مثّلت المغرب الأوسط، وأوضحت فيه أهمّ أعمال وجهود الأئمّة الإصلاحية، بدءا بالمؤسس الأوّل للدّولة الرّستمية عبد الرحمن بن رستم و انتهاء عند أبي اليقضان بن أفلح بن عبد الوهاب، الذي يعدّ من أهم الأئمّة الرّستميين الذين أظهروا دوراً إصلاحيا بارزا، واهتماما بالغا بتنظيم شؤون دولتهم ، ومن بعده أخذت الدّولة طريق التّراجع والانحدار إلى أن قضى عليها الفاطميون.

أمّا الفصل الثّالث، فعنونته ب: ميادين الإصلاح في الدّولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي، وفيه وعرضت أهم الميادين الّتي مسّها الإصلاح على أيدي الأئمّة الفاطميين ، منذ عهد الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي الّذي بادر بإصلاح الأوضاع ، و من بعده عبيد الله المهدي المؤسّس الحقيقي للدّولة، حيث عمل على إيجاد فرص إصلاحية في البلاد هو ومن خلفه في الحكم إلى غاية فترة المعزّ لدين الله الفاطمي، كما عرضت أيضا مظاهر الإصلاح عند المعارضة، والّتي عدّت بدورها إصلاحا من نوع آخر.

أمّا الفصل الرّابع فأخذ عنوان: مجالات الإصلاح عند الصّنهاجيين، واشتمل على مبحثين، فالأوّل خصّصته لميادين الإصلاح عند الزّيريين، وقد مسّ الميدان السّياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي والثّقافي والعمراني.. أمّا المبحث الثّاني فتمّ فيه عرض دور الإصلاح الحمّادي في حضارة المغرب الأوسط ، بدءاً بإصلاح النّظام السّياسي والإداري في الدّولة الحمادية، ثمّ عرضت الإصلاح الاقتصادي، مع إبراز مظاهر التّطور العمراني، ثم تابعت الكلام عن السّياسة العسكرية في العهد الحمّادي، وفي الأخير انهيت هذا المبحث بالجانب الثّقافي عند الحمّاديين.

أمّا الخاتمة، فقد تضمّنت، أهمّ النّتائج الّتي توصّلنا إليها في هذه الدّراسة.

الدّراسات السّابقة:

إنّ الدّراسات السّابقة في موضوع الإصلاح تعدّ قليلة ومحدودة، وكلّ ما استطعت أن الحصول عليه من خلال عملية البحث التي قمت بها ، سوى بعض الدّراسات ذات الطّابع الفقهي منها الإصلاح والمصلحون في القرآن الكريم لـ: ريم عطوة العلياني الحجايا، وهي رسالة مقدّمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير، كما عثرت أيضا على موضوع أخر يتعلّق الأمر ب: الإصلاح وأثره على الفرد والمجتمع دراسة قرآنية موضوعية، وهو أيضا رسالة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير من إعداد: فايز حسان سليمان أبو عمرة، وهذه الدّراسة بيّنت لنا أثر الصلاح والإصلاح على حياة الفرد والمجتمع في الدّنيا والأخرة، مع ذكر الوسائل والطّرق المتّبعة في عملية الإصلاح.

الصّعوبات:

لقد اعترض سبيلي في إنجاز هذه الأطروحة جملة من العقبات، يحتاج التّغلب عليها التّحلي بالصّبر وبذل الجهود المضنية، نظرا لقلّة المصادر والمراجع الّتي تعالج فكرة موضوع الدّراسة وتغطي جوانب خطّتها، وهو ما دفعنا إلى التّنقيب في ثنايا المصادر والمراجع المختلفة لجمع المعلومات المتناثرة هنا وهناك، ناهيك عن ضيق الفترة الزمنية لموضوع الدّراسة(ق2هـ-ق4هـ) ، والتي لم تترك لنا مجالا واسعا للبحث من أجل تسليط

الضوء على بعض الدّول التي كان لها باعا في مجال الإصلاح بالمغرب الأوسط ، ونخصّ بالذّكر هنا الدّولة الحمادية.

وقد عانيت من صعوبات جمّة في تتبّع المعلومات وحصرها وتصنيفها وتدقيقها، من أجل وضعها في إطارها الصّحيح، وهو ما أخذ منّي الكثير من الوقت لإعداد هذا العمل ، كما أنّ تشعّب الموضوع وتفرّعه، وتناوله لقضايا الإصلاح في دوّل متعاقبة زمنيا ومختلفة مذهبيا و سياسيا ، حال دون السّيطرة والإلمام الشّامل له بطريقة محكمة، كما أن بعض الإجراءات الإدارية، حرمتنا من إتمام موضوع الأطروحة في الشق الخاص بالدّولة الحمادية.

تحليل لأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها:

كان اعتمادي في إعداد هذه الأطروحة على جملة من المصادر، أوّلها القرآن الكريم الذى لا يحقّ لأحد نقده ولا إحداث مقارنة بينه وبين المصادر البشرية، فهو مصدر كامل، دقيق و صحيح لا ريب فيه.

كما اعتمدت أيضا على مجموعة من المصادر والمراجع المتّنوعة، التي وردت فيها معلومات متناثرة، ورأيت فيها فائدة وإضافة لموضوع دراستي.

وفيما يلي عرض للأهمّ المصادر، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1322م)، هذا الكتاب الذي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، فقد اعتمد على مصادر تاريخية مفقودة عاصرت الأحداث، خاصة تلك المتعلّقة بتاريخ الدّولتين الزّيرية والحمّادية من أهمّها، كتب ابن شرف وابن رشيق القيرواني المعاصرين لهذه الفترة، وهو ما زاد من أهمّية الكتاب الذي أفادنا أيضا بالكثير من المعلومات حول تاريخ الدّولة الفاطمية، وكذلك أخبار فتح بلاد المغرب للإسلام على يدّ الفاتحين مع ذكره لأهمّ الولاّة وأخبارهم.. ويمتاز كتاب البيان أيضا، بذكر الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب مرتّبة بطريقة كرونولوجية، لكنّه يحيد أحيانا عن هذا المنهج،

خاصّة إذا أتى على ذكر شخصية أو مدينة مهمّة، فإنّه يبرز تاريخها منفصلاً عن السيّاق.

أمّا كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السّلطان الأكبر، لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ/1406م)، تناول فيه المؤلّف أخبار خاصّة ببلاد المغرب وقبائله، أصولها وفروعها وبطونها خاصّة زناتة وصنهاجة، كما تناول أخبار الدّولتين الفاطمية والصّنهاجية، هذه الأخيرة اختصر أخبارها وركّز على فترة حكم المعزّ بن باديس الصّنهاجي الّتي مثّلت العصر الذّهبي لبني زيري.

ويعدّ كتاب أخبار بني عبيد لصاحبه ابن حمّاد الصّنهاجي (ت 626هـ/1230م) من الكتب الّتي أرّخت لأئمّة الدّولة الفاطمية والتّعريف بهم، وهو ما أفادنا كثيراً في هذا الجانب، وقد اكتفى ابن حمّاد بذكر الأحداث بشكل عام في تناوله لحياة الأئمّة الفاطميين، من دون التّفصيل في ذلك بشكل واضح.

إضافة إلى كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار (ت 1110هـ/1699م) ، الذي يعتبر من الكتب الّتي تناولت تاريخ الصّنهاجيين، شأنه في ذلك شأن المصادر الأخرى ، لكن دون التفصيل في تاريخ الدّولة الحمّادية في فترة القلعة وبجاية.

أمّا من أهم المصادر المشرقية الّتي اعتمدنا عليها، فنجدها قد تناولت تاريخ المغرب الإسلامي بشيء من الاختصار دون الخوض في التّدقيق والتّفصيل فيه، نذكر منها: كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب للنّويري (ت 733هـ/1343م) والذي يعدّ موسوعة ضخمة، تضمّنت تاريخ المغرب الإسلامي بصورة تكاد تكون نفسها أو مطابقة لتلك الواردة في كتاب الكامل في التّاريخ لابن الأثير، لكن دون التّصريح بذلك، ويعتبر بدوره الكامل في التّاريخ لابن الأثير (ت630هـ/1222م) من المصادر التّاريخية المشرقية القليلة الّتي اهتمت بالتّأريخ لبلاد المشرق والمغرب، وقد اتّبع في ذلك الأسلوب الكرونولوجي التّسلسلي للأحداث، وقد أفادنا بمعلومات قيّمة فيما يخص تاريخ الدّولتين

الفاطمية والصّنهاجية، وغالبا ما كان يتغاضى عن ذكر المصادر التي استقى منها معلوماته.

وقد خصّ كتاب اتّعاظ الحنفا في أخبار الأئمّة الخلفا للمقريزي (ت 845هـ/1441م) لكلّ خليفة فاطمي بترجمة وافية لحياته، وهو من أشمل المصادر الّتي اهتمّت بتاريخ الفاطميين مغربا ومشرقًا، متّبعا في ذلك علاقة الفاطميين بالقاهرة بممثليهم الزّيريين بالقيروان، كما زوّدنا بمعلومات جدّ مهمّة في هذا المجال.

إضافة إلى هذا الكتاب، هناك مصدر لا يقلّ أهمية عن سابقيه، وهو كتاب تاريخ الخلفاء الفاطميين للدّاعي عماد الدّين إدريس (ت 872هـ/1488م)، حيث أمدّنا بمعلومات دقيقة وجدّ مهمّة فيما يخصّ أعمال الخلفاء الفاطميين.

وقبله كان كتاب افتتاح الدّعوة للقاضي النّعمان (ت 363هـ/ 973م)، هذا الكتاب يعد النّص الأصلي للرّواية التاريخية المتعلّقة بظهور الدّولة الفاطمية على أرض المغرب ، أيّ الرّواية الأمّ الّتي تولّدت عنها الرّوايات المتتالية في القرون اللاّحقة، إذ يعدّ القاضي النّعمان مؤرّخ الدّولة وشاهدا على إنجازاتها، باعتباره كان معاصرا لها بأرض المغرب ومصر، فرغم أنّ القاضي النّعمان يعدّ قطبا من أقطاب المذهب الشّيعي، إلاّ أنّنا نلمس في كتابه هذا حدّا من الموضوعية، التزم بها في بعض الأحيان.

ومن المصادر المشرقية أيضا نذكر كتاب: فتوح والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم (ت 257هـ/871م) ، وهو أقدم مؤلف عربي مسلم وصلتنا مؤلفاته، وهذا الكتاب يعتبر من أهمّ الوثائق التّاريخية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، حيث ذكر لنا أبرز أحداث الفتح العظيم لهذه البلاد، وما ترتّب عن ذلك من مظاهر علمية وتاريخية وحضارية..الكتاب رغم أهميّته وقيمته، إلاّ أنّ البعض من أصحاب الدّراسات الحديثة يراه مطولاً ومملاً في وصفه للوقائع والأحداث.

ومن المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها عند الحديث عن الدّولة الرّستمية، كتاب أخبار الأئمّة الرّستميين لابن الصّغير، ويعتبر المصدر الأوّل وربّما لم يسبقه أحد في

التأريخ للأسرة الرّستمية، إذ جمع فيه أخبار الأئمّة الرّستميين الواحد تلوى الآخر وبالتّرتيب.

اعتمد ابن الصّغير في كتابه هذا على مصدرين هما: الرّواية الشّفوية والّتي احتلّت جزءاً كبيراً من كتابه، إضافة إلى المشاهدة باعتباره معاصرا للدّولة الرّستمية في أيّامها الأخيرة، وقد التزم ابن الصغير بالموضوعية إلى حدّ بعيد في روايته للأحداث وذكر محاسن الأئمّة، رغم أنّه لم يكن على المذهب الإباضي.

ويرى محمد مبارك الميلي، أنّ لغة ابن الصّغير اتّسمت بشيء من العامّية، بينما يرى أخرون، أنّ في كتابه هذا الكثير من الإطناب في الحديث عن بعض الفتن.

ومن المصادر الّتي أرّخت لدولة بني رستم أيضا ، كتاب سيّر الأئمّة وأخبارهم لأبي زكريا (ت471هـ-1080م)، و يعدّ بدوره مصدراً إباضيا مهمّا، اعتمد عليه الكثير من المشارقة في نقل الأخبار المتعلّقة بإباضية المغرب، ويعتبر المصدر الأوّل الذي يمكن بواسطته وضع صورة تركيبية للدّولة الرّستمية، حيث يتحدّث بإسهاب عن الخوارج وكيفية قدومهم إلى بلاد المغرب، كما يذكر فرقهم ودورهم في تأسيس الدّولة الرّستمية ، ويشيد بأئمّتها والتّعريف بهم، كما تناول الحديث عن سياستهم وأعمالهم وأثارهم.. ولأهمّية هذا المصدر، فقد نقل عنه كلّ من الدّرجيني والشّماخي..

كذلك كتاب السيّر للشّماخي (928هـ/1548م)، وهو من أشهر المصادر الإباضية، حيث تضمّن تراجم لعلماء وفقهاء الإباضية وحكام الدّولة الرّسمتية، الذين كان باعهم طويلا في ازدهارها تطويرها.. وهو ما يهمّنا في هذا الكتاب، إذ من خلاله نستخلص أهمّ الأعمال الإصلاحية التي صاحبت حكم هؤلاء القادة، وأثرها الإيجابي على المجتمع الرّستمي ، غير أنّ النّزعة المذهبية بدت واضحة في صفحات الكتاب، وهذا أمر طبيعي لمؤلف يتمذهب بالإباضية.

كما لاننسى أهميّة كتب الجغرافية في بحثنا هذا، والّتي كان لها دور كبير في تحديد معالم عمرانية وجغرافية لبلاد المغرب الأوسط والإسلامي عامّة، وذكر لأهمّ المسالك

وطّرق المواصلات، والحديث عن أهمّ المدن والمرافق التي تعبّر عن حقيقة الحضارة الّتي بلغتها هذه البلاد، بفضل تلك الإصلاحات الّتي أقدم عليها أولائك الحكاّم الّذين أشرفوا على تسيير شؤونها وإصلاح أمرها.

ومن بين هذه المصادر نذكر على وجه الخصوص: كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب في جزءه المعروف بالمسالك والممالك، لصاحبه عبد الله البكري (ت487هـ/1094م)، هذا الأخير يعدّ أوّل من أطلق تسميّة المغرب الأوسط على الرّقعة الجغرافية موضوع دراستنا، إضافة إلى هذا المصدر، هناك كتب جغرافية أخرى لا تقلّ أهميّة منها : صورة الأرض لابن حوقل (ت 367هـ/977م)، وكتاب الجغرافيا لإبن سعيد المغربي (ت 685هـ)، وتقويم البلدان لأبي الفداء(732هـ/1331م)، وكتاب تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لصاحبه ابن بطوطة (779هـ/1377م)، والمعروف أيضا برحلة ابن بطوطة، كما لا ننسى كتاب مروج الذّهب للمسعودي (ت346هـ/957م).

وأمّا المراجع ، فكان وقعها كبيرا على بحثنا هذا، نظرا للفائدة الكبيرة من المعلومات والأخبار القيّمة الّتي استقيناها منها.

ومن هذه المراجع، كتاب المغرب الإسلامي لصاحبه موسى لقبال (ت1429هـ/2009م)، والّذي نراه من الكتب الهامّة لتاريخ المغرب الإسلامي، بداية من الفتح وتأسيس القيروان ودور الولاّة في العمل الإصلاحي، كما تكلّم أيضا عن الإصلاح الإداري من غير الإشارة إليه صراحة، وذلك من خلال تناوله للوضعية الإدارية للمغرب الإسلامي بعد انتهاء الفتح، كماعالج حركة الخوارج وأسبابها ودورها في ظهور الدّولة الرّستمية ببلاد المغرب، مع ذكر دور ومساهمة العلماء والفقهاء في الحياة السّياسية.

إضافة إلى هذا الكتاب، نذكر مرجع آخر أفادنا كثيراً، هو كتاب الدّولة الرّستمية بالمغرب الإسلامي لعيسى الحريري، هذا الكتاب زوّدنا بمعلومات ذات فوائد جمّة بدءًا بجغرافية المغرب الأوسط، مع ذكر لأهمّ الأحداث الّتي مهّدت لقيام الدّولة الرّستمية و

عوامل ازدهارها، من خلال تتبّع جهود الأئمّة وأعمالهم، المتمثّلة في نظام الحكم والإدارة والحياة الاقتصادية والفكرية، إضافة إلى العلاقات الخارجية للرّستميين .

ومن المراجع الّتي خدمت بحثنا كثيرا أيضا، نذكر كتاب تاريخ المغرب الكبير، لمحمد علي دبوز(ت1981م/1402هـ)، هذا الكتاب يعتبر موسوعة، حيث اشتمل على تاريخ المغرب بأقطاره الأربعة، ليبيا، تونس، الجزائر والمغرب الأقصى، وقد أفادنا كثيرا خاصّة في جزئيه الثّاني الثّالث.

ففي جزءه الثّاني، تناول فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، أمّا في جزءه الثّالث، فقد تناول العهد العبّاسي والدّول الإسلامية المستقلّة ، نخصّ بالذّكر هنا الدّولة الرّستمية.

وعلى غرار هذا المرجع المفيد، هناك كتاب أخر أفادنا بما فيه الكفاية والموسوم بعنوان: تاريخ المغرب العربي بجزئيه الثّاني والثّالث لصاحبه سعد زغلول عبد الحميد (ت 2005م)، حيث خصّص حيزاً كبيراً للدّولتين الرّستمية والفاطمية، ومن بعدهما الصّنهاجية بشيء من التّفصيل والتّدقيق، وهو ما كانت له إضافة مفيدة لبحثنا، لم نجد لها في المراجع الأخرى مثيل.

مدخل:

مفهوم الإصلاح وجدلية التّسمية و الموقع لبلاد المغرب.

1- تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا.

أ-الإصلاح لغة.

ب- الإصلاح اصطلاحا.

2-الإصلاح في القرآن الكريم.

أ-ميادين الإصلاح في القرأن الكريم.

ب-المصلحون في القرآن الكريم.

3- جدلية والمصطلح و الموقع.

أ- مصطلح المغرب.

ب-موقع المغرب.

1- تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا:

أ-الإصلاح لغة:

الإصلاح كلمة مأخوذة من كلمة (صُلْحٌ)، فالصّاد واللاّم والحاء أصل واحد، يدل على خلاف الفساد[1] ويقال صَلَحَ يَصلح ومُصْلِح وصلح والجمع صلحاء وصلوح، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصطلح في أعماله وقد أصلحه الله[2]، والإصلاح ضدّ الإفساد والإستصلاح ضدّ الاستفساد[3]، والصلاح ضدّ الفساد وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيّئة، قال تعالى: ﴿**خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئًا**﴾[4] وقال عزّ وجلّ: ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾[5]، وقال عزّ من قائل: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾[6].

وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إيّاه صالحًا، وتارة بإزالة ما فيه من فساد، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح[7]، قال الله تعالى: ﴿**وأصلح بالهم**﴾[8]، وأصلح: أتى بالصلاح، وهو الخير و الصواب، وفي الأمر مصلحة أيّ خير، والجمع مصالح[9]، وقال أيضا: ﴿**إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين**﴾[10].

---

[1] -أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج3، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ب.ن، 1979، ص 303.

[2] -جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب المجلد 4، ج28، مادة الأصلح، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.ت.ن، ص 2473.

[3] -محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، د. ط مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص 154.

[4] -أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، تح: مركز الدراسات والبحوث، د.ط، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.بن، د.س.ن، ص 373.

[5] -سورة التوبة، الآية: 102.

[6] -سورة الأعراف الآية: 56.

[7] -سورة البقرة، الآية: 84.

[8] -الاصفهاني، نفسه، ص 373.

[9] - الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج 1، ط3، المطبعة الأميرية، مصر، 1912م، ص 528.

[10] -سورة محمد، الآية: 02.

أي المفسد يضادّ الله في فعله، فإنّه يفسد والله تعالى يتحرّى في جميع أفعاله الصّلاح فهو إذا لا يصلح عمله...[1]

والإصلاح: إزالة الفساد بإحلال الصّلاح، وهو الاستقامة والسّلامة من العيوب ويكون بمعنى الإحسان[2].

ورجل صالح في نفسه، من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره وقد أصلحه الله والصّالح المستقيم الحال في نفسه[3]، القائم بما عليه من حقوق الله، وحقوق العباد[4].

وتصالح القوم، واصطلحوا، وهو صالح للولاية، أيّ له أهلية القيّام بها[5].والصّلاح نقيض الطّلاح.[6]

والإصلاح كمفردة لغوية، يصعب الاستدلال بها على معنى الإصلاح دون اعتباره ندًّا للفساد تماما، كما يصعب الاستدلال على معنى الفساد، دون اعتباره حالة تتنافى مع مبدأ الإصلاح.[7]

ب_الإصلاح اصطلاحا:

الإصلاح هو سلوك طريق الهدى واستقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة[8]، كما يختصّ الصلح بإزالة النّفار بين النّاس، والإصلاح ضدّ الفساد، وهما مختصان في أكثر

---

[1]–سورة يونس الآية: 81.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ص 2479.

[3]–نفسه ، مج 4، ص 2479.

[4] –ابو البقاء الكفوي، الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ص 116.

[5]– الفيومي، المصدر السابق، ج1، ص 528.

[6]– أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: صدى المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج3، د.ط، مكتبة الهلال، د.ب.ن، د ت ن، ص 117.

[7]– الاصفهاني، المصدر السابق، ص 273.

[8]– الكفوي، نفسه ، ج 3، ص 560.

الإستعمال بالأفعال، وإصلاح الله تعالى الإنسان تارة بخلقه إيّاه صالحًا، وتارة بإزالة ما فيه من فساد ، وتارة بالحكم له بالصلاح[1].

وأيضا هو استقامة الحال على ما تمليه الشّريعة ويدعو إليه العقل البشري إلى ما فيه شفعة[2]، وقيل على أنّه تصويب ما أعوّج في ممارسة أمور الدّين والدّنيا، والعودة بها إلى الأصل الذي لم تلحقه الزوائد والمحدثات[3].

والإصلاح هو إرجاع الشّيء إلى حالة اعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد، و هو كلّ تغيير إلى الأحسن سواء كان للفرد والأسرة والمجتمع والدولة أو الأمّة..

كما يعني الإصلاح تقويم وتصحيح الفساد الذي اعترى الفرد والجماعة للوصول إلى الحالة المستقيمة السّوية، ويتجلى ذلك في الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر[4].

2-الإصلاح في القرآن الكريم:

جاءت رسالة الإسلام في مجملها رسالة إصلاحية تعالج أمور النّاس وأوضاعهم، ولم تقتصر هذه الإصلاحات على قوم من الأقوام، بل شملت البشرية جمعاء، فالنّاظر في كتاب الله ،يجد أنّه اشتمل على العديد من الآيات التي تناولت موضوع الإصلاح بمجالاته المتعدّدة، وهو ما يبرز لنا أهمية هذا الموضوع والحكمة من تشريعه.

وقد ورد لفظ الإصلاح والصلاح في القرآن الكريم بأوجه ودلالات متعدّدة، فمنها ما يدّل على الإيمان[5] كقوله تعالى: ﴿**جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم**

---

[1]- الأصفهاني،المصدر السابق ، ص: 489.

[2]- أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، تح: محمد شاكر، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000، ص 75؛ أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، ج 3، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، ص 367.

[3]- عبد الله بلقزيز، الخطاب الإصلاحي في المغرب، ط1، دار المنتخب، بيروت، لبنان، 1997 م، ص 15.

[4] -السلام رزق الواوي، منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي "مريم" و"طه"، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزّة، فلسطين، 2012، ص 05.

[5] -مقاتل بن سلمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح: حاتم صالح الضامن، ط 1، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2000 م، ص 95.

وأزواجهم وذريّاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب﴾[1]، أي صلاحهم في إيمانهم بالله واتّباعهم أمره وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم–[2].

وردت ألفاظ الإصلاح بأوجه عديدة تدّل على الإحسان[3]، في قوله تعالى: ﴿**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أنيب**﴾[4].

كما تناول القرآن الكريم أيضا مصطلح الإصلاح، وكان استعماله في صيّغ مختلفة وبعدّة معان، فمنها ما جاء بمعنى إزالة الضّرر[5] أو الإصلاح بين المتباينين أو المتخاصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما[6] في قوله تعالى: ﴿**لا خير في كثير من نجواكم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين النّاس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نأتيه أجرا عظيما**﴾[7].

ومنها ما ورد في النّهي والتحذير من الإفساد في الأرض بعد صلاحها[8]، أيّ أنّ لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدّعوة إلى طاعة غير الله سبحانه، كالشّرك وإفساد النّفوس

---

[1]–سورة الرعد، الآية: 23.

[2]– الطبري، المصدر السابق، ج16، ص 423.

[3]–نفسه، ج 13، ص 306.

[4]– سورة هود، الآية: 88.

[5]– محمد فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج 1، ط 1، دار الكتب العلمية للتوزيع، بيروت، ص، 33؛ ريم عطوة، المرجع السابق، ص 13.

[6]–الطبري، نفسه، ج9، ص 201.

[7]–سورة النساء، الآية: 114.

[8] –محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 7، أخبار اليوم، د.ب.ن، 1991م، ص 237؛ ريم عطوة، نفسه ، ص 15.

والأموال والأديان[1]، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا إنّ رحمة الله قريب من المحسنين**﴾[2]،

وفي قوله أيضا: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾[3].

أمّا لفظة المصلحون فقد وردت في القرآن الكريم في عدّة مواضع، كقوله تعالى: ﴿**والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصّلاة إنّا لا تضيع أجر المحسنين**﴾[4] والمصلحون هنا، بمعنى العريقين في الصلاح[5] من الذين يصلحون بين النّاس[6] المطيعين لله تعالى.[7]

تعالى.[7]

أ-ميادين الإصلاح في القرآن الكريم:

لم تقتصر مجالات الإصلاح على ميدان معيّن من الميادين، ونحن بدورنا نتناول البعض منها، ذات علاقة بموضوع بحثنا بالقدر الذي نراه مناسبا لذلك.

فقد اعتنت الشّريعة الإسلامية المنبثقة من كتاب الله وسنّة رسوله – صلى الله عليه وسلم– بالإصلاح الاقتصادي، ومحاربة جميع أشكال الفساد المنتشرة وسط المجتمع، من

---

[1]–الطبري، المصدر السابق ، ج 12، ص 487.

[2]–سورة الأعراف، الآية: 56.

[3]–سورة الأعراف، الآية: 85.

[4]–سورة الأعراف الآية: 17.

[5] –برهان ابن أبي الحسن بن عمر البقاعي، نظم الدرر تناسب الآيات والسّور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، ج 5، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995م، ص 474؛ ريم عطوة العلياني الحجايا، الإصلاح و المصلحون في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الشريعة، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، 2014م، ص 17.

[6]– أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، ج6، ط 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964 م، ص 283؛ ريم عطوة، نفسه ، ص 17.

[7]– أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، ج 3، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993ء م، ص 311؛ ريم عطوة، نفسه ، ص 17.

ربا، وغشّ ورشوة، وكسب غير مشروع.. مع إعطاء حلول لهذه المظاهر، وفق ما تقتضيه النّصوص القرآنية[1].

ونجد في القرآن الكريم إشارة إلى الإصلاح الاقتصادي، ويتّضح ذلك في قصّة شعيب –عليه السلام– مع قومه، قال تعالى: ﴿**وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعتوا في الأرض مفسدين**﴾[2]، كما حرّمت الشّريعة الإسلامية كل أنواع الرّبا لما فيها من مضرّة لاقتصاد الدّول ومفسدة لأموال النّاس، قال المولى عزّ وجل:﴿**يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله وذروا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين**﴾[3].

وتكمن الأضرار الاقتصادية للرّبا، كونها طريقة غير شرعية للكسب، كما تؤدي الرّبا إلى توسيع الهوّة بين الفقراء والأغنياء، فيثقل كاهل المقترضين عند العجز بسبب تضاعف سعر الفائدة المحرّم شرعاً[4].

والقصد من وراء تحريم الشّريعة الإسلامية للرّبا، هو حمل الأمّة على مواساة غنيها محتاجها بالقرض، فهو مرتبة دون الصدقة، وهو ضرب من المساعدة و المواساة، إلاّ أنّ المواساة منها ما هو فرض كالزّكاة، ومنها ما هو دون ذلك، كالصّدقة والسلف، وعرف عن العرب قديما أنّ المرء لا يتداين إلاّ لضرورة حياته، فلذلك كان حقّ الأمّة مواساته[5].

كما يعتبر تطفيف الكيل والتّلاعب بالموازين، مفسدة اقتصادية وتحايل على حقوق النّاس وضرب من مضارب الغشّ في المعاملات، لذا نجد أنّ الإسلام قد أعلن حرباً لا هوادة فيها على من يمارس هذا النّوع من الفساد عن طريق التّحريم والتّهديد والوعيد[6].

---

[1] –ريم عطوة، المرجع السابق ، ص 19.

[2]– سورة هود، الآية: 85.

[3]–سورة البقرة، الآيتين: 278–279.

[4]–ريم عطوة، نفسه ، ص 27.

[5] –نفسه، ص 28.

[6]– نفسه، ص 28.

أخبرنا القرآن الكريم، أنّ المولى عزّ وجلّ قد أهلك الأقوام التي كانت تمارس مثل هكذا فساد، فأهل مدين قوم سيّدنا شعيب خير مثال على ذلك، قال تعالى:﴿**ويل للمطففين الّذين إذا اكتالوا على النّاس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**﴾[1]، وقال الله تعالى أيضا في هذا الشّأن: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنّي أراكم بخير وإنّي اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**﴾[2].

فمن خلال هذه الآيات ، يتّضح لنا حجم الضّرر الذي تلحقه الممارسات غير المشروعة بالاقتصاد ، والتّعدي على حقوق الناس.

وهناك مجال أخر من مجالات الإصلاح التي وردت في القرآن الكريم، وهو الإصلاح السّياسي الذي به تستقيم أمور النّاس، ويعلو شأن الدوّل، وقد تناولت الآيات القرآنية هذا المجال من خلال حديثها عن الشّورى لما لها من فضل في دفع الضّرر وجلب المنفعة العامّة، وقيام سلطان الدّولة والحفاظ على العلاقة بين الحاكم والمحكوم[3].

وقد وردت ألفاظا تدلّ على مفهوم السّياسة من غير ذكرها صراحة، لكن معناها ومضمونها موجودان في الكثير من الآيات وتمثلت هذه الألفاظ في الملك و الحكم والتّمكين والاستخلاف.. فمن الآيات التي تدلّ على الملك، قوله تعالى: ﴿**أم يحسدون النّاس على ما أتاهم الله من فضله فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكا عظيما**﴾[4].

---

[1]–سورة المطففين، الآية: 1 – 3.

[2]– سورة هود، الآية: 84–85.

[3]–عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 3، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993 م، ص 362.

[4]–سورة النساء الآية: 54.

وأمّا تلك الدّالة على الحكم، فنجدها في قوله تعالى:﴿**إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعما يعظكم به إنّ الله سميعا بصيرا**﴾[1].

وفيما يخص التّمكين ، فقد قال تعالى: ﴿**وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين**﴾[2].

والتّمكين هنا التّوطئة في الأرض، ﴿**ونجعلهم أئمّة**﴾ أي ولاّة وملوكا[3]، وأمّا الإستخلاف، قال المولى عزّ وجلّ: ﴿ **وعد الله الّذين أمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فؤلئك هم الفاسقون**﴾[4].

أي يصبحون خلفاء الله في أرضه[5]فيورثهم الله أرض المشركين، فيجعلهم ملوكها وساستها[6].

ونعود للكلام عن الشّورى، الذي يعدّ أهمّ مبدأ سياسي حثّ عليه الإسلام، وعمل به الرّسول –صلى الله عليه وسلم– ومن بعده الخلفاء الرّاشدين –رضي الله عنهم– والتّابعين ومن سار على هذا النّهج.. فقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يستشير أصحابه في العديد من القضايا التي تهمّ الأمّة[7].

---

[1]–سورة النساء الآية: 58.

[2]–سورة يوسف، الآية: 56..

[3]– الطبري، المصدر السابق، ج5، ص 378.

[4]–سورة النور، الآية: 55.

[5]– الرازي، المصدر السابق، ج 1، ص 344.

[6] –الطبري، نفسه ، ج 19، ص 208.

[7] –ريم عطوة، المرجع السابق، ص 34.

وقد أقرّت الشّريعة مبدأ الشّورى، فوردت سورة في القرآن الكريم سميّت بالشّورى، قال سبحانه وتعالى، ﴿**وأمرهم شورى بينهم وممّا رزقناهم ينفقون**﴾[1].

وفي الشّورى استخراج الرّأي بمراجعة البعض إلى البعض[2]، والمراجعة للآراء ليتبيّن الصّواب منها[3].

يقول السّعدي في تفسير هذه الآية: " أي وأمرهم الدّيني والدّنيوي شورى بينهم، فلا يستبدّ أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم.. اللّهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى إعمال الفكر والرّأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتّى إذا تبيّنت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك الرّأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظّفين الإمارة أو القضاء وغيره..أو كالبحث في المسائل الدّينية عموما، فإنّها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصّواب مما يحبّه الله"[4].

وقد ورد أمر الشّورى في موضع أخر في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكلين**﴾[5].

وذكر لنا القرآن نماذجا من الشّورى السّياسية، نختار أحد هذه النّماذج كمثال لموضوع دراستنا، ويتمثّل في شورى بلقيس ملكة سبأ لمجلس وزراءها وكبار مستشاريها عندما جاءها كتاب سيّدنا سليمان – عليه السلام– وقالت لهم[6]، في قوله تعالى: ﴿**قالت يا أيّها**

---

[1]–سورة الشورى، الآية: 38.

[2]– الاصفهاني، المصدر السابق ، ج 1، ص 270

[3] –أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، د ط، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، د ت ن، ص 50.

[4] –عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ج 1، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ص 753.

[5]–سورة آل عمران، الآية: 159.

[6] –ريم عطوة، المرجع السابق، ص 38.

الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتّى تشهدون﴾[1]، أي أشيروا عليّ في أمري هذا، ما كنت مستبدّة بأمر دون رأيكم ومشورتكم.[2]

ومن مظاهر الإصلاح السّياسي أيضا، توجيه الأمّة الإسلامية إلى وجهة واحدة وصف واحد، مع إصلاح نظام الحكم وجعله يتماشى ويتوافق مع التّشريع الإسلامي مع تقويّة الرّوابط بين مختلف أقطار وجهات الدّولة الإسلامية، إضافة إلى إشاعة روح التّعامل بالإسلام في جميع دواوين الدّولة، ليعرف الجميع أنّهم مطالبون بتعاليم الإسلام[3]،على أن توزن كلّ أعمال القادة والأمراء بميزان الأحكام الإسلامية، فتكون نظم جميع مؤسسات الدّولة متماشية مع الشّريعة الإسلامية، غير مصطدمة بمخالفتها[4].

إضافة إلى الإصلاح الاقتصادي والسّياسي، هناك مجال أخر لا يقلّ أهميّة عن سابقيه، ويتعلّق الأمر بالإصلاح الإجتماعي، نظرا لما يكتسيه من أهميّة في حياة الفرد والمجتمع، فهذا الإصلاح يعدّ عملية تجديد مستمرّة ومتّصلة بالحياة الّتي تقتضيها الفطرة الإنسانية، حيث تحمي المجتمع من الإنحراف وشيوع المفاسد فيه[5]، فيتحقّق بذلك الإصلاح الدّيني والخلقي والاجتماعي معاً[6].

ومن أوجه الإصلاح الإجتماعي، تحريمه لبعض العادات والسّلوكيات الّتي أشار إليها القرآن الكريم، والّتي كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي كوأد البنات مثلا : ﴿**وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه على هون أم يدسّه في التّراب ألا ساء ما يحكمون**﴾[7].

---

[1]–سورة النّمل، الآية: 32.

[2]–السّعدي ، المصدر السابق ، ج 1، ص 604.

[3] –مرحم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص ص 161–162.

[4]– محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 11، ط 2، دار المنارة، القاهرة، 1947 م، ص 264–271.

[5] –هالة فائق عوض، الإصلاح الاجتماعي في تفسير التّحرير والتّنوير، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المملكة العربية السعودية، 2009م، ص 14.

[6] –جمال الدّين محمد محمود، أصول المجتمع الإسلامي، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1992م، ص 139.

[7]–سورة النّحل، الآية: 58، 59.

لكنّه حرص على إبقاء بعض العادات الحسنة كالكرم، والأخلاق الحميدة.. فقد ورد في قول الرّسول –صلى الله عليه وسلم–: " **إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**"[1].

وحرص الإسلام على إصلاح الأسرة، باعتبارها نواة المجتمع، وسببا في صلاحه أو فساده، ويتّضح ذلك من خلال إصلاح الأزواج والأبناء، حيث شرّع الله تعالى الزّواج لإبقاء النّوع الإنساني[2]، فجاء في قول تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[3].

واهتمام الإسلام باختيار كلّ من الزّوجين لبعضهما البعض على أساس الصلاح، فإذا نشأت الأسرة على التّقوى والصلاح، أصبح المجتمع كلّه صالحا[4]، في إشارة إلى قيمة الصّلاح في الإنسان، فمنزلته عند الله لا تقاس بنسبه ولا بجاهه، إنّما بدينه وصلاحه[5] مصداقا لقوله تعالى: ﴿**إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[6].

والحاجة للتّجديد في المجتمعات مستمرّة وملحّة، حتّى لا يختلّ النّظام الاجتماعي وتستمرّ سنّة التّدافع، ولا يطغى الفساد ويعلو الباطل على حساب الحقّ[7] ،يقول تعالى:﴿**ولولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين**﴾[8].

---

[1]– رواه البخاري ، مج 01، رقم 02 ؛ ريم عطوة، المرجع السابق، ص 41.

[2]–ريم عطوة، نفسه ، ص 45.

[3]–سورة الرّوم، الآية: 21.

[4] –ريم عطوة، نفسه، ص 49.

[5]–محمد علي الصابولي، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، ج 18، ط 3، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، 1400 هـ، ص 209.

[6]–سورة الحجرات، الآية: 13.

[7] –مريم عبد الرحمن أبو علي عبد القدوس، الصلح والإصلاح في القرآن الكريم، المجلد 1، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 149.

[8]–سورة البقرة الآية: 254.

وحتّى يتحقّق الإصلاح ويكون أثره واضحا في حياة الفرد والمجتمع معا، لا بدّ له من وجود وسائل يعتمد عليها كيّ يصلح روح الفرد ويبلغ غايته المرجوّة في الدّنيا والآخرة معا، ومن مثل هذه الوسائل، نذكر المحافظة على أداء الشّعائر الدّينية والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ثمّ القضاء العادل، هذا الأخير يعدّ حقّ يكفله الله – سبحانه وتعالى– لكلّ النّاس في هذه الدّنيا.

فالبشر جميعهم سواسية أمام قضاء الله، لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا بين غنيّ وفقير، ولا بين حاكم ومحكوم، قال تعالى : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا**﴾[1].

ب–المصلحون في القرآن الكريم:

لا يقوم الإصلاح في مجتمع من المجتمعات إلاّ بوجود مصلحين يتّبعون الطّريق المستقيم، فهم يعتبرون بمثابة أداة النّجاة من الفتن والفساد والعذاب، وأوّل المصلحون هم الأنبياء والرّسل، فكلّهم جاؤا برسالة الإصلاح، ثمّ من تبعهم من الّذين اقتدوا بهم، وساروا على دربهم، من أجل زرع بذور الإصلاح في المجتمعات، والقضاء على مظاهر الفساد ما استطاعوا إليه سبيلا[2].

وقد بيّن لنا القرآن الكريم بعض الصّفات الّتي تحلى بها الصّالحون وعملوا بها، قصد تحقيق هدفهم المنشود، وهنا نذكر بعض هذه الصّفات ، منها الإيمان بالله تعالى[3]، وفي ذلك آيات كثيرة جاء فيها الإيمان مقرون بالعمل الصّالح، قال تعالى: ﴿**وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثمّ اهتدى**﴾[4]، ثمّ الإخلاص في العمل لله تعالى[5]، قال المولى

[1]–سورةالأحزاب الآية: 36.

[2] –ريم عطوة، المرجع السابق، ص 50.

[3] –نفسه، ص 52.

[4] –سورة طه، ص: 82.

[5]– ريم عطوة، نفسه ، ص 52.

عزّ وجلّ: ﴿**أم نجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجار**﴾[1].

وتعتبر الكلمة الطيّبة من صفات المصلحين، الّتي استخدمت من أجل استمالة وكسب قلوب النّاس وارشادهم إلى الطّريق المستقيم[2]، قال تعالى: ﴿**من كان يريد العزّة فللّه العزّة جميعا إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصّالح يرفعه والّذين يمكرون السّيّئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور**﴾[3].

ومن العمل الصّالح أيضا ،الاهتمام بالإصلاح بين النّاس، أي إصلاح ذات البين وإزالة الخلافات[4]، قال تعالى: ﴿**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرّسول فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾[5].

ولمّا كان الإصلاح رسالة الأنبياء، فكلّ نبيّ جاء برسالة تحمل مشروعاً إصلاحيا وإن اختلفت مجالات الإصلاح بحسب ما تقتضيه حالة كلّ قوم[6]، فسيّدنا إبراهيم–عليه السّلام– جاء لإصلاح عقيدة قومه الّذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب[7]، قال تعالى: ﴿**إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا 80**﴾[8].

---

[1] –سورة ص، الآية: 28.

[2]– الرّازي، المصدر السابق، ج 1، ص 367؛ ريم عطوة، المرجع السابق ، ص 51.

[3]–سورة فاطر، الآية: 10.

[4] –ريم عطوة، نفسه ، ص ص 52، 53.

[5]–سورة الأنفال، الآية 01.

[6] –ريم عطوة، نفسه، ص 53.

[7] –ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن عمر الدّمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج 5، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص234.

[8]– سورة مريم، الآية: 42.

أمّا لوط–عليه السّلام–، فكان يدعو إلى الإصلاح الأخلاقي، والعودة إلى الفطرة البشرية السّليمة[1]، قال تعالى: ﴿**ولوطا إذ قال لقومه إنّكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**﴾[2].

وكما أسلفنا الذّكر، فإنّ شعيب –عليه السّلام– جاء ليصلح الفساد الاقتصادي الّذي اشتهر به قومه، وأمّا سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – فجاء بأعظم رسالة إصلاح في تاريخ البشرية، شملت الجانب العقدي،السّياسي، الاقتصادي و الاجتماعي[3]...

وللإصلاح الدّيني، منهجه السّليم في إدارة سياسة الإصلاح الّتي تهدف إلى هداية الخلق، من أجل تحقيق مقاصد جليلة، من خلال محاربة الفساد الّذي يمسّ العقائد والعبادات والأخلاق وحتّى المعاملات...[4]

تعدّ بعثة الرّسول –صلى الله عليه وسلم– إصلاحا دينيا مثاليا، استفادت منه البشرية في جميع النواحي السّياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والعقائدية..[5]، حيث ظهر أثرها الإيجابي على المجتمع الإسلامي، وتمثّل ذلك في إصلاح نفوس الضّالين، وجمع المتفرّقين، وألفّ بين قلوب المختلفين والمتخاصمين، قال تعالى: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم**﴾[6].

وقال عزّ وجلّ:﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنّني من المسلمين**﴾[7].

---

[1]– ريم عطوة، الموجع السابق ، ص 55.

[2]–سورة العنكبوت، الآية: 28.

[3]–مريم عطوة، نفسه، ص 55.

[4] –مريم عبد القدوس، الموجع السابق، ص 142.

[5] –محمود مهدي الاستانبولي، ابن تيمية بطل الإصلاح الديني، ط2، دار المعرفة، دمشق، 1977م، ص 176.

[6]–سورة الأنفال، الآية: 63.

[7] –سورة فصلت، الأية :33.

ويعتبر صاحب مهمّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أرفع منزلة عند الله، فأصحاب الصّلاح هم ورثة الأنبياء والمرسلين، الّذين بعثوا بشرائع سماوية الغاية منها، تقويم النّفوس وتنوير البصائر ومعاملة المجتمعات بالحسنى[1].

أمّا نظرة العلماء للإصلاح، فنجدها تصب في قالب واحد تقريبا، فابن تيمية يوضح أنّ صلاح البلاد والعباد، يكمن في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لأنّ صلاح المعاش والمعاد في طاعة الله ورسوله، فلا يتمّ ذلك إلاّ بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمّة خير أمّة أخرجت للّناس[2]، قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾[3].

ويقول الرّسول –صلى الله عليه وسلم– :"**إنّ النّاس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه**"[4].

في هذا الحال بالذّات، يطرح الإصلاح على هذا الوعيّ الإسلامي كواجب، ولهذا الواجب اسم إسلامي يعرف"بالحسبة"، و يحمل معنى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لذلك وجب على كلّ سلطة إسلامية إقامة شرعيّتها على الحسبة، وإذا ما فقدت السّلطة لهذه الشّرعية، وجب الاحتساب عليها، لكن يبقى تحقيق الإصلاح عند أغلب الفقهاء غير كاف لإزالة سلطة غير شرعية، بل يكمن في قيّام سلطة أخرى بديلا عنها تكون أكثر نفعا للنّاس، حسب رأي هؤلاء الفقهاء.

وتعود الضّرورة إلى الإصلاح، بسبب وجود خلل داخلي أصاب مجتمعا تغرّب عن إسلامه، والإصلاح عند أبي حامد الغزالي متصوّر حسب المنطق المعهود للإصلاح من

---

[1]–مريم عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 144.

[2]– تقيّ الدّين أحمد بن عبد العليم بن تيمية، السّياسة الشّرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، د ط، طبع ونشر وزارة الشّؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، ص 94.

[3]–سورة آل عمران، الآية: 110.

[4]– أخرجه أحمد رقم (1)، وأبو داود رقم (4338)، والترميذي رقم (3057، 2168) والنسائي في "الكبرى" رقم (11092).

خلال خلل داخلي مسّ الأمّة، ممّا أدّى إلى افتراق المسلمين إلى فرق متناحرة ، والحلّ في ذلك يكمن في العودة إلى العمل بالشّريعة الإسلامية[1].

ويوضّح صاحب كتاب نظم الدّرر أنّ:" الصّلاح هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشّرع "[2].

والإصلاح في الرّؤية الإسلامية، يعدّ تغييرا شاملا وعميقا، يمسّ جميع نواحي الحياة ، بل يتعدّاها إلى ما يخدم الدّار الآخرة ،"وإنّما يجعل من صلاح الدّنيا السّبيل إلى الصّلاح والسّعادة فيما وراء هذه الحياة الدّنيا، حيث يبدأ الإصلاح الإسلامي بالفرد ليكوّن منه الأمّة والجماعة، فالإسلام دين الجماعة، والجماعة أشمل وأوسع من الطّبقة، وبدون إصلاح الأفراد لن يكون هناك صلاح حقيقي للأمم والجماعات"[3].

وهناك أراء أخرى ترى أنّ عملية التّغيير الّتي يحدثها الإصلاح، تتجاوز حدود التأثير في شكل الحكم، لتصل إلى القيّم وأنماط السّلوك التّقليدية والتّعليم ونطاق الولاء، بحيث يتعدّى العائلة والقبيلة، ليصل إلى الأمّة، وعقلانية البنى في السّلطة، وتعزيز التّنظيمات المتخصّصة وظيفيًا، واستبدال مقاييس العزوة بمقاييس الكفاءة، وإعادة توزيع الموارد الماديّة والرّمزية"[4].

[1] –علي أوميل، الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن19م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم :7، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1982م، ص21، 27.

[2]– البقاعي، المصدر السابق، ص 331.

[3]– محمد عمارة، الإصلاح بالإسلام، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006 م، ص 17.

[4] –باسم الزّبيدي، الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخداماته، ط1، سلسلة دراسات استراتيجية، معهد إبراهيم أبو لغد للدّراسات الدّولية، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2005م، ص ص11، 12.

3- جدلية والمصطلح و الموقع.

أ- مصطلح المغرب:

يرتبط ظهور مصطلح المغرب بعصر الفتنة، الّتي وقعت بين عليّ بن أبي طالب ومعاويّة بن أبي سفيان –رضي الله عنهما- أي قبل نهاية النّصف الثّاني للقرن الأوّل الهجري.

وقد أطلق لفظ المغرب في البداية على الجزء الغربي من الدّولة الإسلامية، والذي يشمل مصر والشّام وما جاورهما[1].

وقد أشار الطّبري إلى ذلك عند خروج علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- من الكوفة لمحاربة معاوية-رضي الله عنه- فقال: " تيّسروا وتهيّؤا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب[2]"، وأضاف الطّبري أيضا فقال: "وكتب عليّ إلى عبد الله بن عبّاس مع عتبة بن الأخنس بن قيس، أمّا بعد: " فإنّا خرجنا إلى معسكرنا بالنّيلة، وقد أجمعنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب "[3].

ثمّ تغيّرت دلالة مصطلح المغرب، إذ أصبحت تعبّر عن القسم الغربي من شمال إفريقية، حيث يشير ابن الحكم في خبر من كان يخرج لغزو المغرب بعد عمر بن العاص-رضي الله عنه- في إشارة إلى معاوية بن حديج فيقول: "ثمّ خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد، معاويّة بن حديج التّجّيبي سنة أربع وثلاثين هجري "[4].

وهناك من الجغرافيين من يعتبر المغرب والأندلس أرضا واحدة، فهذا المقدسي واصفا إقليم المغرب فيقول: "هذا إقليم بهيّ كبير.. كثيرا من المدن والقرى عجيب الخصائص

---

[1] -موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م، س14.

[2]- المقصود بالمغرب هنا : بلاد الشام.

[3]-أبو جعفر محمد بن جرير الطّبري، تاريخ الرّسل والملوك، ج5، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1971م، ص 78.

[4] -ابن عبدالحكم، فتوح المغرب، ج 1، تج: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، د.ط، القاهرة، 1961، ص 260.

والرّخاء، به ثغور جليلة وحصون كثيرة وريّاض نزهة و به جزائر عدّة مثل الأندلس الفاضلة العجيبة وتاهرت الطيّبة النّزيهة و طنجة البلدة البعيدة.." ثمّ يضيف قائلا: "وقد جعلنا المغرب والأندلس كهيطل وخراسان.."[1].

عرّف المؤرخون والجغرافيون المغرب الإسلامي عامّة، بالإقليم الواقع غرب الدّيار المصرية، الّذي قسّمه الجغرافيون العرب إلى ثلاثة أقاليم ، فالمغرب الأدنى أو إفريقية وهو الإقليم الأقرب من مصر، والمغرب الأوسط وهو الإقليم الّذي يتوسّط إفريقية والمغرب الأقصى، ثمّ المغرب الأقصى وهو الأبعد عن الدّيار المصرية[2].

وعموما فالتّسميّة يقصد بها الإقليم الواقع غرب الدّولة الإسلامية باتّجاه غروب الشّمس، عكس البلاد الواقعة في اتّجاه شروق الشّمس وهي بلاد المشرق[3].

ب_ موقع المغرب:

ثمّ إنّ هناك من الجغرافيين والمؤرّخين، الّذين حدّدوا لنا الرّقعة الجغرافية للمغرب الأوسط، وهم يتّفقون في الغالب على حدوده، رغم ديمومة الحركة المستمرّة للقبائل، ممّا جعل هذه الحدود تتمدّد تارة وتتقلّص تارة أخرى، حسب قوّة وضعف الدّول المتعاقبة على حكم المغرب الأوسط[4].

أمّا الكلام عن المغرب الأوسط، فيبدو أنّ لسياسة الولاّة دور هام في تغيير الخريطة السّياسية لبلاد المغرب، والّتي أدّت في الأخير إلى ظهور الدّويلات الثّلاث على هذه الأرض، فالرّستمية في الوسط، والإدريسية في أقصاه، أمّا الأغلبية فكانت في أدناه.

---

[1]– المقدسي، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1991م، ص ص 215، 216.

[2]–عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، د ط، دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة الجزائر، 2014 م، ص 11.

[3]–سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج 1، د ط، منشأة معارف الإسكندرية، 1993، ص 61.

[4]–الطّاهر يونابي، التصوّف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7هـ، د ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 29؛ محمد على ديوز، تاريخ المغرب الكبير، ج 1، ط 2، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، 2010م، ص 11.

والمعروف أنّ مصطلح المغرب الأوسط، لم يكن متداولا قبل عصر البكري المتوفي سنة (487هـ/1094م)[1]، والّذي يعتبر أوّل من استعمل هذا المصطلح للتّعبير عن رقعة جغرافية يصعب ضبط حدودها، تضيق وتتّسع حسب الظّروف السّياسية السّائدة في ذلك الوقت، فقد ورد هذا المصطلح عند ذكره لمدينة تلمسان الّتي جعل منها قاعدة له: " وهذه المدينة تلمسان، قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع و أشجار وأنهار عليها الطّواحين.. وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر و مقصد التّجار والأفاق"[2].

أمّا الشريف الإدريسي، فيذكر المغرب الأوسط عند حديثه عن البحر الشّامي قائلا: "أمّا البحر الثّاني الكبير المعروف بالبحر الشّامي فإنّ مخرجه من بحر الظّلمات الّذي في جهة المغرب فيمرّ شرقا في جهة بلاد البربر وشمال المغرب الأقصى إلى أن يمرّ بالمغرب الأوسط ويصل إلى أرض إفريقية"[3]، ثمّ نجده يستبدل لفظ المغرب الأوسط بالغرب الأوسط في حديثه عن مدنه: "وفيه من بلاد الغرب الأوسط تنس وبرشك وجزائر بني مزغنّا وتدلس وبجاية و جيجل ومليانة والقلعة والمسيلة والغدير"[4].

---

[1]–**البكري:** هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر البكري من عائلة عربية يرجع أصلها إلى قبيلة بكر بن وائل استقرت عائلته بالأندلس وكانت هذه العائلة من أنصار المنصور بن أبي عامر، أي أنها معارضة للخليفة الأموي.. وكان لوالده عبد العزيز ابن ما هو إلا صاحبنا عبد الله الذي لا يعرف تاريخ ولادته، لكن يذكر لنا الفتح بن خاقان أنه التقى به وهو ما زال غلاما، والبكري إذاك في سن الثمانين لم يتخصص البكري في أي فرع من فروع المعرفة الإنسانية شأنه في ذلك الشأن جل العلماء في القرون الوسطى، فلقد كان تكوين الرجل المثقف في تلك الفترة يشتمل على دعامة متينة من العلوم الدينية، من فقه، علوم قرآنية، علم الكلام.... ثم يأتي الأدب واللغة والفلسفة ومواد أخرى حسب الإمكانيات والأذواق الشخصية، فلا غرابة إن وجدنا ضمن تأليف البكري مصنفات تبحث في مواضيع مختلفة، فالبكري لغوي وأديب قبل كل شيء.. رغم أنه اشتهر بصفته جغرافيا في المشرق والمغرب، ففي اللغة والأدب لع عدة كتب منها الإحصاء لطبقات الشعراء.. وفي الجغرافيا له معجم استعجم، المسالك والممالك... وله كتب في موضوعات مختلفة. أنظر أبو عبيد البكري ،المسالك والممالك (المقدمة) ، تر: سعد غراب، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج1، د.ط، دار الغرب الإسلامي ، د. ب.ن، 1992م، ص 7–12.

[2] –نفسه، ج2، ص 746.

[3] –الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقتفة الدينية،، القاهرة، 2002م، ص ص 10، 11.

[4] –نفسه، ص222.

وفي موضع آخر يجعل من بجاية قاعدة المغرب الأوسط: " ومدينة بجاية فى وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بني حمّاد"[1].

في حين نجد مؤلفا مراكشيا مجهولا من القرن6 هـ/12م، يؤكد أنّ تلمسان هي قاعدة المغرب الأوسط فيقول: " وفيه مدن كثيرة وقاعدتها تلمسان، وحدّ المغرب الأوسط من وادي مجمع وهو في نصف الطّريق بين مدينتي مليانة ومدينة تلمسان بلاد تازا من بلاد المغرب في الطّول وفي العرض من البحر الّذي على ساحل البلاد الّتي ذكرنا في البلاد السّاحلية مثل مدينة وهران ومليانة"[2] ، وهو ما يتّفق مع قول السّلاوي حين يقول: "مملكة المغرب الأوسط وقاعدتهم تلمسان وجزائر بني مزغنّة"[3].

أمّا ابن خلدون فيوضّح: "وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديّار زناتة، كان لمغراوة وبني يفرن، وكان معهم مديونة، مغيلة، ومطغرة، ومطماطة، ثمّ صار من بعدهم لبني وماتو ولبني يلّومي، ثمّ صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان، وهي دار ملكه، ويجاوره من جهة الشّرق، صنهاجة من الجزائر ومتّيجة والمرية وما يليها بجاية"[4].

---

[1]–الإدريسي ، المصدر السابق، ص 260.

[2] –مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية،، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ص 176.

[3]–أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، دار الكتب،، الدار البيضاء، 1955م، ص 33.

[4]–عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تح: خليل شحادة و مراجعة سهيل زكار، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص 134.

الفصل الأوّل:

الجهودالإصلاحية للفاتحين والولاّة.

المبحث الأوّل: الجهود الإصلاحية للفاتحين.

1- عقبة بن نافع(50هـ-55هـ/671م-675م).

2- أبو المهاجر دينار(55هـ-62هـ/675 م-681 م).

3- حسّان بن النّعمان(68هـ-88هـ/688م-705م).

4- موسى بن نصير(89هـ-97هـ/706م-712م).

المبحث الثّاني: نماذج من إصلاحات الولاّة.

1- إسماعيل بن أبي المهاجر(99هـ-101هـ/717م-719م).

2- حنظلة بن صفوان (124هـ-126هـ/"740م-742م).

3- عبد الرحمن بن حبيب (127هـ-137هـ/742م-751م).

4- يزيد بن حاتم بن قبيصة (142هـ-160هـ/755م-772م).

لم يكن العمل الإصلاحي في بدايته واضحا وملموسا لحدّ ما، نظرا لاختلاطه بالعمل العسكري الذي كانت تتطلّبه عملية الفتح في مراحلها الأولى، لكن رغم هذا لا يمكن إخفاء الجهود الإصلاحية الجبّارة التي قام بها قادة الفتح وعلى رأسهم عقبة بن نافع الفهري باعتباره قائدا وفقيها ومصلحا، حتّى وإن طغى على عمله الطّابع العسكري اتّجاه البربر المدعومين من طرف البيزنطيين آنذاك.

وبديلا عن هذا، نلمس طريقة أخرى مغايرة لسياسة القائد عقبة، وهي تلك الّتي انتهجها أبو المهاجر دينار في إصلاح الأوضاع ببلاد المغرب، من خلال اتّباعه لسياسة رشيدة اتّجاه السّكان الأصليين، وهو ما جعله يكسب ودّ زعمائهم وعلى رأسهم كسيلة ، إضافة إلى ما قام به كلّ من حسّان بن النّعمان وموسى بن نصير، من أعمال إصلاحية كان أثرها الإيجابي واضحا على جميع الميادين.

فأهم ما قام به قادة الفتح لبلاد المغرب من إصلاحات، هو تخليص البربر من سيطرة البيزنطيين الذين اغتصبوا أرضهم وأرهقوهم بالضّرائب الفاحشة، زيادة على الاضطهاد الدّيني الذي بلغ ذروته، لكن أهم ما قدّمه هؤلاء القادة لأهل المغرب، هو نشر الدّين الإسلامي بين سكان البلاد وإخراجهم من الظلمات إلى النّور.

فالإسلام في حدّ ذاته يعدّ أكثر من ثورة إصلاحية جذرية، مسّت الجوانب السّياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية للمجتمع البربري.

المبحث الأوّل:الجهودالإصلاحية للفاتحين.

1-عقبة بن نافع الفهري(50هـ-55هـ/671م-576م):

لمّا قام الخليفة معاوية بن أبي سفيان بعزل معاوية بن حديج عن ولاية إفريقية ، استعمل عليها عقبة بن نافع الفهري[1] سنة 50هـ/671م، فانضاف إليه من أسلم من البربر وكثر جمعه، ووضع السّيف في بعض أهل البلاد لأنّهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم أرتّد من أسلم، ثمّ رأى أن يتّخذ مدينة يقيم بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأتمنوا من أيّ ثورة قد تأتي من أهل البلاد[2]، فاختطّ مدينة القيروان[3]، كي تكون موطنا لنشر كلمة الإسلام، وقد جعلت

---

[1]-**عقبة بن نافع** عبد القيس بن عامر لقيط بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث ابن عامر بن فهر القرشي الفهري، ولد في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم- ولاه عمرو بن العاص إفريقية لما كان هذا الأخير واليا على مصر، افتتح عامة بلاد البربر، وهو الذي بني القيروان في زمن معاوية بني أبي سفيان، وكانت هي أصل بلاد إفريقية، ومسكن الأمراء استشهد سنة ثلاث وستين بعد أن غزا السوس الأقصى، قتله كسيلة بن لمزم, ينظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2012م، ص858.

[2]- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشّيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، تح: عبد الله القاضي، ط، 3دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص 320؛ ابن عذارى أبو عبد الله المرّاكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: ج، س، كولان وليفي بروفنسال، ط، 3دار الثقافة،، بيروت 1983م، ص19؛ شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرّومي البغدادي، معجم البلدان، ج4، د.ط، دار صادر، بيروت، 1977م، ص 420؛ شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، تح: عبد المجيد ترجبي، دط، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.ن، ص 11؛عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007م، ص 54؛ نهلة شهاب أحمد، المغرب الغربي في عهد عقبة بن نافع، د.ط، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2003م.

[3]- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النّفوس، ج1، تح: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1994م، ص97؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطّبري، تاريخ الأمم والملوك، ج5، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 1971م، ص240؛ أحمد بن يحي بن جابر البغدادي البلاذري، فتوح البلدان، ط1، شركة طبع الكتب العربي، القاهرة، 1901م، ص 236؛ شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ج4، :تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989م، ص 20؛ عصام الدّين عبد الرؤوف الفقّي، تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، مكتبة نهضة

القيروان، تبعد عن البحر حتّى تكون في مأمن في حالة الحرب من جهة، وحتّى لا تكون عرضة لهجمات أسطول العدو المباغتة[1] من جهة أخرى[2].

وكي يعطي عقبة للوجود الإسلامي صفة دائمة، نجده قد اقتدى بمنهج الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–عند تخطيطه للكوفة، فاختار عقبة وسط البلاد نجدا فسيحا وخط فيه مدينة القيروان[3].

لم يكن للمسلمين وقتئذ بإفريقية معقل حصين يحميهم، ولا مدينة يلجؤون إليها بعد إنهاء أعمالهم لإصلاح شؤونهم، واستجماع قوّاهم، وتجديد أسلحتهم[4]، "وكان بناء قاعدة القيروان من أكبر أسباب تثبيت أقدام المسلمين بإفريقية، فأصبحت حصنا لهم، ومأوى لحربهم وأثقالهم[5]".

الشرق، القاهرة، 1984م، ص19؛ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، د.ب.ن، د.ت.ن، ص 140

[1]–عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج1، تع: إبراهيم شبوح، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م، ص 43 ؛ محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988م، ص ص 74، 75؛حسين حمودة، المرجع السابق، ص 56–58.

[2] –من الواضح أن ما تعرضت له الإسكندرية سنة 25هـ من نكبات بسبب عزو البيزنطيين لها من البحر، والجهد الكبير الذي بذله عمر بن العاص لاستردادها، كان له وقعه على نفسية عقبة، لذا نجد أن هذه الحادثة افادته كثيرا في اختيار الموقع المناسب لبناء مدينة القيروان، ينظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1989م، ص115.

[3]– عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996م، ص 122؛عبد الرحمن حسين العزاوي، المغرب العربي في العصر الإسلامي، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م، ص39.

[4] –البلاذري، المصدر السابق، ص 235؛ لقبال، المرجع السابق، ص 28؛ نهلة شهاب أحمد، المرجع السابق، ص 77؛ الفقّي، المرجع السابق، ص 18؛ عبد العزيز الثّعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدّولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص 44.

[5]– الطّاهر أحمد الزّاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص91؛زيتوني، المرجع السابق، ص 74؛ محمد علي قطب، أبطال الفتح الإسلامي، ط1، دار الدعوة للطّبع والنّشر والتّوزيع، الإسكندرية، 2006م، ص 74.

هذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على دهاء القائد عقبة بن نافع، في حسن اختياره للمواقع ذات الأهميّة في الحرب والسّلم معا.

هذا أقل ما يقال عمّا قدّمه القائد عقبة من إصلاحات في المجال العسكري خلال ولايته الأولى، قبل أن يتّم استبداله[1] بأبي المهاجر دينار.

وفي حملته الثّانية، يبدو أن أهداف عقبة، كانت أسما وأبعد، في تثبيت ماتمّ تحقيقه من إنجازات، أهمّها تثبيت قواعد الفتح الإسلامي بالمنطقة.

تولّى عقبة ولايته الثّانية سنة 62هـ/681 م[2]، وعند وصوله إلى القيروان، جدّد بناءها ونقل النّاس إليها، فعمرت وصلح شأنها، وعلا قدرها، وأعزّ الله بها الإسلام، وأقرّ بها أعين الأنام[3]، وقد أكدّ مهمّته الجهادية، بوصيّته لزهير بن قيس البلوي، الّتي حملت في معانيها شتّى أنواع الإصلاح وقد جاء فيها: "إنّي بعت نفسي من الله عزّوجل، فلا زلت أجاهد حتّى أخلّص إفريقية من مخالب الكفر وإرجاعها دار سلام أو أقضي دون ذلك"[4].

---

[1]–تضاربت المصادر والمراجع عن سبب عزل الخليفة معاوية للقائد عقبة، فهناك من يرجع سبب العزل، لسياسة الشدة التي كان يطبقها عقبة، والتي لم يكن والي مصر مسلمة راضيا عنها، بدليل السياسة المغايرة التي سار عليها أبي المهاجر دينارمن بعده. ينظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، ج1، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993م، ص188، و هناك رأي أخر ينافي الرأي الأول، فقيل لمسلمة بن مخلد عن سبب عزله لعقبة فرد قائلا:" أن أبا المهاجر كأحدنا، صبر علينا في غير ولاية، فنحن نحب أن نكافيه ونصطنعه". ينظر:ابن عذاري المصدر السابق، ج1، ص 22، لكن هناك رأي ثالث يرى في سبب عزل معاوية عن ولاية إفريقية هو خشية الخليفة معاوية بن أبي سفيان من استقلال عقبة بن نافع ببلاد المغرب، خاصة بعد بناءه للقيروان. ينظر: عبدالعزيز سالم، المرجع السابق، ص 123.

[2]–ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص237؛ النّويري، المصدر السابق، ج24، ص13.

[3]– الدبّاغ، المصدر السابق، ج1، ص47؛ النّويري، نفسه، ج24، ص13؛ المالكي، المرجع السابق، ج1، ص34.

[4]–المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 43؛ الدبّاغ، المصدر السابق،ج1، ص48؛الثّعالبي، المرجع السابق، ص 50.

كما أوصاه بإتمام الإصلاح[1] الّذي شرع فيه، من شقّ الطّرقات وتأمين السّبيل وإقامة المساجد وتفقيه النّاس وتقليد الأعمال لذوي البصائر والاستعانة بخبرة المجرّبين.[2]

يعدّ عقبة بن نافع، أوّل قائد مسلم بلغ البحر المحيط[3] في فتوحاته[4]، كما يذكر صاحب كتاب الإستقصا نقلا عن صاحب كتاب الجمان " إنّ عقبة أراد اللّحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس"[5].

فمن خلال هذا القول، يتّضح لنا أنّ عقبة بن نافع كان السّباق لفكرة فتح الأندلس قبل أن يتحقّق ذلك لموسى بن نصير فيما بعد.

رغم انشغال القائد عقبة بن نافع بالشّأن العسكري، إلاّ أنّه لم يبخل على تقديم إصلاحات وأعمال جليلة في الميادين الأخرى[6]، الاقتصادية منها والاجتماعية والثّقافية والعمرانية.

---

[1]–يذكر عبد العزيز الثعالبي مشيدا بعبقرية عقبة بن نافع قائلا: "ولا يوجد دليل على استقامة الدول العظيمة القائمة على نزعة الشعوب، من إفساح المجال للعبقريين من رجالها ذوي المواهب النادرة أمثال عقبة، لتنفيذ ما وسعته أدمغتهم الكبيرة من الخطط العظيمة للفتح والإصلاح". ينظر: الثعالبي، المرجع السابق ، ص 46.

[2] –ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص23، 24؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص13؛ الثعالبي، نفسه، ص 50

[3]–إن حملة عقبة الثانية والتي وصل على إثرها إلى البحر المحيط، أظهرت نتائج جد إيجابية ومهمة على المدى البعيد فقد مهدت الطريق للقادة الذين جاءوا من بعده الحصول على معلومات تتضمن معرفة طبيعة الأرض ومداخلها ومسالكها، وضواحيها وكذا طبيعة سكانها وأجناسهم وأساليب قتالهم ونوعية تسليحهم وعدد حصونهم ومعرفة موطن القوة والضعف فيهم. ينظر: نهلة شهاب، المرجع السابق، ص 119.

[4]–ينظر الملحق رقم: 07.

[5]– ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص268؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص38؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص237؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص14؛ المالكي، نفسه ، ج1، ص38.

[6]–ما يمكن استنتاجه، أن الكثير من المصادر والمراجع ركزت على الجانب العسكري لعقبة بن نافع وأهملت إصلاحاته إصلاحاته في الميادين الأخرى، التي نجدها متناثرة هنا وهناك على صفحات المصنفات، ومما يدل على أن إصلاحات عقبة تجاوزت الشق العسكري، هو قوله عندما قدم على معاوية بني أبي سفيان:" فتحت البلاد، ودانت لي، وبنيت المنازل، واتخذت مسجدا للجماعة، وسكنت الناس". ينظر: ابن عذاري، نفسه ج1، ص 22.

فخلال ولايته الثّانية، أمر عقبة بإصلاح القيروان[1]، كما ردّ النّاس إليها وهو يردّد دعوته المشهورة: "يا رب اجعلها عزّا لدينك وذلاّ على من كفر بك"[2].

وممّا لا ريب فيه، أنّ مشاركة عقبة بن نافع وعدد من الصحابة و التّابعين في تخطيط المسجد وتحديد قبلته، قد أفضى على المدنية والمسجد طابعا دينيّا عميقا، إذ أصبح المسجد القلب النّابض للقيروان وعقلها المفكر، فإلى جانب دوره الدّيني، العلمي والثّقافي، كان دوره السّياسي والاجتماعي حاضرا دائما[3].

وقد اجتهد عقبة ليجعل من القيروان مركزا لنشر الإسلام وآداب العرب ولغتهم وثقافتهم بين السّكان المحليّين، كما أنّ استقرار الفاتحين فيها، كان سببا في اختلاطهم وتعايشهم وتعاملهم مع أهل البلاد، كلّ هذا أدّى حتما إلى التّقارب بين الجانبين، ممّا أتاح للفاتحين فرصا أكثر من السابق لنشر دعوتهم[4].

لم يتوقّف عقبة عند هذا بل، بنى العديد من المساجد الأخرى، لتكون مركزا لنشر الإسلام، وتعليم البربر أصول دينهم، فبنى مسجدا في درعة، وأخر في إيغلي و ماسة[5].

---

[1]–**القيروان** مدينة عظيمة بإفريقية مصرت في أيام معاوية بن أبي سفيان، ذلك أنه لما ولي عقبة بن نافع ذهب إليها وفتحها وأسلم على يده كثير من البربر، فجمع أصحابه و قال:"رأيت أن ابني هنا مدينة يسكنها المسلمون فجأوا موضع القيروان، وهي أجمة عظيمة وغيضة لا تشقها الحيات من تشابك شجرها، ثم بني المدينة فاستقامت في سنة خمس وخمسون، ينظر: زكريا بن محمد بن محمد القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.ن، ص 242.

[2]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 23؛ نجوى عثمان، مساجد القيروان، ط1، دار كرمة، دمشق، 2000م، ص 15؛ الزاوي، المرجع السابق، ص 90.

[3]– يوسف بن احمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ الفتح وحتى منتصف القرن 5هـ، ج1، ط1، مركز البحوث للدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2000م، ص 202.

[4]– نهلة شهاب أحمد، عقبة بن نافع، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص62.

[5] –البكري، المصدر السابق، ص 160؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج1، ص27؛ زغلول، المرجع السابق، ص 200.

وقد نتج عن هذا أن شهدت بلاد المغرب تقدّما وتطوّرا كبيرين، شمل معظم أوجه العلوم والمعرفة، بفضل الفتح الّذي كان فتحا عقائديا وعلميا بالدّرجة الأولى[1]، ويذكر عبد الحميد حسين حمودة مستندا ومؤكّدا لما ذكره الزّهري صاحب كتاب الجغرافية، أنّه لم يغب عن ذهن عقبة الأهميّة التّجارية للقيروان الّتي أخذت تزداد تدريجيا بمرور الوقت، بفضل وفرة الحاصلات الزّراعية في المناطق المحيطة بها، لذا تمّ مراعاة مواضع السّوق والتّجارة والصّناعات من طرف عقبة عند تخطيطه لمدينة القيروان[2].

2 -أبو المهاجر دينار(55هـ-62هـ/675 م-681 م):

في سنة 55هـ/675 م، ارتأت الخلافة تغيير سياستها في بلاد المغرب، وذلك بانتهاج سياسة تقوم على كسب ولاء القبائل المغربية، ونشر الإسلام بينها، كما تقوم هذه السّياسة على اعتماد الإقناع واللّين، فالمرحلة الجديدة تتطلّب واليا يمتلك قدرا عاليا من المرونة دون التّفريط في أهداف الدّولة المركزية[3].

وقد نجحت سياسة الوالي الجديد أبو المهاجر دينار نجاحا كبيرا، إذ أسلم على يده كسيلة زعيم قبيلة أوربة، الّذي كان نصرانيا[4]، وقد اتّبع أبو المهاجر في ذلك منهج الرسول

---

[1]- يوسف حوالة، المرجع السابق، ص86.

[2]-أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د.ت.ن، ص 109؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 57.

[3]- خليل إبراهيم السامراني، تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص84.

[4]-المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 33؛ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص46؛ الباجي المسعودي، الخلاصة التقية في أمراء إفريقية، تح: محمد زيهم محمد عزب، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2012م، ص64؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص28، 29. إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، 2005م، ص ص 20، 21؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص38؛ محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج1، ط7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ب.ن، 1984م، ص 140؛ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص113

– صلى الله عليه وسلم – في استمالة قلوب جبابرة العرب للإسلام[1]، وكانت النّتيجة أن تحالف البربر مع الفاتحين، وبفضل هذا التّحالف استطاع أبو المهاجر دينار[2]اجتياز المغرب الأوسط حتّى وصل إلى مدينة تلمسان[3]، ويعدّ هذا مكسبا كبيرا للإسلام و المسلمين[4].

ولعلّ المتتبّع لفترة حكم أبي المهاجر دينار لبلاد المغرب، يجد أن إصلاحاته لم تترك مجالا من المجالات إلا وطرقت بابه[5].

تذكر بعض المراجع أنّه من المحتمل أن يكون أبي المهاجر قد اصطحب معه إلى إفريقية عمّالا مصريين للمساعدة في بناء أسطول بحري حربي في بلاد المغرب، لكن الظّروف لم تسمح له بذلك[6]، وهو ما يثبت النّظرة البعيدة لأبي المهاجر، ودرايته بأهميّة الأسطول البحري في المنطقة.

---

[1] –حسين حمودة، المرجع السابق، ص 68.

[2]–**أبوالمهاجر دينار** هو مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري، وكان تابعيا، ولاه مسلمة بن مخلد إفريقية بعد ولاية عقبة الأولى وذلك سنة 55ه". وقد قيل لمسلمة بن مخلد:" لو أقررت عقبة، فإن له جزالة وفضلا" فقال مسلمة:" إن أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية، فنحن نحب أن نكافئه"، فلما قدم إفريقية كره أن بنزل في الموضع الذي اختطه عقبة بن نافع، ومضى حتى خلفه بميلين، فبنى ونزل، لقد أخلص أبو المهاجر لمسلمة، ولكن إخلاصه وحده لم يكن ليؤهله لتسلم منصب قيادي رفيع في إفريقية لو لم تكن له مزايا عسكرية وإدارية أهلته لهذا المنصب ينظر: خطاب، المرجع السابق، ج1، ص ص 137، 138.

[3] –ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 28؛ التهامي، المرجع السابق، ص21؛ أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم القيرواني، المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، د.ب.ن، 1289ه، ص29؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص66 ؛ مؤنس، المرجع السابق، ص 166؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص38؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص142.

[4] – الفقي، المرجع السابق، ص19.

[5]– الملاحظ أن الكثير من المصادر مرت على مرحلة حكم أبي المهاجر دينار مرور الكرام وسبب انصراف المؤرخين عن ذلك حسب حسين مؤنس، يعود الى وقوع ولايته بين شطري حكم عقبة بن نافع، وهو ما جعل المؤرخين ينشغلون بتتبع أعمال عقبة بن نافع ويهملون أبي المهاجر دينار. ينظر : مؤنس، المرجع السابق ، ص 157.

[6]– ذنون، المرجع السابق، ص 110.

وفي إنجازاته العسكرية دائما، قام بحصار قرطاجنة عاصمة الرّوم، وأرغمهم على إبرام الصلح معه، فتنازلوا له بموجب هذا الصّلح على جزيرة شريك، التي اتّخذها قاعدة أمامية، كان الهدف من ذلك مراقبة الرّوم وصدهم إذا ما حاولوا مهاجمة المسلمين[1].

كما انتهج أبو المهاجر سياسية ترمي إلى التّمازج بين العرب والبربر، ويتجلّى ذلك في محاولته إنشاء جيش من البربر، يكون له سندا في مواجهة البيزنطيين، لكن عودة عقبة بن نافع حال دون تحقيق ذلك[2].

أمّا من النّاحية السّياسية، والإدارية والاجتماعية، فقد عوّض القيروان عاصمة عقبة بقاعدة جديدة تسمّى "تاكيروان"[3]، الّتي أقامها بمساعدة البربر، وهذا يعتبر اتّجاها سياسيا جديدا يقوم أساسا على التّقرّب من السّكان المحليّين وكسبهم للإسلام باللّين والحسنى ، وربط أواصر الحلف معهم ضدّ الرّوم، حيث انظمّ المسلمون البربر إلى العرب في نشاطهم الحربي ضدّ الرّوم، وهذا الاتّجاه لم يتفطّن له أغلب قادة الفتح الّذين سبقوا أبي المهاجر[4].

إنّ النّظرة العادلة لسياسة هذا الرّجل في بلاد المغرب، تقودنا حتما إلى الاعتراف الصّريح بدوره الهام في تقدّم حركة الفتح ونشر الإسلام بين بربر المغرب الأوسط، والذين

---

[1]– جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، تح: جمال الدين الشيال و محمد شلتوت، د.ط، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، 1972م، ص 153؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1985م، ص 226؛ المالكي، المصدر السابق، ص 31؛ الذهبي، المصدر السابق، ج 4، ص 165؛خ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص37؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص ص: 138، 139؛زيتوني، المرجع السابق، ص 39.

[2]– ذنون، المرجع السابق، ص 113.

[3]–**تاكيروان**، مدينة بجوف إفريقية، على نحو ميلين من مدينة القيروان، بناها أبو المهاجر دينار، واتخذها مقرا لحكمه، لتكون بديلا له عن القيروان عاصمة عقبة بن نافع الآولى. ينظر : الباغ، المصدر السابق، ج1، ص 47.

[4]–مؤنس، المرجع السابق، ص 158؛ ذنون، المرجع السابق، ص110–114؛ لقبال، موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 36.

غدوا حلفاء يوثق بهم، فلو لم يكن هذا القائد سياسيا متسامحا، لما استطاع أن يحصل على هذه النتائج الطيّبة الثّمار[1].

3-حسّان بن النّعمان(68هـ-88هـ/688م-705م):

يعدّ حسّان بن النّعمان من القادة الفاتحين الّذين تركوا بصمتهم الإصلاحية إبّان فترة حكمهم لبلاد المغرب، إذ عرف هذا القائد العظيم كيف يجعل من بلاد المغرب منطقة أمن واستقرار، والفضل في ذلك ، يعود إلى السّياسة الحكيمة الّتي اتّبعها في تسيير شؤون البلاد بداية من 74هـ/694 م.

فمنذ البداية، عمل حسّان[2]على إحداث شرخ في التّحالف البربري البيزنطي، من خلال استمالته وكسبه للبربر، حيث أسند قيادة جزء من الجيش الإسلامي إلى هلال بن ثروان اللّواتي[3]، هذا الأخير يعتبر أوّل بربري مسلم يمنح له مثل هذا المنصب المهمّ[4]، ومن خلال هذا التّصرف، تتّضح لنا مظاهر المساواة في منح المناصب دون تمييز بين المسلمين، عربا كانوا أم بربرا[5].

---

[1]- لقبال، المرجع السابق ، ص40.

[2]-**حسّان بن النّعمان** بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر بن الأود، عين واليا على بلاد إفريقية والمغرب من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، سنة68هـ/688م. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص34. بينما يذكر ابن الحكم، أن ولايته كانت سنة 73هـ. ينظر: ابن الحكم، المصدر السابق، ص 228.

[3]- ابن عبد الحكم، ، نفسه ، ج،1ص ص 269، 270 ؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص 177؛علي محمد محمد الصلابي، صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج1، د.ط، دار ايمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003م، ص 290؛ زيتوني، المرجع السابق، ص 56؛ صالح بن قربة و آخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص 29.

[4] -الزّاوي، المرجع السابق، ص 107؛ خطّاب، المرجع السابق ج1، ص 178؛ بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص29 ؛ قطب، المرجع السابق، ينظر: هامش ص 33.

[5] -لقبال، المرجع السابق، ص59؛ ناصر بن محمد بن عبد الله الأحمد، حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية، أطروحة دكتوراه في الدراسات الإسلامية، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، بيروت، 2008م، ص 121.

نتج عن هذه السّياسة أن كسب المسلمون حلفاء جدد من أهل البلاد[1]، ساهم ذلك في زيادة قوّة الجيش الإسلامي الذي صار كثير العدد، قويّ العدّة[2].

ومن خلال هذا، ندرك أنّ حسّانا يكون قد رسم لنفسه خطّة عمل قبل وصوله إلى إفريقية، سهلت له المأمورية، من أجل بلوغ أهدافه المتمثّلة في إتمام عملية الفتح، كما تتجلّى لنا الحنكة السّياسية والمهارة الحربية وبعد النّظر لهذا الرّجل، الذي أعطى للقوّة العسكرية الأهمية الكبرى، باعتبارها الحلّ الوحيد والضّامن الأكبر للوقوف في وجه أيّ مشكل قد يعيق إتمام عملية الفتح، فهذه القوّة العسكرية هي التي مهدت له الطّريق لتحقيق مشروعه الإصلاحي إبّان فترة تواجده ببلاد المغرب.

ففي الشّق العسكري، نجده قد تجنّب ما وقع فيه القادة الأوائل من أخطاء، من خلال اعتماده لخطة عسكرية تقوم على عدم مواجهة البربر والرّوم في وقت واحد، وإنّما الضّرورة تستوجب القضاء على الرّوم أولّا ثمّ التّفرغ بعد ذلك لأمر للبربر[3].

فما إن حلّ حسّان بإفريقية، حتّى وضع نصب عينيه قرطاجنة عاصمة الرّوم التي كانت هدفه الأوّل، من أجل فتحها وإدخالها في كنف الدّولة الإسلامية، فكان له ما أراد[4].

---

[1]– مؤنس، المرجع السابق، ص 238؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص 178؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 86؛ شنعة خديجة، اعتناق البربر للإسلام، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية، 2011م–2012م، ص 38.

[2]–خطاب، نفسه، ص ص177، 178؛ مؤنس، المرجع السابق، ص238.

[3] –لقبال، المرجع السابق ، ص59؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 215؛ الفقي، المرجع السابق، ص 21؛ حسين حمودة، نفسه، ص88؛ بن قربة وأخرون، المرجع السابق، ص37؛عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 157؛ شنعة خديجة، نفسه، ص38.

[4]– النويري، المصدر السابق، ج24، ص ص18، 19 ؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 135؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص 34، 35؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 238، 239؛ الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص 328؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص ص 48، 49 ؛ الباجي، المصدر السابق، ص 74؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 42؛ زعلول، المرجع السابق، ج1، ص 216؛ قطب، المرجع السابق، ص ص 34، 35؛ التهامي، المرجع السابق، ص ص 22،

وكان قبل ذلك سأل أهل القيروان عن أعظم الملوك بإفريقية فقالوا له:" صاحب قرطاجنة"[1]، وهذا دليل على أنّ حسّانا لم يكن متعصّبا لرأيه ولا اندفاعيا، بل كان يعمل بمبدأ الشورى ووفق قيم الدّين الإسلامي.

فبعد أن تمكّن من فتح قرطاجنة والإطاحة بالرّوم، تفرّغ لأمر البربر، فبدأ في البحث عن من بقي من ملوك إفريقية فدلّوه على الكاهنة[2]،وهي يومئذ أعظم ملوك البربر[3].

كانت الحرب بينهما سجالا ، فبعد معارك شهيرة، حاسمة وفاصلة ، تمكّن حسان من إلحاق الهزيمة بها وقتلها[4].

23؛ بن قربة وآخرون المرجع السابق، ص 30-33؛ الصلابي، المرجع السابق، ص 291-293؛ ذنون، المرجع السابق، ص22؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص178-181؛ مؤنس، المرجع السابق، ص 238-241؛ لقبال، المرجع السابق، ص ص60، 61 عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص157، 158 زيتون، المرجع السابق، ص ص58، 57.

[1]- ابن عذاري، نفسه، ص 34؛ ابن الأثير، نفسه، ج4، ص 135؛ المالكي، نفسه، ص 48؛ السلاوي، نفسه، ص 42؛ مؤنس، نفسه، ص 238؛ عبد العزيز سالم، نفسه، ص 157؛ زغلول، نفسه، ص 215؛ الصلابي، نفسه، ص 291.

[2]-ابن الأثير، نفسه، ج4، ص 135؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 19؛ ابن عذاري، نفسه، ج1، ص 35؛ السلاوي، نفسه، ج1، ص 42؛ الباجي، نفسه، ص 74؛ المالكي، نفسه، ج1، ص 50؛ ابن خلدون، نفسه، ج6، ص 143؛ ابن قربة وأخرون، نفسه، ص 33؛ الفقهي، المرجع السابق، ص 22؛ خطاب، نفسه، ج1، ص 181؛ قطب، نفسه، ص 35؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق ص 32.

[3]- ابن خلدون، نفسه، ج4، ص 239؛ ابن عذاري، نفسه، ص 35؛ابن عبد الحكم، نفسه، ص 270؛ الزاوي، المرجع السابق، ص 108؛ شنعة خديجة، المرجع السابق، ص40؛ لقبال، المرجع السابق، ص 62.

[4] -ابن عبد الحكم، نفسه، ج1، ص 271؛ ابن خياط، المصدر السابق، ص 270؛ ابن الأثير، نفسه، ج4، ص 136؛ ابن عذاري، نفسه، ج1، ص 38؛ ابن خلدون، نفسه، ج4، ص 23 ؛ النويري، نفسه، ج24، ص20؛السلاوي، نفسه، ج1، ص 43؛ المالكي، نفسه، ج1، ص 55؛؛ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 67 ؛ الذهبي، نفسه، ج5، ص 328؛ = الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، تح: مأمون الصاغرجي، ط11، مؤسسة الرسالة النشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ص 140؛ الباجي، المصدر السابق، ص 75؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم محمحد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، د.ب.ن، 1994م، ص 48؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 24؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 162؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 226؛ الصلابي المرجع

ونفهم من قول صاحب كتاب العبر، أنّ حسّانا يكون قد غيّر من خطّته في حربه الثّانية ضدّ الكاهنة باستخدامه للعيون، قصد الحصول على المعلومات الكافية للإطاحة بها ،ويتضّح ذلك في استعماله لخالد بن يزيد، ليطلعه على أخبار الكاهنة وجيشها[1].

ما يؤكد هذا الكلام أيضا، ما جاء على لسان المالكي:" مالك لا تكتب عن خبر الكاهنة "[2]، في إشارة إلى مطالبة ابن النعمان من خالد بن يزيد، تزويده بأخبار هذه الأخيرة[3].

تمكّن حسّان من تحقيق أهدافه بقضائه على مقاومة والرّوم و البربر، غير أنّ إنجازاته العسكرية لم تتوقف عند هذا الحدّ، بل أخذت طابعا أخر أكثر تنظيما، فمن إصلاحاته العسكرية، أن قام بخطوة جريئة، تمثلت في تجنيد البربر وإدخالهم[4] في صفوف الجيش الإسلامي، مع تحديد عددهم باثني عشر ألفا، قصد إعانته في إتمام عملية

السابق، ج1، ص 300؛ التهامي، المرجع السابق، ص 23 ؛ قطب، المرجع السابق، ص 43؛ ذنون، المرجع السابق، ص 125؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص196؛ لقبال، نفسه، ص 67.

[1] –ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص239؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 37؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 52؛ ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 270؛ ابن الأثير، نفسه، ج4، ص 136 ؛ الرقيق القيرواني، نفسه، ص 48؛ لقبال، نفسه، ص 65؛ بن قربة واخرون، المرجع السابق، ص55 ؛ الصلابي، المرجع السابق، ص 297؛ الثعالبي، المرجع السابق، ص 75.

[2] –المالكي، نفسه، ص 52؛ ابن عبد الحكم، نفسه، ص 270؛ حسين حمودة المرجع السابق، ص 94؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص65.

[3] – استغل حسان عدم انسجام الكاهنة منع البيزنطيين، التي أرادت أن تتخذ موقفا مستقلا معتمدة على نفسها، وهو ما سهل الأمر على حسان من القضاء عليها، ينظر: نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995م، ص40.

[4] – يعتبر حسان بن النعمان، أول من أدخل عناصر جديدة في الجيش الإسلامي الفاتح من أهل المغرب، وكان القادة قبل ذلك الحين، يتجنبون تجنيد أبناء البلاد المفتوحة على هذا النطاق الواسع، فقد كانت الخدمة العسكرية وقفا على العرب، لا يشاركهم فيها احد غيرهم. ينظر: بن قريبة وآخرون، نفسه، ص80.

الفتح[1]، وبذلك يكون حسّان قد زاد من قوة جيشه، فرتّب الأعطيات للجند وسوّى بينهم من غير تمييز[2].

هؤلاء البربر الذين كان لهم الدّور الكبير في استكمال عملية الفتح في بلاد المغرب بشكل نهائي، ومن بعدها الأندلس التي فتحت بجيش معظمه من البربر في عهد موسى ابن نصير [3].

لم يتوقف نشاط حسّان العسكري عند تطويعه للبربر و تطهير المغرب من الوجود البيزنطي، بعد أن أرغمهم على مغادرة البلاد، بل عمل على إنشاء قاعدة بحرية لمنع الرّوم من الإغارة على المسلمين عن طريق البحر[4]، فبني مدينة تونس[5]، الّتي صارت

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 38؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 143؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 20؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 136؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 56؛الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 49؛ الحميري، المصدر السابق، ص 66؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص32؛السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 43؛ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص67؛ ابن قربة وأخرون، نفسه، ص80؛ ذنون، المرجع السابق، ص 126؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص 196؛ الثعالبي، المرجع السابق، ص 77؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 231؛ عبد الحميد حمودة، المرجع السابق، ص 95؛ الزاوي، المرجع السابق، ص 113؛ لقبال، المرجع السابق، ص 67 ؛ شنعة خديجة، المرجع السابق، ص 43.

[2] –المالكي، نفسه، ص56؛ الحميري، نفسه، ص66؛ الدباغ، نفسه، ص67؛ الثعالبي، نفسه، ص 77؛ زغلول، نفسه، ص230؛ ذنون، نفسه، ص 126؛ حسين حمودة، نفسه، ص 95؛ لقبال، نفسه، ص 67.

[3]– نهلة شهاب احمد، المرجع السابق، ص 75–77؛ زيتون، المرجع السابق، ص 57؛ بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص 81؛ الفقي، المرجع السابق، ص 26.

[4]– الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص 302؛ قطب، المرجع السابق، ص 44؛ دنون، نفسه، ص 126؛ الفقي، المرجع السابق، ص 25؛ حسين حمودة، نفسه، ص 98.

[5] –**تونس** مدينة عظيمة قديمة البناء، لها سور عظيم، بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، بينها وبين البحر نحو أربعة أميال، وبينها وبين قرطاجنة نحو عشر أميال، ومرساها تسمى رادس. ينظر: مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص 120.

رباطا يحمي القيروان، ومحرسا بحريا لها[1]، وقاعدة تقلع منها الأساطيل[2]، بعد أن أوصل البحيرة بالبحر من خلال حفره لقناة لذات الغرض[3].

ونظرا لأهميّة القوّة البحرية في صدّ الأخطار الخارجية، أدرك حسّان أنّه أصبح لزاما عليه إنشاء دار لصناعة السّفن[4] في تونس[5]، ومن أجل ذلك كاتب الخليفة عبد الملك بن مروان في الأمر[6]، هذا الأخير أمر بتجهيز الأقباط من أهل المعرفة بصناعة السّفن وإرسالهم إلى إفريقية تلبية للطلب[7]، وقد حرص حسّان على أنّ لا يكون هذا الإنجاز حكرا حكرا على الأقباط وحدهم، بل عمل على إشراك البربر في العملية، حيث كلّفهم بجرّ الخشب لإنشاء المراكب[8].

---

[1]– البكري، المصدر السابق، ص 37؛ الصّلابي، المرجع السابق، ج1، ص 303؛ قطب، المرجع السابق، ص45؛ ذنون، المرجع السابق، ص126؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 163؛زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 232.

[2]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 163؛ لقبال، المرجع السابق، ص 69؛ مؤنس، المرجع السابق، ص 262.

[3]– البكري،، المصدر السابق، ص39؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 57؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 33؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص50؛ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 68؛ لقبال، نفسه، ص 72؛ قطب، المرجع السابق، ص 44.

[4]–الرقيق القيرواني، نفسه، ص 50.؛السلاوي، الصدر السابق، ج1، ص 43؛ المالكي، نفسه، ج1، ص 57؛ عبد العزيز سالم، نفسه، ص 163؛ الفقي، المرجع السابق، ص 25.

[5]–ساهمت تونس بأسطولها البحري في العمليات الحربية خاصة في ما بعد حسان بن النعمان، حيث اتبع ولاة إفريقية سياسة بحرية تهدف إلى فتح الجزر الواقعة غرب المتوسط واتخاذها كقواعد بحرية متقدمة تحمي بلاد المغرب وتنطلق منها الحملات البحرية. ينظر: السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د، ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1969، ص 35.

[6]– البكري، نفسه، ص38؛ الرقيق القيرواني، نفسه، ص 50؛ أبو محمد عبد الله ابن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، د، ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص 06؛ مؤنس، نفسه، ص 262.

[7] –البكري، نفسه، ص 38؛ ابن أبي دينار، نفسه، ص 33؛ الرقيق القيرواني، نفسه، ص 50؛ اليتجاني، نفسه، ص 06؛ سالم والعبادي، المرجع السابق، ص 33.

[8]– البكري، المصدر السابق، ص38؛ مؤنس، المرجع السابق، ص 262؛ نهلة شهاب، أحمد، تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009، ص 10؛العبادي، المرجع السابق، ص 33؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 98.

وبفضل هذه القاعدة، صارت إفريقية قوّة بحرية ذات شأن، تلعب دورين أحدهما دفاعي والأخر هجومي[1].

نتج عن ذلك أن استقرّت البلاد وساد الأمن، وخير تعبير عن هذا الاستقرار، قول صاحب البيان المغرب: "لا يغزو أحدا، ولا ينازعه أحد"[2].

عندها تفرّغ حسّان بن النّعمان، لتنظيم الشّأن الدّاخلي للبلاد، فإنجازاته العمرانية الخالدة، نبدأها من تلك القصور الّتي شيّدها خلال فترة إقامته ببرقة بعد المواجهة الأولى مع الكاهنة، والّتي صارت تعرف باسم قصور حسّان[3]، ولعلّ ما يؤكد اهتمام حسّان بالجانب العمراني ، عمله على تعمير مدينة القيروان واستقطاب الوافدين عليها حتّى كثروا وأمنوا[4]، ليجعل منها عاصمة لإفريقية بديلا عن قرطاجنة[5]، كما قام بتجديد مسجدها الجامع سنة 84هـ/703م[6]، وزاد فيه وحسّنه[7].

أمّا مدنية تونس الّتي سبق الكلام عنها، فقد عمل على تعميرها، ليجعل منها مركزا لاستقبال الأعداد الهائلة من الأقباط، الّذين جاؤا للعمل في القاعدة البحرية، والمقدّر عددهم بألف أسرة[8]، إضافة إلى أعداد هائلة من البربر الذين كلّفوا بالمساعدة[1]، ساهم ذلك ذلك في تبحّر العمران بمختلف ربوعها.

---

[1]– لقبال، المرجع السابق، ص73؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 234.

[2] –ابن عذاري، المصدر السابق ، ج1، ص 38؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 136؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق ، ص 50.

[3]– ابن الأثير، نفسه ، ج4، ص136؛ لقبال، نفسه ، ص 64؛ الصّلابي، المرجع السابق، ج1، ص 299.

[4] –الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 57؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 57.

[5]– زغلول، نفسه ، ج1، ص 229.

[6] –ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص241؛ الدّباغ، نفسه، ج1، ص 56؛ الثّعالبي، المرجع السابق، ص 79.

[7]–المالكي، نفسه، ج1، ص56.

[8]–الرّقيق القيرواني، المصدر السابق، ص50؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 98.

أمّا سياسته الإدارية، فتجلّت في جملة من الإصلاحات منها ضبطه للدّواوين[2]، حيث جعل لكلّ وظيفة من وظائف الدّولة ديوانا[3]، وعيّن عمّالا يقومون بالسّهر على شؤونها من ذوي الكفاءة[4]، ومثال ذلك،اختاره لحسن بن عبد الله الصناعي لتسيير ديوان الصّدقات[5].

وقد تطّلب الأمر آنذاك إنشاء ديوان للجند، سجّلت فيه أسمائهم وأنسابهم ورتبتهم و أعطياتهم، خاصّة بعد انخراط البربر في صفوف الجيش الإسلامي[6]، كما جعل للخراج ديوانا، وأقرّ الجزية[7] على أهل الذّمة من الرّوم والبربر[8]، وأبطل نظام الإقطاع الّذي كان قد فرضه الرّوم على البربر من قبل، وحثّ حسّان النّاس على تجديد الغراسة، وإحياء الأراضي الموات بعد الأضرار الّتي لحقت بها، جرّاء ما قامت به الكاهنة، من تخريب للضّرع والزّرع، زيادة على هذا ، أمر بتوزيع الأراضي على الذين أسلموا ونظّم خراجها[9].

وفي الجانب الإداري دائما، قام بتقسيم المغرب خططا، واختصّ لكلّ قبيلة خطّة تتصرّف فيها، وهذا الأمر يدخل في إطار إشراك البربر في تسيير شؤون البلاد[10].

---

[1]– البكري، المصدر السابق، ص 38؛ حسين حمودة، نفسه، ص 98.

[2] –ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 271؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 38؛ الرقيق القيرواني، نفسه ، ص 50؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 56؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 43.

[3]– الصلابي، المرجع السابق، ص 303؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص210.

[4] –حسين حمودة، نفسه ، ص96؛ خطاب، نفسه، ج1، ص 211.

[5] –المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 57؛ حسين حمودة، نفسه، ص 96.

[6]– زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 229؛ حسين حمودة، نفسه، ص ص 96، 97؛ لقبال، المرجع السابق، ص 73.

[7]–فقد أقدم حسان على فرض الجزية على من بقي منهم على دين النصرانية، ولم يكرهم على اعتناق الدين الإسلامي امتثالا لقوله تعالي: «**لا إكراه في الدين"** سورة البقرة الآية»: 256.

[8]– ابن عبد الحكم، نفسه، ج1، ص 271؛ ابن عذاري، نفسه، ج1، ص 38؛ السلاوي، نفسه، ج1، ص 43؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 239.

[9]–المالكي، نفسه، ج1، ص 56؛ الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص67 ؛ الثعالبي، المرجع السابق، ص 78؛ حسين حمودة، نفسه، ص 97؛ العبادي، المرجع السابق، ص 45؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 164.

[10]–الرقيق القيرواني، المصدر السابق ، ص 21 ؛ مؤنس، المرجع السابق، ص 275.

وقد توسّعت إصلاحاته، لتشمل الجانب المالي، وذلك بإقدامه على إصلاح العملة مع إعطائها الطّابع الإسلامي، إذ عمد إلى ضرب نقود جديدة، حذف منها كلّ ما له علاقة بقيصر البيزنطيين والصّليب القرطاجي، و وضع صورة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد على أحد أوجهها[1]، كما حافظت هذه العملة الجديدة على قيمتها وزنا وشكلا بالمقارنة مع الدّينار القرطاجي المتداول به سابقا[2].

أمّا في الجانب الاجتماعي، فنلمس اهتمامه الكبير، بكلّ ما من شأنه أن يقويّ روابط العلاقة بين الفاتحين والسّكان المحليين، معتمدا في ذلك على سياسة المساواة، وهو ما جعل البربر يدخلون في دين الله أفواجا، كما عمد حسّان إلى نشر العادات والتّقاليد العربية داخل المجتمع المغربي، الذي أصبح يتّسع لأكثر من عنصر[3]، وتتّفق المراجع على أنّ حسّانا يعدّ أوّل من أعطى المغرب طابعا عربيا إسلاميا بعد تحريره من البيزنطيين[4].

وقد أبدى حسّان اهتماما بالغا بتعليم البربر مبادئ الإسلام، حيث بثّ في أوساطهم من يفقههم في دينهم من علماء وفقهاء[5]، كما عمل على نشر اللّغة العربية بينهم، فجعل منها اللّغة الرّسمية لبلاد المغرب[6]، ومن خلال الآية القرآنية الآتية نفهم العلاقة القائمة

---

[1]–زيتون، المرجع السابق، ص154؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 98.

[2] –حسين حمودة، نفسه، ص 98.

[3] –ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص؛ 136؛ذنون، المرجع السابق، ص ص 126، 125؛ لقبال، المرجع السابق، ص 74؛ الصلابي، المرجع السابق، ص188.

[4]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 164؛ العبادي، المرجع السابق، ص 45.

[5]–ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 38؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص231؛ حسين حمودة، نفسه، ص 96.

[6]– الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص 305.

بين القرآن واللّغة العربية﴿**إنا جعلناه قرأنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾[1]، إذ لا يمكن للبربر فهم معاني القرآن وقواعد الدّين الإسلامي، وهم على جهل باللّغة العربية.

وأهمّ ما يمكن استنتاجه من إصلاحات حسّان بأرض المغرب، قيامه بتطهير البلاد من الوجود البيزنطي، كما استطاع تحيّيد البربر، باستمالتهم تارة و بالمواجهة العسكرية تارة أخرى، أدّى ذلك إلى انتشار الدّين الإسلامي إلى جانب اللّغة العربية على نطاق واسع في أرجاء البلاد.

لقد كان لإصلاحاته الواسعة، أثرها الواضح في تنظيم شؤون المغرب، في شتى المجالات، حيث مهّد الطّريق لمن جاء بعده، فلم يواجه موسى بن نصير صعوبة كبيرة في إكمال عملية الفتح كالتي واجهها من سبقوه في ذلك، والملاحظ أيضا، أنّ خلال فترة حكم حسّان، بدأت تتّضح فيها ملامح الدّولة بمفهومها السّياسي على أرض المغرب وكولاية مستلقة عن مصر، بديلا عن حياة الفوضى القبلية التي كان يغرق فيها المجتمع البربري من قبل.

4-موسى بن نصير(89هـ-97هـ/706م-712م):

يعدّ موسى بن نصير[2] من أقدر وأكفأ ولاّة بني أمية الذين تولوا حكم بلاد المغرب، حيث اجتمعت فيه صفات جميع القادة الذين سبقوه، فاجتمع فيه حزم عقبة بن نافع، ولين أبي المهاجر دينار، وذكاء ودهاء حسّان بن النّعمان.

---

[1]- سورة الزخرف، الآية: 03.

[2]-**موسى بن نصير**، أبو عبد الرحمان، اللخمي بالولاء، صاحب فتح الأندلس، كان من التابعين، رضي الله عنهم، و روى عن تميم الداري، رضي الله عنه، وكان عاقلا، شجاعا، كريما، ورعا تقيا لله تعالى، لم يهزم له جيش قط.تم تعيينه واليا على افريقية و المغرب، أيام الخليفة الوليد بن عبد المللك بن مروان، سنة 89 هـ.ينظر : ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص ص 318، 319؛ ينظر : الرقيق القيرواني، المصدر السابق، هامش ص 51.

لقد كان فارسا شهما ذو كفاءة، إضافة إلى حسن تفقهه وتمسّكه الشّديد بالدّين، وهو ما أهّله لتقلّد مناصب إدارية وأخرى سياسية، قبل مجيئه إلى أرض المغرب، الذي سجّل بها تاريخا حافلا بالانتصارات.[1]

فبعد عزل حسّان بن النّعمان عن ولاية المغرب، ولي مكانه موسى بن نصير، الذي خطب مرة في جيشه قائلا: "..إنّما أنا رجل كأحدكم، فمن رأى منّي حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها، ومن رأى مني سيّئة فلينكرها.."[2]، فمن خلال هذا الخطاب، يكون قد وضع الخطوط العريضة لسياسته العامّة، خاصة وأنّ بلاد المغرب، قد شهدت اضطرابات بعد رحيل حسّان بن النّعمان عنها، مما خلق جوا من التمرّد والفوضى.[3]

كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية متردية، حيث اشتدّ القحط وارتفعت الأسعار مما استوجب على موسى بن نصير إيجاد حلول لهذه المعضلة، والقيّام بإصلاحات من شأنها إخماد نار الفتنة وتهدئة الأوضاع، فقام موسى في النّاس، وأمرهم بالصّلاة والصّوم وإصلاح ذات البين[4].

وبما أنّ الأمن والاستقرار، هما أساس قيام الدّول وازدهارها، فقد جعل ابن نصير نصب عينه عامل الاستقرار في المقام الأوّل، وكما سبق الذّكر فإنّ ولاية موسى قد عرفت في بدايتها اضطرابات وتمرّدات، قام بها البربر وبقايا الرّوم وأزلامهم، مما استوجب

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 39؛ قطب، المرجع السابق، ص 303–305؛ محمد عبد الغني حسين، موسى بن نصير، د ط، دار المعارف، مصر، 1957، ص100؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 165.

[2]– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج2، تح: على شيري، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص73 ؛ الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص 311؛ إبراهيم أحمد العدوي، موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د ب ن، 1967، ص33؛ لقبال، المرجع السابق، ص 84.

[3]–السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 112؛ الفقي، المرجع السابق، ص 26.

[4]–ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص 44؛ السلاوي، المصدر السابق ج1، ص 44؛ عبد الرحمن حسين العزاوي، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 43.

عليه إعادة الأمور إلى طبيعتها، ولم يتحقّق له ذلك، إلاّ بقطع دابر الفتنة ، كي يستطيع القيام بإصلاحات تعود بالفائدة على المنطقة كلّها.

وممّا يوحي أنّ هذا القائد، كان عازما على الفتح الشّامل، وكسر شوكة المتمردين، ما جاء في قوله: "وإيّم الله لا تريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله أرفعها ويذلّ أمنعها ويفتحها على المسلمين"[1]، فأوّل عمل عسكري حسب له، هو فتح قاعدة[2]زغوان[3] بعدما قام بتأمين منطقة القيروان[4]، التي اتّخذها موسى منطلقا لعمليات الفتح من جديد، إذ تمكّن من القضاء على القبائل المتمرّدة، بكلّ من المغرب الأوسط والأقصى[5].

فأرسل حملة عسكرية بقيادة عيّاش بن أخيل إلى قبائل هوارة و زناتة من أجل إعادة فتح المغرب الأوسط، وقد أسدى موسى بن نصير إلى قائد الحملة جملة من التّوصيات حثّه فيها على معاملة البربر بالحسنى، خاصّة تلك القبائل الرّاغبة في الصلح، مع ترك تدبير شأنها بيد أناس من أهلها[6]..

وكان لهذه السّياسة نتائجها المثمرة، حيث سمحت للبربر بالانخراط في العمل الجهادي، والمشاركة في عملية الفتح جنبا إلى جانب مع إخوانهم العرب، كما مكّنتهم

---

[1] –الدينوري، المصدر السابق، ج2، ص73؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 240؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 167.

[2] –ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 40؛ الدينوري، نفسه، ج2، ص 73؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 103؛ محمود عبد الغني، المرجع السابق، ص 16؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص 229.

[3] –**زغوان**، جبل منيع بإقليم إفريقية، يسمى كلب الزقاق لظهوره وعلوه، واستدلال المسافرين به أينما توجهوا، وبزغوان قرى كثيرة، أهلة، كثيرة المياه و الثمار والبساتين، منها قرية فندق على مرحلة من تونس، صار هذا الجبل مأوى للصالحين وخيار المسلمين..ينظر:البكري، المصدر السابق، ص 46.

[4] –الدينوري، نفسه ، ج2، ص73؛العدوي، المرجع السابق، ص 34.

[5] –ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 276؛ السلاوي،، المصدر السابق ، ج1، ص 44؛ مؤلف مجهول، أخبار المجموعة، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ص 15.

[6] –الدينوري، نفسه ، ج2، ص 76؛ ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص 41؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 139

أيضا من الإطّلاع على الهدف الحقيقي الذي جاء من أجله الفاتحون، وهو نشر الدّين الإسلامي لاغير، و هو ما زاد من عدد الدّاخلين في الإسلام من أهل البلاد.[1]

والجدير بالذّكر، أنّ موسى بن نصير قد اتّبع في فتحه للمغرب الأقصى خطّة حربية خاصّة، إذ قام بتوزيع نشاطه الحربي في شتى الجهات والمناطق في وقت واحد، كي يخيف ويربك أعداءه[2].

وبعد أن حقّق هذا النّجاح الباهر، وسّع من دائرة فتوحاته أكثر في بقية أنحاء بلاد المغرب، حيث خرج بنفسه غازيا في أنحاء طنجة، يريد من بقيّ من البربر حتى بلغ السّوس الأدنى، فاستأمن البربر ودخلوا في طاعته، وبعدها قفل عائدا إلى إفريقية، وفي طريقه أمر أحد أعوانه وهو بشر بن فلان بمحاصرة قلعة مجانة ففتحها، ولم يبق بعد ذلك من ينازعه، فعمّ الأمن واستقرت النّاس وانبعثت الحياة من جديد[3].

لم تقتصر الفتوحات على الميدان البرّي فقط، بل نقل نشاطه إلى الميدان البحري أيضا، فإلى جانب تقويّة أسطوله البحري، قام بتوسيع دار صناعة المراكب البحرية مستغلا في ذلك وفرة الأخشاب الصّالحة لبناء السفن، كما شقّ قناة تربط بين ميناء رادس ومدينة تونس.

وتجمع الكثير من المصادر والمراجع، أنّ هذا العمل، يكون قد قام به حسّان بن النّعمان من قبل.. كما أرسل موسى بن نصير من ينوب عنه في فتح جزر البحر كجزيرة ميورقة، وصقلية، وسردانية وغيرها من الجزر[4].

---

[1]– العدوي، المرجع السابق ، ص39؛ حسين حمودة، المرجع السابق ، ص105.

[2]–حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 2008، ص ص 50، 51 ؛ العدوي، نفسه، ص 40.

[3]– ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 232؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 252.

[4] –ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص42؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 44 ؛ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص33؛ الدينوري، المصدر السابق، ج2، ص81؛ الفقي، المرجع السابق، ص27.

استطاع بفضل هذه القوّة البحرية أن يشلّ حركة الأسطول البيزنطي، ويتقدّم بكلّ اطمئنان نحو فتح الأندلس للإسلام، بعد أن ضمن سلامة خطوط مواصلاته البحرية من خطر البيزنطيين[1]، ومن جهة أخرى فقد أحسن اختيار القائد المناسب لهذه المهمّة، فوليّ طارق بن زياد[2] و منحه سلطات عسكرية وسياسية و أخرى إدارية على منطقة طنجة، ممّا ساهم في انتشار الإسلام بهذه المناطق، وقد ترك فيهم موسى بن نصير عددا غير قليل من الفاتحين، ليعلموا البربر القرآن وفرائض الإسلام.[3]

وعند هذا الحدّ، تكون أقاليم بلاد المغرب قد خضعت لعمليات الفتح، أمّا سبتة عاصمة يوليان، فلم تعد هناك الحاجة ملحّة لإخضاعها، وبهذا يكون موسى بن نصير قد قطف ثمرة إنجازات القادة الذين سبقوه وأضافها إلى نجاحاته الخاصة، لتزيده شرفا على شرف.. بعدها شرع في تنظيم القيروان، وتحويلها من قاعدة عسكرية إلى مركز إداري وسياسي وثقافي، ينافس أكبر مدن المشرق الإسلامي[4].

---

[1]– التهامي، المرجع السابق، ص24؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 112؛ قطب، المرجع السابق، ص 317؛ لقبال، المرجع السابق، ص 88؛ العدوي، المرجع السابق، ص 45.

[2]–**طارق بن زياد** بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن تفراو فهو نفزي بربري، و قيل أن أصله فارسي من همذان، وقيل أنه عربي من قبيلة صدف، ذكر أنه من سبي البربر، وكان مولى موسى ابن نصير. ينظر: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ج1، تح: ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989 م، ص27 ؛ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص 43.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 239؛ ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص 42؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص21؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 52؛ السلاوي، المصدر السابق ، ج1، ص 44؛ قطب، نفسه، ص 313؛ زغلول، المرجع السابق ، ج1، ص 244؛ لقبال، نفسه ، ص83؛ خطاب، المرجع السابق، ج1، ص 237.

[4]–إبراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، ط3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م ، ص 63.

نتج عنها تأمين ظهر الدّولة الإسلامية من جهة الغرب، كما خلقت جيلا من المجاهدين خبروا كلّ أنواع القتال البّري منه والبحري حتى عدّ الغزو عندهم احترافا[1]، ولم تعد بعدها الحاجة إلى أيّ مدد عسكري يأتي من المشرق.

لقد مهّد فتح المغرب واستقراره، الطّريق لفتح الأندلس[2]، الذي يعد أكبر عمل عسكري ينسب إلى موسى بن نصير وطارق بن زياد، وماترتّب عنه من انتشار للإسلام في هذه الرّقعة من أوروبا، نتج عنه قيام حضارة بأرض الأندلس أبهرت البشرية، دامت زهاء ثمانية قرون.

لما تولّى طارق بن زياد حكم طنجة[3]، راسل يليان حاكم سبتة[4] ولاطفه حتى تهاديا[5] فكسب ودّه واستماله إليه[6]، وانتهى الأمر أن أدّى يليان خدمات جليلة للمسلمين وكان له الدّور الفعّال في فتح الأندلس[7]، عندها ركب طارق البحر إلى الأندلس منتهزا لفرصة أمكنته، فتمكّن من دخولها وأمعن فيها، وكان ذلك سنة 92هـ/710م، ثمّ إنّ موسى واصل

---

[1]–بيضون، المرجع السابق ، ص 70.

[2]–**الأندلس** جزيرة ذات شكل مثلث، في أخر الإقليم الرابع إلى المغرب، يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث، والأندلس دار جهاد وموطن رباط، افتتحت على يد طارق بن زياد ومولاه موسى بن نصير، سنة 92هـ/911م، أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك، ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص32–35.

[3]–**طنجة**، مدينة على ساحل المغرب، مقابل الجزيرة الخضراء، وهي من البر الأعظم ببلاد البربر، وهي مدينة أزلية أثارها ظاهرة، بناؤها بالحجارة، قائمة على البحر، والمدينة عامرة على ميل من البحر وليس لها سور، وهي على ظهر جبل، بينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد، وبينها وبين القيروان، ألفا ميل. ينظر: ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص43..

[4]–**سبتة**، بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، ومرساها أجود المراسي على البحر، وهي على بر البربر، تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب مابين البر و الجزيرة، وهي مدينة حصينة، تشبه المهدية التي باءفريقية. ينظر، الحموي، نفسه ،ج3، ص 183.

[5]– ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص277؛زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 249.

[6]–نجيب زبيب، المرجع السابق، ص 49.

[7]–زغلول، نفسه، ج1، ص 249؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 182.

عملية الفتح بمعيّة طارق، ثم رتّب أمورها وأمّر عليها من يقوم بشؤونها قبل أن يغادرها إلى دمشق[1].

يرى البعض أنّ ولاية موسى بن نصير كانت عسكرية بامتياز، كان الهدف منها ضمان استقرار الأوضاع بالمنطقة، غير أن المتتبّع للأحداث ، يدرك أنّ هذه الإنجازات العسكرية ، قد رافقتها إصلاحات إدارية وثقافية واجتماعية وأخرى مالية لا يمكن إنكارها.

ففي الجانب السياسي، أصبحت بلاد المغرب والأندلس، تساس من القيروان، واستّقلت عن وصاية والي مصر، إذ صارت مرتبطة مباشرة بدار الخلافة[2].

أمّا في الميدان الإداري، فبعد أن استقرت الأوضاع، أتمّ موسى التّنظيمات الإدارية لبلاد المغرب، وقسّمه إلى ولايات، وجعل لكلّ ولاية حاكما عليها، فإفريقية قاعدتها القيروان، أمّا المغرب الأوسط، فجعل من تلمسان قاعدة له، أمّا طنجة، فكانت قاعدة للمغرب الأقصى، كما جعل من سجلماسة قاعدة لمنطقة السّوس[3].

وفي الشأن المالي، حرص على إصلاح النّظام المالي، بضربه للسّكة في كلّ من المغرب والأندلس، بغية تحقيق السّيادة النّقدية، حيث ضرب عملة برونزية وأخرى نحاسية بإفريقية، يعود تاريخها إلى 92هـ/710م، أمّا في الأندلس، فبادر إلى سكّ دنانير ذهبية وعملة برونزية، ليدفع منها مرتّبات الجند ويتعامل بها المسلمون في تلك البلاد[4].

---

[1]–عبد الله بن محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار المغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص 23–25.

[2]–ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 35؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص21؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 177؛ مؤنس فتح العرب للمغرب، ص ص 271، 272؛ نجيب زبيب، المرجع السابق، ص 43.

[3] –العزاوي، المرجع السابق، ص ص 44، 45.

[4]– محمد باقر الحسيني، تطور النقود العربية الإسلامية، ط1، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1969، ص 53–57؛ مؤنس، المرجع الساق، ص 275.؛ حفيظ دنيا، المرجع السابق، ص 166

وفي الشّق الاجتماعي، اقتدى موسى بن نصير بقادة الفتح الذين سبقوه، أمثال حسّان بن النّعمان وأبي المهاجر دينار، على إزالة الحواجز العرقية في تولية العمّال بالمناصب الإدارية والعسكرية، وهو ما يضمن إحداث الألفة بين مكوّنات مجتمع المغرب الإسلامي البشرية، وقد كان لسياسة المساواة والإخاء التي ترسّخت إبّان فترة حكم موسى بن نصير أثرها الكبير في استمالة البربر واندماجهم مع العرب[1] و التّعاون معهم.[2]

أمّا في الأندلس، فكان الامتزاج الحضاري والاجتماعي مفقودا في ظلّ حكم القوط القائم على تناقضات سياسة واجتماعية، ناهيك عن الاضطهاد الدّيني، وهو انعكاس واضح للسّياسة التي كان ينتهجها ملوك القوط، الذين فشلوا في تحقيق مجتمع موحّد العقيدة، قائم على العدل والمساواة[3]، الأمر الذي اشتغل عليه موسى بن نصير ومن خلفه في الحكم ، من أجل تكوين مجتمع واحد موحّد، دينه الإسلام، قائم على العدل و المساواة، متعدّد العرقيات .

لكن موسى بن نصير، استطاع بما لديه من دراية واسعة في القيادة، ونباهة في إدارة الشّأن العام[4]،أن يمزج الأجناس بعضها ببعض، فأحسن المعاملة وطبّق المساواة، التي كان عنوانها "**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**".[5]

---

[1]–يعبر عن هذا التعاون الدكتور سعد زغلول في قوله:" وأن الذي ميز فتح الأندلس عن غيره من الفتوح العربية هو إشراك أهل المغرب والمقصود بهم البربر في هذا العمل العظيم، اذ نجح البربر إلى جانب العرب في أداء رسالتهم، وهي نشر الإسلام في أوروبا، فبذلوا النفس والنفيس من أجل إعلاء كلمة الحق". ينظر: زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 250.

[2] –زغلول، المرجع نفسه، ج1، ص 245؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 287.

[3]–بيضون، المرجع السابق، ص 68.

[4] –يظن البعض أن موسى بن نصير كان شديدا، واستخدم القوة والبطش والفتك بالأعداء، لكنه قائد عرف كيف يكون شديدا في موضع الشدة، ولين في موضع الين، ولم تكن تنقصه الحيلة، ولا الدهاء ولا الحنكة السياسية. ينظر: يحيى شامي، موسى بن نصير، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2005، ص ص40، 41.

[5]–حفيظ دنيا، المرجع السابق، ص 121.

ومن النّاحية الثّقافية والدّينية، ساعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب[1]على انتقال مجتمع المغرب من حكم الرّوم الغاشم، إلى حكم إخوانهم العرب المسلمين، أدّى ذلك إلى تخلّي أهل المغرب عن الوثنية والشّرك، واعتنقوا الدّين الإسلامي السمّيح، حتّى صار المغرب بمثابة درع الأمّة الإسلامية وثغرها المتقدّم[2].

كما لعبت الكتاتيب التّي أنشأها موسى بن نصير، دورا هامّا في نشر التّعليم بين البربر، الذين أقبلوا على هذه الكتاتيب بأعداد كبيرة، يتعلّمون فيها اللّغة العربية التي سهّلت لهم تدبّر القرآن، فأصبحت العامل المشترك بين العرب والسّكان الأصليين.[3]

وقد عمل على بناء مساجد جديدة، كتلك التي في أغمات[4]، وزاد أن ترك فيهم عددا من العرب المتفقهين في الدّين، يعلّمون البربر القرآن ومبادئ الإسلام في هذه النّواحي[5]. وحسب "جورج مارسيه"، فإنّ موسى بن نصير، قد قام بتحويل الكنائس التّي لم تعدّ لها وظيفة إلى مساجد، وهو ما يتّفق مع قول حسين مؤنس أيضا.[6]

---

[1]– أما ما تذكره كتب المستشرقين من أن الغنائم والدوافع المادية، هي التي دفعت المسلمين إلى فتح الاندلس، فهو ادعاء لا أساس له من الصحة، فالهدف كان أسما وأبعد، يتمثل في نشر الدين الإسلامي في هذه الرقعة المفتوحة من أرض أوروبا أما الغنائم فهي مجرد تحصيل حاصل، ينظر: خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب في الأندلس، ط، 1دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص 146.

[2]–حفيظ دنيا،المرجع السابق ، ص 122.

[3] –جاسم لطيف جاسم، الإنجازات الحضارية والفكرية للوالي موسى بن نصير في المغرب والأندلس(مقال)، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، اعدد 11، آذار 2013، ص 104.

[4]–**أغمات**، ناحية من بلاد البربر، وهي رستاق عظيم من أرض المغرب، قرب مراكش، وهي مدينتان متقابلتان، كثيرة الخيرات و التجارة، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل، ومن سجلماسة، ثماني مراحل نحو المغرب. ينظر: الحموي، المصدر السابق ، ج1، ص225؛ ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ط2، دار صادر، بيروت، 1938م، ص91.

[5] –الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص69، 70:ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص344–352؛ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص42 ؛ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص220.

[6]–مؤنس، المرجع السابق، ص280؛ جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 44.

لقد تمخّض عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، جملة من الإصلاحات، كان أثرها الإيجابي واضحا على جميع الميادين.

ففي المجال السّياسي، ساهم الفاتحون في توسيع الرّقعة الجغرافية للدّولة الإسلامية حتى أصبحت من بين أكبر الدّول في ذلك الزّمان، وهذا بعد أن تمكّنوا من طرد وإزالة الوجود البيزنطي من بلاد المغرب، وبه تحرّر البربر من كل أشكال الظّلم والاستعباد.. وبالتّالي إخراجهم من حكم القبيلة إلى نظام الدّولة الواسع الأفق، كما جعلوا من بلاد المغرب ولاية إسلامية تدار من القيروان.

أمّا فيما يخص الشّأن الاقتصادي، فقد أدخل الفاتحون إصلاحات اقتصادية على قلّتها، شملت أساسا تقسيم الأراضي على النّاس وتنظيم الخراج الخ..انعكست بالإيجاب على أهل المغرب كما ساهمت في غنى الدّولة الإسلامية وثرائها.

وفي الميدان الاجتماعي، أدّت سياسة المساواة بين المسلمين دون تمييز، إلى الاندماج الاجتماعي، والذي تمثّل في انصهار العرب ، الأفارقة و البربر..في مجتمع واحد وموحّد.

وفي الجانب الدّيني، تمّ نشر الدّين الإسلامي على نطاق واسع، وإخراج أهل المغرب من ظلمات الشّرك والوثنية إلى نور الإسلام ، وقد رافق هذا الإصلاح الدّيني إنجازات في الشّق الثقافي ، حيث عمل قادة الفتح على نشر لغة القرآن على نطاق واسع في أرجاء البلاد ، التي صارت فيما بعد لغة العلم والحضارة، كما صاحبها انتشار واسع للثّقافة الإسلامية باعتبار الإسلام مصدر للثّقافة والحضارة معا.

أمّا إداريا، فقد تمّ تقسيم البلاد إلى ولايات، لكلّ منها حاكم عليها، كما أصبح لبلاد المغرب عاصمة تساس منها تغنيها عن مصر، كما ألحقت الأندلس إداريا ببلاد المغرب وجعلت من اشبيلية عاصمة لها، ثم قرطبة لاحقا.

والإنجاز المشترك بين جميع قادة الفتح، هو أسلمة المغرب وتعريبه، بدءا بحملات الفاتحين الأولى، ثمّ أخذ البناء الإسلامي لهذه البلاد يزداد تدريجيا مع كل حملة.

وعسكريا، يمكن اعتبار حملة عقبة الأولى تمدينية، أمّا الثّانية فكانت عسكرية جهادية بامتياز، ناهيك عن حملة أبي المهاجر دينار، التي كانت مغايّرة تماما لسياسة عقبة،إذ شهدنا أولى مظاهر الاندماج الاجتماعي، المتمثّل في التّمازج العربي البربري.

بينما فترة حسّان بن النّعمان، فكانت الأكثر إصلاحية في شتى المجالات، والملاحظ أيضا أنّ سياسة موسى بن نصير، كانت مشابهة لتلك التي اتّخذها عقبة بن نافع، إذ ركز على الجانب العسكري في فتوحاته، غير أن عودته إلى المشرق، لم تسمح له بتقديم إصلاحات مهمّة، مع ذلك فإنّ أكبر إنجاز يحسب له، هو فتحه للأندلس ونشر الدّين الإسلامي في ربوعها و في أجزاء أخرى من أرض غالية، كما توّجت أعماله العسكرية أيضا، بنقل الصّراع من داخل المغرب إلى خارجه لمواجهة القوط الغربيين، نتج عنه تهدئة الجبهة الدّاخلية بأرض المغرب.

المبحث الثّاني :نماذج من إصلاحات الولاّة.

يقصد بعهد الولاّة، تلك الحقبة الزّمنية من تاريخ الحكم الإسلامي لبلاد المغرب، الّتي تلت عودة موسى بن نصير إلى دمشق، بعد استدعاءه من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة 96هـ/715م وإلى غاية قيام الدّول المستقلة عن الخلافة[1].

هذه الفترة، الّتي يقال عنها أنّها تميّزت بتعدّد الأزمات وعدم الاستقرار، كانت نتيجتها ظهور وحدات سياسية تحمل مفهوم الدّويلات المستقلة.

يرى الكثير أنّ فترة حكم الولاّة ببلاد المغرب، هي صفحة سوداء في تاريخ المغرب الإسلامي، إذ نجدهم يركزون على الثّورات والحروب والتّمردات والصّراعات العصبية دون الاهتمام بما بذله هؤلاء الولاّة من جهود وإصلاحات، في سبيل تغيير الأوضاع نحو

[1]– الصلابي، المرجع السابق، ص: 469.

الأفضل، حيث كانت سياسة بعض الولاّة إصلاحية بامتياز، كونها تحمل مبادئ الرّسالة المحمدية الّتي تضمن الحقوق الدّينية والدنيوية معا، وفي هذا الصدد، نجد الجواب الشّافي عند الصحابي ربعي بن عامر، عن سؤال رستم ملك الفرس حين قال له: "ما الذي جاء بكم ؟ فأجاب: جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد، إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدّنيا إلى سعة الدّنيا والآخرة"[1].

غير أنّ هذه السّياسة، لم تكن لتخلو من تجاوزات ومظالم، ساهمت بطريقة أو بأخرى في ظهور الثّورات، من أجل تغيير الأوضاع وإصلاحها والحد من تجاوزات الولاة وعمالهم، وكذا رفض كلّ أنواع وأشكال الفساد.

إنّ السّياسة الإصلاحية بدت واضحة، منذ مطلع ق2ه/8م، وهي مرتبطة بتولية الخليفة عمر بن عبد العزيز– رضي الله عنه– الحكم، فبالرغم من فترة حكمه القصيرة، إلاّ أنّ نتائجها الإيجابية، ساهمت في تغيير الأوضاع نحو الأفضل ببلاد المغرب في شتّى الميادين، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا، وهو ما سنتناوله لاحقا.

بوفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة 99ه/717م، تولّى أمر المسلمين ابن عمه عمر بن عبد العزيز[2] –رضي الله عنه– و الذي كان همّه الأكبر، إقامة العدل وإصلاح شأن الأمّة الإسلامية، ولمّا كانت بلاد المغرب جزءا لا يتجزأ من أمة الإسلام، فقد حظيّت

---

[1]– أبو الفداء، عماد الدين بن كثير، البداية والنهاية، ج7، ط1 مكتبة دار المعارف، بيروت، 1990م، ص39؛ ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 29.

[2]–**عمر بن عبد العزيز** بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ والعلامة المجتهد، الزاهد العابد أمير المؤمنين القرشي الأموي المدني ثم المصري، كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين، ولد سنة ثلاث وستين للهجرة، ولي عمر المدنية في خلافة الوليد ابن عبد الملك من سنة ست وثمانين إلي سنة ثلاث وتسعين، وبويع بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك عن عهد منه بذلك، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام، وكان حكما عادلا ورعا دينان ولا تأخذه في الله لومة لأهم، توفي يوم الجمعة من شهر رجب سنة 101ه. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص 104؛ ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، تع: أحمد عبيد، ط6، عالم الكتب، بيروت، 1984م، ص 24؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص 676.

باهتمام الخليفة الذي عمل على إدخال إصلاحات جذرية، لم يسبق وأن شهدت لها البلاد مثيلا.

فسياسيا، أصاب كثيرا في اختياره لولاّة الأقاليم، فقد أحسن الاختيار في تعيين وال جديد على بلاد المغرب من أهل الصلاح و رعاية مصالح الدّولة والرّعية[1]، ألا وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[2]، اقتداء بقوله تعالي﴿ **قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت و إليه أنيب**﴾[3]. وقد ذهب بعيدا في إصلاحاته المالية، فأسقط الجزية على كلّ من دخل في الإسلام[4].

وكي لا يطمع الولاّة في المال العام، نجده قد عمل على رفع أجورهم ليحقق لهم الكفاية[5]، فأغنى بهذه السّياسة النّاس، حتى أن عامله بإفريقية، لم يجد بها فقيرا يأخذ منه الصدقة[6].

كما لم يتردّد الخليفة عمر بن عبد العزيز– رضي الله عنه– في عزل الولاّة الذين استوجب عزلهم ، وتولية مكانهم من رأى فيهم الصلاح والتّقوى، ولم يقتصر الأمر على بلاد المغرب فقط، بل على جميع أقاليم الدّولة الإسلامية[7].

---

[1]– عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ط2، الدار العلمية، بيروت، 1971م، ص 157.

[2]– ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص287؛ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج4، ص 109؛ ابن كثير، نفسه، ج12، ص 659؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 30؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص 62.

[3]–سورة النساء، الآية: 114.

[4]–أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص 131.

[5] –ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 45.

[6]– نفسه، ص65.

[7]– حسين حمودة، المرجع السابق، ص126.

ومن شدّة حرصه على مصالح الأمّة، فقد حصر الوظائف في الدّولة الإسلامية على المسلمين دون سواهم[1]، الأمر الذي منح للّغة العربية مكانة وقوّة، إذ سعى الكثير من البربر وغيرهم إلى الدخول في دين الإسلام والاجتهاد في تعلّم اللّغة العربية، من أجل فهم معاني القرآن وتدبّره من جهة، و من أجل الحصول على الوظائف من جهة أخرى.

يقول حسين مؤنس:"فإنّ أهل المغرب كانوا في حاجة إلى لغة يتفاهمون بها كلّهم وطريقة يكتبون بها ما يريدون كتابته، ويبدو أن إقبالهم هذا، كان عظيما، واسع المدى لأنّ كثير منهم لم يلبثوا أن اتّجهوا إلى المشرق للإستزادة من العلم والتّثبّت من اللغة"[2].

كانت البعثة العلمية التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز من المشرق، تتكوّن من أهل العلم والفضل وقد حققت أهدافها الإصلاحية إلى حدّ بعيد، فالمعروف أنّ بلاد المغرب كانت تعاني من قصور في فهم الأمور الشّرعية، حيث كانت الخمر حلالا بإفريقية حتّى وصل هؤلاء التّابعيينّ فبيّنوا تحريمها[3].

وعصر ولاّة بني أمية ببلاد المغرب، يبدأ بولاية محمد بن يزيد القرشي (97هـ-99هـ/715م-717م)، إذ و بعد عزل موسى بن نصير عن ولاية المغرب، من طرف الخليفة سليمان بن عبد الملك، أقدم هذا الأخير على تعيين رجل صاحب دين وعقل وحنكة وعدل، يحسن التّعامل مع الرّعية دون التفريط في مصلحة الدّولة، يتعلق الأمر بمحمد بن يزيد القرشي[4]، وأوصاه بتقوى الله وحسن العمل، فقال له: "يا محمد، اتّق الله وحده لا شريك له وقم فيما وليتك بالحقّ والعدل، اللّهم أشهد"[5].

---

[1]-ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص 140.

[2]- مؤنس، المرجع السابق، ص299.

[3] -ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 48.

[4]-الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 93؛ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص47 .

[5]- ابن عبد الحكم، نفسه ، ج1، ص 287؛ ابن عذارى، نفسه، ج1، ص 47؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص ص 29؛ الرقيق القيرواني، نفسه، ص 60؛ لقبال، المرجع السابق، ص 103.

فعمل بما أوصاه الخليفة، فكان له دور مشهود في نشر الإسلام بين البربر، إذ أحسن التّعامل معهم وبالطّريقة التّي يفضلونها، فعمّ الهدوء والاستقرار والوئام والألفة بين المتساكنين، بفضل ما التزم به محمد بن يزيد من عدل ومساواة[1]، وهو ما سهّل عليه الأمر للتّفرغ لأمور أخرى، فأعاد ترتيب البيت الأندلسي إداريا، ويتجلّى ذلك في تعيين الحرّ بن الرحمن الثّقفي على إدارة شؤون الأندلس، هذا الأخير الذي نقل دار الحكم من اشبيلية إلى قرطبة[2]، أمّا اجتماعيا، نجده قد وفّق إلى حدّ بعيد في تنظيم الأمور وتسكين النّواحي الثّائرة، والفضل في ذلك يرجع إلى سياسته الحكيمة وأخلاقه السّامية، فمن شيّمه أنّه كان يعف عند المغنم[3].

1- إسماعيل بن أبي المهاجر(99هـ-101هـ/717م-719م):

تدعمت السّيرة الحسنة للخليفة عمر بن عبد العزيز بقدوم الوالي إسماعيل بن أبي المهاجر(99هـ-101هـ) إلى أرض المغرب، والذي عرفت فترة حكمه إصلاحات واسعة ومتميّزة، كان لها أثرها الإيجابي على العباد والبلاد معا.

كان ابن أبي المهاجر خير وال وخير أمير[4]، عرف بحسن السّيرة والتّدبير، فلم يبق بربريا في ولايته إلاّ وأسلم[5]، وهو ما يبيّن حرص إسماعيل على نشر الإسلام بين ساكنة المغرب.

---

[1] -السّلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 46؛ ابن عذارى، المصدر السابق ، ج1، ص 47؛ فاطمة عبد القادر رضوان، المغرب في عصر الولاة الأمويين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، 1984م، ص 36؛ لقبال، نفسه، ص 103؛ الرّقيق القيرواني، المصدر السابق ، ص 58.

[2]- ابن عذارى، نفسه، ج1، ص 47؛ النّويرى، المصدر السابق ج24، ص 30؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 25.

[3] -ابن عذارى، نفسه ،ج1، ص 47؛ الرقيق القيرواني، نفسه ، ص 61.

[4] -ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص 48؛ النويري، نفسه ، ج24، ص 30؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 116؛ الصلاّبي، المرجع السابق، ص 470؛ الرقيق القيرواني، نفسه ، ص 62؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 264؛ مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 295؛ حسين حمودة، نفسه ، ص 125؛ السلاوي، نفسه ، ج1، ص 46.

[5]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 287؛ ابن عذارى، نفسه، ج1، ص 48؛ النويري، نفسه، ج24، ص 30 ؛ الرقيق القيرواني، نفسه، ص 02240؛ المالكي، نفسه، ج1، ص 116؛ الدباغ، المصدر السابق، ص 203؛

ولما كان اهتمام الخليفة عمر بن العزيز بالشّأن المالي بالغ الأهميّة، فقد عمل على إيجاد حلّ وتسوية لبعض المعضلات التي أحدثت تضاربا وتناقضا بين السّياسة المالية والدّينية[1]، لذلك حرص والي المغرب الجديد، على تطبيق إصلاحات الخليفة المالية بحذافرها، وقد منحت له صلاحيات واسعة حيث أصبح يجمع بين الحرب والخراج والصّدقات.

فبداية ،نجده قد ميّز أرض الصلح عن تلك المفتوحة عنوة، فترتّب عن ذلك أن خفت الأعباء المالية على أهل المغرب، كما عمل على إلغاء ما كان متّبعا في السّابق من جزية، معتمدا في ذلك على مبدأ المساواة بين جميع المسلمين دون تمييز عرقي[2].

اعتنى الوالي إسماعيل بأمر المغرب من كلّ جانب، فنشطت الزّراعة والتّجارة معا، وعمرت الأسواق وعرفت البلاد وإزهارا كبيرا لم تشهده من قبل.

وكان شديد الحرص على تعليم البربر، أمور دينهم وتثقيفهم، ومن أجل ذلك، شّيد مساجد كثيرة في مختلف بقاع المغرب، وعيّن فيها الفقهاء بهدف الوعظ والإرشاد، كما أنشأ بجانب كلّ مسجد مدرسة لتعليم أبناء البربر اللّغة العربية وأصول الدّين الإسلامي. نتج عن ذلك أن تفقه البربر في دينهم، فعرفوا الحلال من الحرام وتقيّدوا بما أمر به الله ، ولتحقيق هذا المبتغى أرسل الخليفة مع واليه على بلاد المغرب، بعثة علمية لنشر العلم والدّين الصّحيح، عرفت بالبعثة العمرية[3].

ساعد وجود مثل هؤلاء الأعلام من دعاة وفقهاء ببلاد المغرب، على انتشار الإسلام على نطاق واسع في ظرف وجيز، بعدما عجزت الأمم السّابقة كالرّوم، الوندال

السلاوى، نفسه، ج1، ص ؛ مؤنس، نفسه، ص 295؛ حسين حمودة، نفسه، ص125؛ زعلول، نفسه، ج1، ص 264؛ الصلابي، نفسه، ج1، ص 470.

[1]– زغلول، المرجع السابق ، ج1، ص261؛ لقبال، المرجع السابق، ص 104.

[2] –ابن عبد الحكم، المصدر السابق ،ج1، ص287؛ زغلول، نفسه ، ج1، ص ص 263، 264.

[3]–ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص48 ؛ دبوز، المرجع السابق، ج2، ص ص 187 –188؛ الثعالبي، المرجع السابق، ص 118.

والبيزنطيين، من نشر شرائعهم الدّينية إلا في حدود ضيّقة، اختصرت في عمومها على المدن السّاحلية[1].

ومن أجل ضمان حقوق الرّعية من الضّياع، أدخل إصلاحات واسعة في ميدان القضاء، إذ تمّ اختيار عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني لهذه المهمّة، وكان هذا الأخير رجل علم ودهاء وصلاح وورع، فنظّم القضاء، وكان يرجع إليه في النّوازل الكبرى التي تستعصى على فروعه حلّها، وبقيّ عبد الله قاضيا على بلاد المغرب، إلى زمن ولاية كلثوم بن عياض، الذي شهدت حقبته فسادا كبيرا، فاعتزل صاحبنا القضاء[2].

وحتّى بعد عزله سنة 101هـ/719م، لم يتوقف ابن أبي المهاجر، عن نشاطه الدّعوي إلى دين الإسلام، ولم يبرح جلسات العلم في مساجد القيروان، التي عدت القيروان وقتئذ مركز إشعاع فكري وحضاري، بفضل نشاط الفقهاء من أمثال إسماعيل بن أبي المهاجر وغيره...[3]

عرفت فترة ما بعد إسماعيل بن أبي المهاجر و إلى غاية زوال ملك الأمويّين حالة من عدم الاستقرار السّياسي والأمني، ممّا أدّى بالولاّة إلى الاهتمام بالجانب الأمني أكثر على حساب المجالات الأخرى، لكن هذا لا يعني عزوفهم عن إصلاح شؤون البلاد والرّعية، بل عرفت بلاد المغرب في خضم هذه الأوضاع السّائدة، جملة عن الإصلاحات العمرانية والاقتصادية، كان القصد منها تحسين أمور الرّعية في حدود ما تسمح به الظّروف الأمنية و السّياسية السائدة في ذلك الوقت.

لمّا أيقن الخليفة يزيد بن عبد الملك أنّ المغرب لا يدخل في الطاعة إلّا بالعدل والمساواة والمعاملة الحسنة، ولّى عليه بشر بن صفوان الكلبي سنة 103هـ/721م، وكان وقتئذ قد حسن إسلام البربر، وتفقهوا في الدّين، فعرفوا ما لهم وما عليهم، فعاملهم بشر

---

[1]– خطاب، المرجع السابق، ص168–174.

[2]– دبوز، المرجع السابق ، ج2، ص192، 193.

[3]– شكري فيصل، المجتمعات الإسلامية في القرن 1هـ، ط3، مطبعة الملايين، بيروت، 1973م، ص179، 178.

باللّين والحسنى وهو ما زاد من حبّ البربر له، فأطاعوه واستقرت الأوضاع، عندها تفرّغ الوالي بشر ابن صفوان لبناء المغرب علما وعمرانا، فازدهر التّعليم وانتشرت اللّغة العربية بين البربر بشكل واسع، كما عرفت كلّ من التّجارة والفلاحة إلى جانب الصّناعة ازدهارا كبيرا عاد بالرّخاء والنّعم على ساكنة بلاد المغرب [1].

لم يغفل بشر عن شأن الأندلس، فعيّن عليها يحيى بن سلمة الكلبي سنة 107هـ/724م بعد استشهاد عنبسة بن سحيم، فأصلح شأنها وأعاد تنظيم أمورها، كما عمل على تأكيد سيادة المسلمين على البحر المتوسط، من خلال الحملات العسكرية التي كان يرسلها كل سنّة إلى جزر سردانية، صقلية وكورسيكا، ليخرجها من ظلمات الشّرك إلى نور الإسلام من جهة، وكي تكون قاعدة تابعة للقيروان تحمي سواحل المغرب من جهة أخرى ، مما يعني أنّ الأسطول البحري في عهد بشر قد بلغ مرحلة القوّة[2].

بعد بشر جاء عبيدة بن عبد الرحمن السلمي سنة 110هـ/727م ليتولّى إدارة المغرب، وكانت سياسيته مبنيّة على العصبية والعنف، الأمر الّذي أغضب الخليفة هشام بن عبد الملك، فأمر بعزله[3]، واستعمل مكانه سنة 116هـ733م عبيد الله بن الحبحاب هذا الأخير وبالرّغم ما ارتكبه من أخطاء سياسية وتعسّفه ضدّ البربر، إلاّ أنّ لمسته الإصلاحية كانت واضحة رغم قلّتها، فمن أبرز أعماله الخالدة، إتمامه وتجديده لمسجد تونس الذي عرف فيما بعد بجامع الزّيتونة[4]،الّذي اختلفت المصادر و المراجع في أوّل

[1]– دبوز، المرجع السابق، ج2، ص 207، 208.

[2] –ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص 291؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 49؛ دبوز، المرجع السابق ، ج2، ص 210؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 271، 272.

[3]– ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص 51؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص241؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص 31؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 210؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 68–70؛ ابن عبد الحكم، نفسه ، ج1، ص291–293؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 47، 48؛ الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص 475؛ زغلول، نفسه ، ج1، ص 273–278؛ حسين عودة، المرجع السابق، ص 130؛ فاطمة عبد القادر، المرجع السابق، ص 70–72.

[4]– ابن عبد الحكم، نفسه ، ج1، ص 293؛ ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص 51؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج24، ص 31؛ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج4، ص210 . القيرواني، نفسه ، ص 71.

من بناه[1]، هذا المسجد الّذي أضحى منارة للعلم ونشر اللّغة العربية في بلاد المغرب، كما صار حصنا ورباطا للمسلمين[2]، إلى جانب ذلك اتّخذ دارا لصناعة المراكب البحرية من أجل تقويّة الأسطول البحري[3] الذي كان محلّ اهتمامه الكبير حيث نظمه وزاد من عدد سفنه، كما انتهج سياسية بحرية واضحة وهادفة من أجل فتح جزر البحر المتوسط[4] ، فعمل على تقويّة سلطان الدّولة في المنطقة، واجتهد في تنميّة موارد المغرب المالية من خلال الاستمرار في سياسة الغزو البحري[5].

وفي الميدان الإداري، أدخل ابن الحبحاب بعض التّغييرات ، مقتديا في ذلك بالوالي موسى بن نصير في تعيّين عمّاله على الأقاليم، فعيّن أبناءه وأقاربه على الجهات الخاضعة لحكمه، وقد نجد لهذا السّلوك ما يبرّره، فربّما كان من أجل كسب الولاء، إذ كان لهؤلاء العمّال دور هام في مواجهة الحركات الخارجية، وقد يبرّره أيضا الخوف من أيّ حركة انفصالية، وهو ما حدث فعلا مع موسى بن أبي خالد[6].

---

[1]– فهناك من المصادر التي تشير إلي أن ابن الحبحاب هو من بني مسجد الزيتونة. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق ، ج1، ص 51؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج4، ص 241؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق ، ص 71؛ النويري، المصدر السابق ، ج24، ص 31، ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ج1، ص271؛ المالكي، المصدر السابق ، ج1، ص 56.

[2] –محمد حسيني، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، د.ط، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م، ص 135، 136؛ فاطمة عبد القادر، نفسه، ص 76.

[3]– ابن خلدون، نفسه ، ج4، ص 241؛ النويري، نفسه ، ج24، ص 31؛ الرقيق القيرواني، نفسه ، ص 71؛ محمد الصلابي، المصدر السابق ، ج1، ص 471 ؛ زغلول، المصدر السابق ، ج1، ص280.

[4]– ديوز، المرجع السابق، ج2، ص214؛ زغلول، نفسه ، ج1، ص 279.

[5] –زغلول، نفسه ، ج1، ص 279؛ لمياء أحمد شافعي، المغرب الأدنى في عهد ولاة بني العباس حتى قيام الأغالبة (132هـ–184هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1410هـ، ص 29.

[6]– ابن عبد الحكم، نفسه ، ج1، ص 293؛ النويري، نفسه ، ج24، ص 31؛ ابن خلدون، نفسه ، ج4، ص 241؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 48؛ لقبال، المرجع السابق، ص 116، 117؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 133.

وأهم ما يمكن ملاحظته في ولاية ابن الحبحاب ، هو بروز إفريقية على حساب ولاية مصر، لتصبح هذه الأخيرة تتبع إفريقية، بعد أن استخلف ابن الحبحاب ابنه على مصر[1].

فكلّ ما قدّمه الوالي ابن الحبحاب من إصلاحات، إلاّ أن البربر لم تكن لترضى بسياسته التّعسفيّة وبتجاوزات عمّاله، حيث اعتبرت من أهم دوافع اندلاع ثورة البربر سنة 122هـ/739 م، والّتي كانت ذات أبعاد إصلاحية، كما تعدّ أيضا ردّة فعل على الأوضاع المتردّية الّتي ألت إليها البلاد من جهة، وبدافع الغيرة على الدّين الإسلامي الذي أصبحت أحكامه وحرماته تنتهك جهارا نهارا من طرف العمّال وحتى الولّاة من جهة أخرى[2]، ومثال ذلك عمر بن عبد الله المرادي الّذي أراد تخميس البربر واعتبارهم فيء المسلمين، وهو ما لم يقم به أحد من قبل، زيادة على عشق البربر للعدل والمساواة اللّذين رافقا عملية الفتح وإلى غاية وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز[3].

لقد حرص سكّان بلاد المغرب على أن لا يعاملهم الفاتحين معاملة شعب خاضع محكوم، لذلك لم يتردّدوا في إعلان الثّورة ضدّ بعض الحكام، الّذين حاولوا الإنقاص من قيمتهم، واعتبارهم رعايا يجوز التّصرف فيهم كما يشاؤون[4].

إنّ سياسة الظّلم والاستبداد الّتي انتهجها بعض ولاّة بني أميّة، ساهمت بشكل كبير في تأزّم الأوضاع خاصّة مع ظهور حركة الخوارج[5] على أرض بلاد المغرب[6]، فشعار

---

[1]– لقبال، المرجع السابق ، ص 117.

[2]–ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ج1، ص293؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 73؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 52؛ النويري، المصدر السابق ، ج24، ص 31؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج4، ص 231؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 225؛ زغلول،المرجع السابق ، ج1، ص 283؛ دبوز، المرجع السابق، ج2، ص209؛ الثعالبي، المرجع السابق، ص 135.

[3] –محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1976م، ص ص 30، 31؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج1، ص 300؛ زغلول، نفسه ،ج1، ص 286.

[4] –مؤنس، المرجع السابق، ص276.

[5]–ينظر الملحق رقم: 01.

[6]– فاطمة عبد القادر، المرجع السابق، ص160.

هؤلاء الخوارج كان الإصلاح والدّعوة للعمل بالكتاب والسنّة[1]، لكن رأى البعض في هذا الشعار، حق أريد به باطل[2].

على الرّغم من معاناة البربر من ظلم وتعسّف ولاّة بني أمية وعمّالهم، إلاّ أنّهم لم يكونوا متسرّعين للثّورة، بل نجدهم قد فكروا في إصلاح الأمور سلميا بدل اللّجوء إلى الحرب، وهو ما قام به زعيم قبيلة مطغرة"مسيرة"، الذي ذهب إلى دمشق بمعية وفد له من البربر، قصد إبلاغ الخليفة ما يعانيه أهل المغرب، محاولين بذلك معرفة مصدر هذه السّياسية المطبّقة عليهم، متّبعين في ذلك مبدأ "لا نخالف الأئمة بما تجنيه العمال"[3].

يرى ابن عذارى أن للخلفاء دور فيما حدث، إذ كانوا يستحبون طرائف المغرب، فيبعث لهم عامل المغرب بالبربريات السّنيات[4].

2- حنظلة بن صفوان(124هـ-126هـ/"740م-742م):

لما فشل ابن الحبحاب في مهمّته، قام الخليفة هشام بن عبد الملك بعزله، وولّى مكانه كلثوم بن عياض سنة 123هـ/739م، لكنّه قتل في بداية مشواره من نفس السنة[5].

---

[1]- زغلول، المرجع السابق ، ج1، ص286.

[2]-نفسه، ص286.

[3] -الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 254؛ الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص 471؛ الثعالبي، المرجع السابق، ص 137.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص52.

[5]- الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص 119؛ ابن عماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شدرات الذهب في أخبار من ذهب، ج2، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988م، ص 96؛ الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 77؛النويري، المصدر السابق، ج24، ص 32 ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 226 ؛ زغلول، نفسه ، ج1، ص 298؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 141، أما الطبري فيذكر أنه قتل سنة 122هـ.ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص1381.

لمّا اشتدّ خطر الخوارج بأرض المغرب، أسرع الخليفة هشام بن عبد الملك الذي وصفه أبو جعفر المنصور برجل القوم[1]، بإرسال حنظلة بن صفوان الكلبي، وعهد له بولاية المغرب سنة 124هـ/740م[2].

وقد كانت له وقائع مشهودة ضدّ الخوارج الصّفرية، إذا استطاع في ظرف وجيز من كسر شوكة هذه الفرقة، بقضائه على أبرز زعمائها وهما: عكاشة الصّفري الخارجي وعبد الواحد بن يزيد الهوّاري، وأنقذ بذلك القيروان من خطر السقوط بأيدي الصفرية، وقد عبّر عن هذا النصر اللّيث بن سعد قائلا:« ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر، أحب إليّ من غزوة القرن والأصنام»، نظرا لأهميتها وأثرها على النّفوس من كلا الجانبين[3]، كما قام بتأديب خوارج طرابلس الذين اعتدوا على أهل الذّمة[4].

لم تذكر لنا كتب التّاريخ إنجازات لحنظلة في ميدان الإنشاء والتّعمير، بيد أنّه بادر إلى إعادة تنظيم البيت المغربي وإصلاح ما أفسدته الحرب، غير أنّ عدم الاستقرار السّياسي وتسارع الأحداث، حال دون تحقيق ما كان يصبو إليه حنظلة، الذي كان خيّرا في سلوكه، لدرجة أنه آثر التّنازل على الولاية لعبد الرحمن بن حبيب الفهري اتّقاء للفتنة وحقنا لدماء المسلمين[5].

---

[1]–زغلول، المرجع السابق ، ج1، ص : 141.

[2] –ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1 ص298؛ابن عذاري، المصدر السابق ، ج1، ص 58؛ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 40؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 51؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 227؛ حسين حمودة، المرجع السابق ، ص142.

[3]– ابن عبد الحكم، نفسه ، ج1، ص 300؛ ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص 59؛ النويري، المصدر السابق ، ج24، ص 34؛ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج4، ص 227؛ الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص113؛ الثعالبي، المرجع السابق، ص 143.

[4]– زغلول، نفسه ،ج1، ص309.

[5]– ابن عبد الحكم، نفسه ، ج1، ص 300؛ ابن عذاري، نفسه ، ج1، ص 60 ؛النويري، نفسه ، ج24، ص34؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 242؛ الزاوي، نفسه ، ص 114؛ الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص 483.

وكان للبعثة العمرية دور ديني وأخر سياسي، فقد استنجد بهم حنظلة واستشارهم حين ثار عليه الخوارج، فوجّهوا رسالة[1] لمسلمي المغرب، كان لها صدها في إخماد نار الفتنة[2].

وما يمكن استنتاجه من فترة عصر ولاّة بني أمية، أنْ عرفت بلاد المغرب إصلاحات واسعة مسّت مختلف المجالات، و تجلّت بصورة واضحة في سنواتها الأولى، وبدرجة أقلّ في الفترة التي تلتها، حيث عرفت فترة عصر الولاّة أزهى أيّامها في عهد الوالي إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر دينار، بفضل سياسية العدل والمساواة، والتي سار عليها فكان لها الأثر الإيجابي على سكان بلاد المغرب، وقد نتج عنها انتشار للإسلام على نطاق واسع بين البربر واستمرار حركة التّعريب، حتى صارت العربية اللّغة الرّسمية للبلاد، وقد ساهمت عملية أسلمة البربر في امتزاج الدّماء بين هؤلاء البربر والعرب الفاتحين، ممّا أدّى إلى التّعريب الجنسي الذي بدت أثاره واضحة فيما بعد، كما ساد الأمن والاستقرار أرجاء البلاد، ومن جهة أخرى، عرفت هذه الفترة إنشاء المدن وبناء المساجد التي أضحت حلقات العلم والفقه لا تغيب عن باحاتها، وقد كان للبعثة العمرية دورها الهام في ترسيخ الدّين الإسلامي الصحيح في نفوس البربر، وبذلك صارت بلاد المغرب أمّة واحدة موحّدة، رغم اختلاف الأجناس والعرقيات، يجمعها الدّين الإسلامي السّمح أوّلا وبلاد المغرب ثانيا.

ومن جانب أخر، فقد قام الوالي إسماعيل بن عبيد الله بإسقاط الجزية عن البربر باعتبار أن بلاد المغرب فتحت صلحا، فخفّت بذلك الأعباء المالية على أهل المغرب.

كما عرف القضاء إصلاحات ملموسة، حيث تمّ اختيار لهذه المهمّة الحسّاسة أهل الدّهاء، الصلاح، الورع والعلم.

---

[1]–ينظر الملحق رقم: 02.

[2] –المالكي، رياض النفوس، ج1، ص:103؛ لقبال، المرجع السابق، ص 133؛ فاطمة عبد القادر، المرجع السابق، ص49؛ التهامي المرجع السابق، ص 35.

وفي المجال الاقتصادي، ازدهرت الفلاحة وراجت التّجارة ونشطت الأسواقّ، ممّا عاد بالنّفع على البلاد والعباد، إلى جانب هذا عرف الميدان الإداري تنظيما واسعا.

المعروف أن فترة ما بعد الوالي إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عرفت اضطرابات وعدم الاستقرار، لكن بالرّغم من هذا فقد قدّم بعض الولاّة إصلاحات في حدود ما تسمح به الظّروف، كتجديد جامع الزيتونة الذي ينسبه البعض لابن الحبحاب.

وكان لهذه الاضطرابات دورها في ظهور حركة الخوارج بسلبياتها و إيجابياتها على السّاحة ببلاد المغرب، حيث حملت بعض الثّورات شعار المساواة بين جميع المسلمين دون تمييز.

لذلك عمل بعض الولاّة، على تقويّة مركز الخلافة في بلاد المغرب، خاصة أيام الفتن، وقد حاول الخلفاء بدمشق معالجة الأوضاع المتردية، وذلك بتعيين ولاّة من ذوي الكفاءة والحنكة، أمثال حنظلة بن صفوان الذي خلّص القيروان من الخوارج الصفرية..

اهتم بعض الولاّة بمجالس العلم، إذ لم يكن العلماء بمعزل عن السياسية، حيث كان لهم دور سياسي أثناء قيام ثورة الخوارج، فقد أخذ حنظلة برأيهم في مواجهة هذه الفتنة.

بعد التّوسّع البّري، سعى بعض الولاّة إلى التّوسع البحري، وذلك في خلال القيّام بغزوات بحرية لجزر صقلية وسردينيا.. من أجل نشر الإسلام في ربوعها.

لم تكن فترة عصر الولاّة كلّها سلبية، كما يروّج لها بعض المستشرقين، وبعض المؤرخين، الذين ركزوا على الجانب السّلبي، وعلى أخطاء بعض الولاة، وعمّموها على هذه الفترة الحسّاسة من الحكم الإسلامي لبلاد المغرب.

3- عبد الرّحمن بن حبيب(127هـ-137هـ/742م-751م):

أمّا عبد الرّحمن بن حبيب ، فقد استأثر بالحكم لنفسه سنة 127هـ/742م بعد أن تنازل له حنظلة بن صفوان طواعية خشية الفتنة، فنراه قد خلع البيعة لبني أمية وأعلن ولاءه لبني العباس، فأقرّه الخليفة العباسي على حكم المغرب وكان ذلك سنة

135هـ/749م، وقد بذل جهودا مضنية من أجل القضاء على الخوارج الّتي ثارت ضدّه[1] ، وذلك باستعمال الحيلة والخديعة تارة، والسّياسة وحتّى الجوسسة تارة أخرى[2] ، وله عبارة مشهورة لخّصت محتوى الرّسالة الّتي بعثها إلى أبي جعفر المنصور «إن إفريقية اليوم إسلامية كلّها، وقد انقطع السّبي منها فلا تسألني ما ليس من قبلي»[3].

نفهم من هذا الكلام ،أن بلاد المغرب لم تعد كما كانت في السابق مجرد مورد للسّبي وتحصيل الضرائب، بل هي مصرا قائما بذاته، له مقوماته وحرمته.

فلما تغلّب عبد الرحمن على إفريقية، عمل على تأمين طرابلس من خلال تجديد سورها ونقل النّاس إليها من كل مكان[4].

وبما أنّ الماء مصدر حياة كلّ شيء، فقد عمد عبد الرحمن بن حبيب إلى حفر سلسلة من الآبار على الطريق الرّابط بين واحات إفريقية و أودغست بصحراء المغرب الأقصى، مما سهل على المسلمين عبور الصحراء من أجل نشر الإسلام هناك.

فبفضل هذا الطريق الذي أصلحه ابن حبيب، انتعشت التّجارة وكثرت حركة القوافل وانتشر الإسلام بشكل واسع في ديار صنهاجة الجنوب[5]، والملاحظ أنّ هذا الطّريق لم يكن مألوفا قبل أن يقوم ابن الحبيب بإصلاحه.

---

[1]– للتذكير فإن هذه الاضطرابات والثورات لم تكن خاصة بالخوارج فقط، بل كانت صنيعة كل من العرب من أهل الجماعة بقيادة ابن عطفان الأزدي والبربر بقيادة ابن الوليد، إضافة إلى الخوارج بعربها وبربرها بصفريها وإباضيتها ".

[2] –ابن عذاري، المصدر السابق، ج1،ص ص61، 62؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص242، 243؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 53؛ الصلابي، المرجع السابق، ج1، ص 483 ؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص ص 317، 318.

[3] –المالكي، المصدر السابق، ج1، ص165 ؛ النويري، نفسه، ج24، ص 35.

[4]– القيرواني، المصدر السابق، ص 129؛ الصلابي، نفسه ، ج1، ص483.

[5]–البكري، المصدر السابق، ص 157؛ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.ن، ص 68؛ محمد بن عميرة، الموارد المائية و طرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004م/2005م، ص217.

ولما قتل عبد الرحمن، صار الأمر لابنه حبيب الذي لم يبخل على مقارعة ورفجومة وقائدهم ابن جميل، الذي أحدث يومئذ فتنة كبرى، بادعائه النّبوة، فاجتاح القيروان وأقدم على تخريب المساجد وانتهاك الحرمات.[1]

لم تنعم بلاد المغرب في هذه الفترة بالأمن والاستقرار، نتيجة تردّي الأوضاع السّياسية والأمنية، ممّا صعب على الولاّة وعمّالهم القيّام بأعمال إصلاحية، التي من شأنها تحسين المستوى المعيشي للرّعيّة، فكان همّهم الوحيد إخماد نار الفتنة وتثبيت حكم الخلافة على أرض الواقع بكلّ الوسائل، فهذه الفترة كانت من أصعب وأحلك الفترات في تاريخ المغرب ، خاصّة وأنّها وقعت بين فترة انحلال الدّولة الأموية وبداية قيام الدولة العبّاسية التي عرفت صعوبة كبيرة، لتثبيت أقدامها على أرض المغرب.

فمحمد بن الأشعث الخزاعي، الذي أقرّه الخليفة أبو جعفر المنصور على ولاية المغرب سنة 142هـ/755م ، قد لعب دورا بارزا في تخليص طرابلس والقيروان من قبضة الإباضية.

ومن أجل سلامة وأمن القيروان، أمر محمد بن الأشعث ببناء سور يحميها، وبالغ في تحصينها[2]، وربّما تكون الحرب وإخماد نار الفتنة و التمرّدات.. قد شغلته عن العمران والثّقافة ومجالات أخرى.

---

[1] –ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 70؛ ابن خلدون المصدر السابق، ج4، ص 243، 244؛السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص55؛ الزاوي، المرجع السابق، ص:119.

للتذكير فإن أول من حاول الاستقلال بأمر المغرب وإخراجه من حضيرة الخلافة هو عبد الرحمن بن جيب (127هـ-137هـ)، لكنه فشل في مسعاه، بسبب تدخل الخلفية أبي جعفر المنصور من جهة واستفحال أمر الخوارج من جهة أخرى. بنظر: عبد الله العروي، محل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م، ص 146.

ملاحظة: مما يدل على دهاء عبد الرحمن بن جيب وحنكته السياسية، أنه استطاع الحفاظ على ولاية المغرب والتأقلم مع الظروف السياسية المضطربة آنذاك، حيث استطاع كسب ود الأمويين إلي جانب العباسيين ولو إلى حين.

[2]– النويري، المصدر السابق، ج24، ص 40؛ ابن عذارى، نفسه ، ج1، ص73؛ ابن عماد، المصدر السابق، ج2، ص 247؛ دبوز، المرجع السابق، ج3، ص32؛ الزاوي، نفسه ، ص124.

4- يزيد بن حاتم بن قبيصة (142هـ-160هـ/755م-772م):

بتأمّر يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الملهب بن أبي صفرة على إفريقية، استطاع إلحاق الهزائم بالخوارج وتقليص نفوذهم، ولمّا استتبّ الأمن واستقرت الأمور، قام بواجبه الإصلاحي، فأزال الفساد من البلاد وأصلحها، فبني المسجد الأعظم بالقيروان ثم جددّه ووسعه سنة 157هـ/ 769م، كما أدخل إصلاحات واسعة على المجالين التّجاري والصّناعي، حيث قام بتنظيم وترتيب أسواق القيروان، فخصّص لكل صناعة سوقا، كما أعاد تمصير القيروان من جديد ،وأبعد عن المدينة الصناعة التي تضرّ بها، لتكون عاصمة تضاهي المدن الشرقية كتلك الموجودة في مصر وفارس..[1].

فنعمت البلاد بالاستقرار والسّكينة، بفضل ما قدّمه هذا الوالي الشّديد الحرص على رعيّته، وقد كان اهتمامه بالغا بالقضاء، حيث عمل على نشر العدل في إفريقية، حتّى لا يظلم النّاس ولا تضيع حقوقهم، فاجتهد كثيرا في اختيار من هو أجدر بمهمّة القضاء، من ذوي الكفاءة وغزارة العلم، إضافة إلى صفات الورع والزّهد والصلاح..وقد وقع اختياره على بعض من توفرت فيهم الشّروط ، منهم أبو خالد عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم المعافري السّفياني، الّذي يعدّ من أكبر المحدّثين[2]، وليّ القضاء أيّام بني أميّة، ثمّ ولاّه الخليفة العبّاسي أبو جعفر المنصور القضاء مرّة أخرى نظرا لكفاءته وحكمته وعلمه بشؤون القضاء[3]، قيل عنه أنّه كان قاضيا عادلا، صلبا في قضائه[4]، سار في أهل القيروان سيرة أهل العدل وأقام فيهم الكتاب والسنّة[5].

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق ، ج1، ص ص 78، 79؛ النويري، المصدر السابق ، ج24، ص 46 ؛ السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 58؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص364-369.

[2]- خليفة ابن الخياط، كتاب الطبقات، تح : أكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة العاني بغداد، 1967م، ص 296؛ أبو العرب محمد بن أحمد التميمي المغربي، طبقات علماء إفريقية، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2012م، ص 234.

[3]- المالكي، المصدر السابق، ،ج1، ص152.

[4] -أبو العرب، نفسه ، ص 27.

[5]-الرّقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص 166، 167.

ترك القضاء بسبب خلاف مع الوالي يزيد بن حاتم حول مسألة قضائية[1]، إضافة إلى عبد الرحمن بن زياد هناك يزيد بن الطفيل التجيني، الذي كان له الفضل في نشر العدل بين الناسّ، وكان عالما فقيها يرجع إليه في المسائل المستعصية ، وقد عزله يزيد بن حاتم على إثر أمر تنظيمي لا علاقة به بالقضاء، رأى فيه الوالي تقصيرا في الحرص على أسرار الناس[2]، وهو ما يفسّر حرص الوالي واهتمامه بديوان القضاء[3].

وقد حظيّ العلماء والفقهاء بقدر عال ومنزلة رفيعة عند هذا الوالي، نظرا لمجوداتهم المبذولة في تعليم النّاس وإرشادهم وتوجيههم لأفق السّبل، خاصة وأنّهم عرفوا بالصّلاح والعبادة والورع، كما كانوا لا يخشون في الله لومة لائم، ولو تعلّق الأمر بالوالي نفسه. ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر، عبد الله بن فروخ الفارسي[4]، وأبو يزيد رباح بن يزيد رباح اللّخمي[5]، ولمكانتهم العالية، نجد أن الوالي قد حرص على حماية هؤلاء العلماء والفقهاء وإنصافهم ممن يتعرّض لهم أو يسئ إليهم[6].

وكان لسياسته الرّشيدة التي ساس بها أهل المغرب، أثرها الإيجابي في ازدهار التّجارة والصّناعة إلى جانب العلوم، فقد عرف التّعليم في عهده ازدهارا كبيرا، حيث انتشرت المدارس في كل أرجاء البلاد، وصارت المساجد تتخصّص في علم الشريعة الإسلامية ومختلف العلوم، كما وجدت الحضارة العبّاسية والفارسية بابا تدخل منه إلى بلاد المغرب، إذ كان لها تأثير على حضارته خاصّة فيما يتعلّق بتنظيم المدن[7].

إنّ أهم ما يمكن استخلاصه من فترة حكم ولاّة بني العبّاس لبلاد المغرب مايلي:

---

[1] –الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص ص 234، 235.

[2] –المالكي، المصدر السابق ، ج1، ص 172؛ زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 366.

[3]–لمياء الشافعي، المرجع السابق، ص 159.

[4]– أبو العرب، المصدر السابق ، ص235 ؛ لمياء شافعي، نفسه، ص 159.

[5]–الدباغ ، نفسه ، ج1، ص 253؛ أبو العرب، نفسه ،ص 210؛ المالكي، نفسه ، ج1، ص 300.

[6]– لمياء شافعي، نفسه ، ص 159.

[7]– دبوز، المرجع السابق، ج3، ص ص90، 91.

استفاد ولاة بنو العباس من أخطاء الأمويين فتجنّبوها، لذلك نجدهم قد سارعوا إلى إصلاح الأوضاع المتردّية بإفريقية الموروثة عن ولاة بني أمية، ويتجلّى ذلك في إرسال الخلافة لأفضل ولاّتها إلى القيروان، وقد تمكّن هؤلاء الولاّة من كسر شوكة الخوارج الصّفرية وطردها من إفريقية، كما قاموا بإبعاد الإباضية عن محيط حكمهم، إضافة إلى إخماد الثّورات المناوئة لهم، فتحقّق بذلك الأمن والاستقرار في البلاد.

اكتفى ولاّة بنو العباس، بالسّيطرة على منطقة جغرافية، تمثلت في منطقة إفريقية أو ما يعرف بالمغرب الأدنى، ولم تغامر جيوشهم وراء هذه الحدود، لأنّهم كانوا يعرفون قوّة الخوارج وردّة فعل البربر، لكن رغم الفتن والثّورات، إلاّ أنّ الولاّة اجتهدوا كثيرا من أجل إصلاح أحوال إفريقية في شتى المجالات، نتج عن ذلك، أن عرفت القيروان تطوّرا ملحوظا وأخذت مكانتها كعاصمة لإفريقية، تضاهي بعض عواصم العالم الإسلامي الأخرى.

عرفت فترة حكم الوالي يزيد بن حاتم، أزهى فترات حكم بنو العبّاس لإفريقية، ويمكن مقارنتها بفترة حكم إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وبفترة حكم حسّان بن النّعمان، بفضل ما قدّمه من إصلاحات واسعة ومميّزة في شتى الميادين، كالقضاء والعمران والاقتصاد، كما برز دور العلماء في إرشاد وتوجيه النّاس إلى الطّريق المستقيم، وكذلك في التّصدي للفتن وكل مظاهر التطرّف.

وقد شهد العصر العبّاسي في هذه المرحلة ببلاد المغرب، أولى محاولات التأليف الفقهي وإرساء قواعد الفكر الإسلامي، على يدّ مجموعة من العلماء والفقهاء، الذين بذلوا جهودا عظيمة، في سبيل نشر الثقافة الإسلامية التي أنتجت فيما بعد حضارة وفكرا.

ويمكن اعتبار فترة حكم الولاّة إلى غاية قيام الدّولة الرّستمية، على أنّها فترة حرجة اتّسمت بالإضطرابات وعدم الإستقرار، بسبب سياسة بعض الولاّة الّتي لقيّت معارضة شديدة من قبل البربر الّذين قاوموها بشتّى الوسائل.

وتركّزت مهام الولاّة في هذه المرحلة عموما على الحفاظ على الأمن والإستقرار بالدّرجة الأولى، حيث كان مقياس نجاحهم في الولاية، هو القضاء على التّمردات وتطويع العصاة، مما عرقل نوعا ما عملية الإصلاح.

إلاّ أنّ هذه الأوضاع المتردّية، لم تمنع بعض الولاّة من القيّام بأعمال إصلاحية جليلة، مثّلت الجانب المشرق لسياسة الخلافة ببلاد المغرب، كما عبّرت أيضا عن مدى كفاءة بعض الولاّة الّذين أوكلت لهم مهمّة إدارة شؤون هذه البلاد وتثبيت أركان ودعائم الدّولة الإسلامية بها.

وتمثّلت إسهامات هؤلاء الولاّة أساسا في المجال الحضاري والسّياسي، الّذي ساعد على توسيع الرّقعة الجغرافية للمغرب الإسلامي، كما صاحب وجود عدد من العلماء والفقهاء على أرض المغرب، انتعاش للحياة الفكرية والثّقافية.. حيث أخذ هؤلاء العلماء على عاتقهم أمر تعليم وتفقيه البربر مبادئ الدّين الإسلامي واللّغة العربية...

الفصل الثّاني:

السّياسة الإصلاحية في عهد الدّولة الرّستمية وأثرها(160هـ-296هـ/776م-909م).

المبحث الأوّل: جغرافية المغرب الأوسط خلال العهدالرّستمي.

1- حدود المغرب الأوسط في ظلّ دولة الرّستميين.

2-تأسيس الدّولة الرّستمية.

المبحث الثّاني: إصلاحات الأئمّة الرّستميين.

1- الإصلاح في عهد عبد الرحمن بن رستم (160هـ-171هـ/777م-787م).

2- جهود عبدالوهاب بن عبد الرحمن الإصلاحية (171هـ- 211هـ/787م-826م).

3- السّياسة الإصلاحية لأفلح بن عبد الوهاب (211هـ-240هـ/826م-854م).

4- إسهامات أبو اليقضان بن أفلح الإصلاحية (241هـ-281هـ/855م-894م).

تعتبر الدّولة الرّستمية، من بين أولى الدّول التي استقلّت عن مركز الخلافة بالمشرق، كإمارة بني مد رار سنة 140ه/757م وكذا إمارة برغواطة سنة 122ه/741م.

فهي ثمرة لتطوّر فكرة ونضال مذهبي طال أمده، بدأه الخوارج على أرض المشرق، لكن الظّروف العصيبة التي مرّ بها الخوارج نتيجة مضايقات الخلافة لهم، فرض عليهم البحث عن موطن أكثر أمنا لنشر أفكارهم المذهبية وتجسيد مشروعهم على أرضه.

لكن أصحاب المذهب الصّفري أفسد عليهم تشدّدهم تحقيق أهدافهم، بينما تمكّن الإباضية، بفضل اعتدالهم وتسامحهم من الوصول إلى ما سعوا إليه، بذلك كلّلت جهودهم بتأسيس دولة لهم على أرض المغرب الأوسط سنة 160هـ/776م، عرفت بالدّولة الرّستمية، التي أقامها إمامهم الأوّل عبد الرحمن بن رستم وعاصمتها تاهرت.

وقد كان لقيام الدولة الرّستمية، أثره في ظهور دول مستقلة أخرى، على غرار دولة الأدارسة والأغالبة.

ففي الوقت الّذي اقتطع فيه الرّستميون المغرب الأوسط، كان الأدارسة يسعون لإثبات وجودهم بالمغرب الأقصى، في حين عملت الخلافة العبّاسية على إحداث توازن في المنطقة، عندما عهدت بإفريقية لبني الأغلب.

المبحث الأوّل: جغرافية المغرب الأوسط خلال العهد الرّستمي.

1- حدود المغرب الأوسط في ظلّ دولة الرّستميين:

حدّد الجغرافيون أمثال البكري حدود المغرب الأوسط، من خلال معالمه الطّبيعية من وديان جبال وصحاري، وكذا معالمه العمرانية من مدن وقرى..وقد صارت الجهة الشّمالية للمغرب الأوسط تحت سيطرة الرّستميين، والتي تبدأ من بجاية شرقا إلى ملوية غربا ويعرف عن هذه الجهة على أنّها منطقة ساحلية، تطلّ على البحر المتوسط وتتميّز بكثرة خلجانها، ممّا ساعد بني رستم على إنشاء مواني‌ء لهم بها، ربطتهم بالخارج كالأندلس وغيرها، وقد امتدّت حدود الرّستميين جنوبا إلى تخوم الصحراء الكبرى، التي ساهمت بدورها في بناء علاقات تجارية وأخرى ثقافية بين الرّسميتين وبلاد السودان الغربي، هذه الصّحراء التي كانت تحتوي على واحات ومنابع مياه، عدّت بمثابة محطّات للقوافل

التّجارية، لتصبح بعد ذلك قاعدة اقتصادية، مثّلت موردا ماليا هاما للدّولة، إضافة إلى دورها الثقافي[1] ،كما عرفت له حدودا من جهة الشّرق أيضا مع دولة الأغالبة، بينما من جهة الغرب فتحدّه دولة الأدارسة.

كانت هذه الحدود مرنة وغير ثابتة، فهي خاضعة أكثر للعوامل السّياسية التي أثرت على تمدّدها تارة و تقلّصها تارة أخرى، وأهم مدن المغرب الأوسط التي كانت تتبع تاهرت في ذلك الوقت نجد: وهران، مازونة، تاتجنة والمدية[2]، وقد وصلت حدود الدّولة الرّستمية إلى ساحل طرابلس وسرت في أقصى توسّع لها[3].

2-تأسيس الدّولة الرّستميّة:

ساهمت سياسة بعض الولاّة الأمويين التّعسفية، في انتشار المذهب الخارجي ببلاد المغرب بصفريته وإباضتيه، وهوما مهّد لقيام الدّولة الرّستمية، فبعد حادثة طرابلس سنة 144هـ/756م والتي قتل على إثرها زعيم الإباضية أبو الخطاّب على يد ابن الأشعث عندها أيقن عبد الرّحمن بن رستم أنّ لا طاقة له بابن الأشعث وجنوده، فشدّ الرّحال إلى المغرب الأوسط، وقد رأى في منطقة تاهرت المكان الطبيعي الأفضل، الذي تضمن ظروفه الطبيعية والسّياسية لإقامة دولة له ولأنصاره على المذهب الإباضي[4].

هذه الدّولة التي كانت تحمل مشروعا إصلاحيا منذ بداية تأسيسها، إذ لم تتأسس لا على عصبية عرقية ولا قبلية، وإنّما كان أساسها الشّورى، وفي هذا الشّأن يذكر ابن صغير في كتابه "سيرة الأئمّة الرّستميين" عند انعقاد مجلس الشّورى، لاختيار الإمام الّذي يرأسهم فقال: "وقد علمتم أنّه لا يقيم أمرنا إلاّ بإمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف

---

[1] -البكري، المصدر السابق ، ص 66-82؛ محمد عيسي الحويري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، ص 13؛ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، د.ط، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ، ص 161-245؛ دبوز، المرجع السابق ، ج3، ص 517.

[2] -سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الإباضية، مراجعة، محمد على الصلبيي، ط1، دار الحكمة، لندن، 2005م، ص 77؛ ديوز، نفسه، ج3، ص 249.

[3] - الحريري، نفسه ، ص 14؛ إبراهيم زرقانة، المغرب الغربي، د.ط، معهد الدراسات الإسلامية، د، ب، ن، د.ت. ن، ص 05.

[4] -الحريري، نفسه ، ص 53.

مظلومنا ويقيم صلاتنا ونؤدّي إليه زكاتنا ويقسم فيئنا، فقلبوا أمرهم فيما بينهم، فوجدوا كلّ قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر، يدبّر أمر القبيلة ويستحقّ أمر الإمامة فقال بعضهم: أنتم رؤساء ولا نأمن من أن يتقدّم واحد على أصحابه فتفسد نيّته، ولعلّ المقدّم أن يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد النيّات ويكثر الاختلاف، ويقلّ الإتلاف"[1].

فقد كان عبد الرحمن بن رستم هو المؤهّل لهذه المهمّة والمرجو بينهم فقالوا: "هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرّف بها، ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطّاب رضيّ لكم عبد الرحمن قاضيا وناظرا، فقلّدوه أموركم فإن عدل، فذلك الذي أردتم، وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه، ولم تكن له قبيلة تمنعه، ولا عشيرة تدفع عنه فأجمعوا رأيهم على ذلك" [2].

المبحث الثّاني: إصلاحات الأئمّة الرّستميين.

1- الإصلاح في عهد عبد الرحمن بن رستم(160هـ-171هـ/777م-787م):

يعد عبد الرحمن بن رستم المؤسّس الحقيقي لهذه الدّولة، وكانت جميع السّلطات بيده. فأمّا إصلاحاته في الجانب السّياسي كانت نابعة من أصول الدّين، وفيّة للمذهب الإباضي، ومن أبرز المبادئ التي قامت عليها السّياسة الرّستمية في بداية الأمر، العمل بالشّورى في اختيار الحاكم المعروف بالإمام، فنجدهم قد تمسّكوا بهذا المبدأ وأنكروا التّعيين و توريث الحكم، كما رفضوا أيضا حصر الخلافة في أسرة بعينها، بل طالبوا بترك الأمر مفتوحا أمام الجميع دون تمييز، حتى لو كان عبدا أسودا، لطالما توفّرت فيه شروط

[1]- ابن صغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د.ط، دار الغرب الإسلامي، د.ت.ن، ص 26.

[2]- نفسه، ص 26؛أبو زكريا يحي بن أبي بكر الورجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل، الغربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص 83؛ أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، السير، ج1، تح: السيابي، ط2، وزارة التراث القومي و الثقافة، سلطنة عمان، 1992، ص125.

الإمامة من صلاح وعلم ونزاهة وأهلية[1]، الأمر الذي لم يكن معمولا به عند الأمويين و العبّاسيين على حدّ سواء.

إنّ أهمّ ما حققه ابن رستم في المجال السّياسي، أن جعل نظام الحكم شوريا، وجعل مساعدين له من أهل الحلّ والعقد، من فقهاء وعلماء الإباضية الذين كانت لهم صلاحية اختيار الإمام ومراقبة أعماله، وحتى عزله إذا ما جانب طريق الحقّ.

فقد أسّس عبد الرحمن دولته على أساس القيّم الأصيلة ، لأنّه كان يرى فيها أنجع وسيلة لبلوغ الرّقيّ الحضاري، وسبيلا للنّجاة من الفتن والاضطرابات التي قد تعصف بدولته الفتيّة[2].

وفي هذا الشّأن يضيف مبارك الميلي قائلا:" الدّولة الرّستمية مستقلة استقلالا تاما وحكومتها كسائر الحكومات الإسلامية مقيّدة بالكتاب والسنّة وأثر السلف.."[3].

نظر ابن رستم إلى الحكم بعقله ودينه، لذلك عمل على بناء دولته، فاجتهد في ذلك كثيرا من أجل أن يبلغ بها أقصى درجات الحضارة والقوّة، كما نجح في توحيد قبائل المغرب الأوسط المتفرّقة، التي لا يستطع توحيدها إلا صاحب ذكاء ودهاء، فجعل منها وحدة وبنيانا مرصوصا يحمي الدّولة من كل خطر[4]، فلا تمرّد ولا اختلاف[5].

نتج عن سيرته الحسنة أن ذاع صيته وانتشر خبر عدله، فبلغ خبره مشارق الأرض ومغاربها، وهو ما جلب له الخيرات من خارج دولته، حيث حظيّ باحترام الكثير وكسب القلوب والأنصار من كلّ مكان.

---

[1] –ابن الصغير، نفسه ، ص ص 26، 27 ؛ الشماخي، نفسه ، ص 125؛ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص121 ؛زغلول، المرجع السابق، ج2، ص302؛ جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 50.

[2]– دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 265.

[3] –مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د.ت.ن، ص 68.

[4] –دبوز، نفسه ، ج3، ص 281–283.

[5]– أبوزكريا، المصدر السابق، ص83؛ الشماخي، المصدر السابق ، ج1، ص125؛ زغلول، المرجع السابق ، ج2، ص202.

وكان لسياسته الإصلاحية هذه صداها، إذ أنّ جماعة من أهل البصرة جمعوا له الأموال الضّخمة قصد استخدامها في نهضة دولته الفتيّة .

وكما أسلفنا الذّكر، فإن الإمام عبد الرحمن ما كان له أن ينفرد برأيه ولا ليقرّر لوحده في مثل هكذا أمور، بل نجده يستشير أصحاب الرّأي وزعماء القبائل فيما يفعل بهذا المال، فأشاروا عليه أن يخصّص جزء منه للسلاح وأخر للخيل، على أن يجعل منه نصيبا للفقراء والمساكين[1].

وترتّب عنه، أن تحسّنت أحوال النّاس وأمنت البلاد من أعداءها، فشرع في البناء والتّعمير وإحياء الأراضي الأموات، فشقّت القنوات وغرست البساتين[2]، فساد الرّخاء وعاش النّاس في رغد وعمرت تاهرت، فقصدها النّاس من كلّ فجّ بين زائر وتاجر ومقيم، لما رأوا في البلد من رخاء وتنظيم وعدل وأمان[3].

وما رفض الإمام ابن رستم للمساعدة المالية الثّانية التي أتته من المشرق، إلاّ دليلا على مدى ثراء دولته، وقد أدهش ذلك الرّسل، لما رأوه من نهضة قد تحقّقت في فترة وجيزة، "فهذه قصور بنيّت، ومرافق شيّدت، وتلك بساتين قد غرست ورحاء نصّبت وأحوال النّاس قد تغيّرت، والمدنية في رخاء ورغد"[4]، وانجرّ عن هذا أن اعترفت له إباضية المشرق بإمامته على بلاد المغرب[5].

---

[1] –ابن الصغير، المصدر السابق، ص30؛ الشماخي، المصدر السابق ، ج1، ص: 126؛ أبو زكريا، المصدر السابق ، ص 84؛ زغلول، المرجع السابق ، ج2، ص 304؛ الحريري، المرجع السابق، ص10 ؛ حسين حمودة، المرجع السابق، ص 326.

[2]– ابن صغير، نفسه، 31؛ حسين حمودة، نفسه ، ص 32؛ الحريري ، نفسه، ص 103؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب 1985م، ص152.

[3]–ابن صغير، نفسه ،ص 32؛ الحريري، نفسه ، ص103؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 456؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص52.

[4]– ابن صغير، نفسه ، ص 33؛ الشماخي، نفسه ، ج1، ص 126، الحريري، نفسه ، ص104؛ الباروني، المرجع السابق، ص 143.

[5] –ابن صغير، نفسه، ص35؛ الشماخي، نفسه، ج1، ص126؛ زغلول، نفسه ، ص 305؛ الباروني، نفسه، ص144.

وعلى الصّعيد الخارجي ، أدرك الإمام عبد الرحمن أنّ المواجهة العسكرية مع الجيران لا تخدم دولته، لذا نجده قد جنح للسّلم، فوادع والي القيروان روح بن حاتم بن قبيصة، كما صاهر مدرار بن إلياس حاكم سجلماسة، وقد كانت هذه المصاهرة بمثابة اتفاقية للأمن وحسن الجوار[1].

أمّا عن مظاهر الإصلاح الإداري، فقد شهد لعبد الرحمن بن رستم[2]، كفاءته الإدارية وخبرته الطّويلة في التّسيير اللّتان اكتسبهما عند تولّيه شؤون طرابلس والقيروان، وهو ما ساعده على إدارة دولته دون عناء، فنجده قد اختار لكلّ وظيفة إدارية من هو أهل لها ،فوضع الرّجل المناسب في المكان المناسب من أصحاب الكفاءة التّقوى والورع، ممّا سهّل على النّاس أسباب العيش الكريم، ودفع بالبلاد نحو التّقدّم والازدهار[3]، إضافة إلى هذا قام بتعيّين الولاّة على النّواحي والقضاة على المدن، واتّخذ مستشارين له من وزراء وقائمين على الشّرطة وحفظة بيت المال[4] والمحتسبين[5]، كما شكّل ابن رستم مجلسا للشّورى يتكوّن من أهل الحلّ والعقد، الّذين يشترط فيهم العلم والإخلاص والذّكاء.. يوجّهون الإمام إلى الحلّ الصّحيح إذا ما أحتاج إلى ذلك، فإذا كانت المشكلة علمية جمع لها أهل العلم وإذا كانت سياسية جمع لها السّاسة وهكذا..[6].

لقد ورث ابن رستم من أجداده الفرس عبقرية الحكم والإدارة، إذ استطاع التّوفيق بين فنّ التّسيير والتّمسك بالدّين والوفاء للمذهب الإباضي[7].

كما أولى اهتماما كبيرا بالقضاء، وكان قبل ذلك قد شغل منصب قاضي ووالي على القيروان، وهو ما سمح له بإصلاح جهاز القضاء، نظرا للأهميّة الّتي يكتسيها من رفع

---

[1]– الحريري، نفسه ، ص106؛ الباروني، نفسه ، ص 146.

[2]–**عبد الرحمن بن رستم** بن دو شرار بن يابور بن بابكان بن سابور بن ذي الأكتاف الملك الفارسي ينظر: البكري، المصدر السابق، ص 67.

[3]–دبوز، المرجع السابق، ج3، ص286–287.

[4]– عبد الرحمن جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة ن الجزائر، 1965م، ص 221؛ مبارك الميلي المرجع السابق، ج2، ص 68.

[5]–ينظر الملحق رقم: 03.

[6]–دبوز، نفسه ، ج3، ص294.

[7]–ابن الصغير، المصدر السابق، ص 16 ؛ إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 153.

المظالم والحفاظ على حقوق النّاس، فعيّن لهذه المهمّة من المشهود لهم بالاستقامة، وممّن تتوفّر فيهم الكفاءة والنّزاهة والعدل والعلم والصلاح[1]، ونظرا لمكانة القاضي المرموقة أن جعل له ابن رستم ديوانا وسجلا وخاتما[2]، باعتبار القاضي الرّجل الثّاني في الدّولة بعد الإمام ، وحكمه يتوافق مع ما تقتضيه الشّريعة الإسلامية، أي يحكم بنصّ القرآن، وهو ما يتطلب، غزارة في العلم وتفقّه في الدّين وذكاء ثاقب[3]، كما عرف القضاء في عهده استقلالا تاما عن الدّولة[4].

أمّا ماليا، فقد اعتنى عبد الرحمن ابن رستم بالجانب المالي بشكل دقيق، وتصرّف فيه وفق الشّريعة الإسلامية، مطبّقا في ذلك النّص القرآني في كيفية الحصول على المال من الرّعية، ﴿**خذ من أموالهم صدقة**﴾ [5] وكيفيّة إنفاقه في أوجه الصّحيحة ﴿**إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السّبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾[6] ، كما قام بإلغاء بعض الضّرائب غير الشّرعية الّتي كانت مطبّقة من قبل.

والمعروف أنّ الدّولة الرّستمية في بداية نشأتها، كانت تعتمد على الرّعي وما تنتجه الأرض، كما أنّ من أهم موارد بيت مال أيضا، نجد الزّكاة بأنواعها الّتي كان يدفعها أبناء المجتمع الرّستمي[7]، كما لا يخفى علينا أنّ التّجارة عدّت أيضا من أهم الموارد المالية للدّولة ، وفي هذا الباب يذكر لنا ابن صغر " استعملت السّبل إلى بلد السّودان، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتّجارة وضروب الأمتعة "[8].

---

[1]– الحريري، المرجع السابق ، ص99.

[2]– الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 68.

[3] –يوريبة، المرجع السابق، ص 105.

[4] –الميلي، المرجع السابق ، ج2، ص 68.

[5]–سورة التوبة، الآية: 103.

[6]–سورة التوبة، الآية: 60.

[7]– ابن صغير، المصدر السابق، ص ص 15، 16 ؛زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 308.

[8] –ابن صغير ، نفسه، ص 32.

كانت الأموال توزّع على مستحقيها من أصحاب المذهب الإباضي وغير الإباضي، دون تميّيز وحسب ما تسمح به الأموال المتوفّرة، كما خصّص رواتبا للعاملين على جمع الأموال، ونجده أيضا قد اقتطع حصصا مالية لأعوانه، من الحشم والقضاة وأصحاب الشّرطة من مال الجزية والخراج، وما تبقّى من مال، يصرفه الإمام في مصالح المسلمين والمرافق الأخرى، كالمساجد والطّرقات ودور العلم وغير ذلك ما فيه نفع للمسلمين[1].

ومن مظاهر الإصلاح العمراني، فبعد أن يويع بالإمامة رأى أن يتّخذ لدولته الفتيّة عاصمة يباشر منها حكمه، فقد استتشار أهل العلم و أصحاب الخبرة بعلوم الأرض[2] الذين انتشروا في أرجاء المنطقة، وجابوا أنحائها، فوجدوا موضعا غير بعيد عن تاهرت الرّومانية القديمة، وأتّفق الجميع على أنّ الموضع يصلح لبناء عاصمة الدولة[3]، واختيار المكان لم يكن عشوائيا، بل كان خاضعا لاعتبارات سياسية وأمنية وأخرى اقتصادية.. وهو ما كان يتطلّب كفاءة عالية لاختيار مثل هكذا مواضع[4].

فأمنيا كانت تاهرت بعيدة عن خطر العبّاسيين ومحاطة بقبائل مشهورة بانتمائها الإباضي، كهوارة ومطماطة و زناتة ومكناسة، فهي بذلك توفّر لها الأمن والحماية من كلّ جهة[5]، زيادة على ذلك، فإنّ موقع تاهرت سهل على الدّولة سرعة الإتّصال بالحلفاء في الجهة الشّرقية كطرابلس ونفزاوة[6].

---

[1]– الحريري، المرجع السابق، ص 106؛ زغلول، نفسه ، ج2، ص308.

[2]– أبو زكريا، المصدر السابق، ص 81، الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 125.

[3]–البكري، المصدر السابق، ص ص 67، 68؛ ديوز، المرجع السابق، ج3، ص246.

[4]– الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ج1، د.ط، مطبعة البعث، الجزائر، د. ت. ن، ص 41–44–41؛ مجهول، الإستبصار، ص 178 ؛ الحريري، المرجع السابق، ص95؛ زغلول، المرجع السابق ، ج2، ص 293.

[5]– البكري، نفسه، ص 67؛ مجهول، نفسه ، ص 178؛ رينهم، المرجع السابق، ص 75؛ زغلول، نفسه، ج2، ص 375–377.

[6] –زينهم، نفسه، ص 75؛ زغلول ، نفسه، ج2، ص 375.

وأمّا من النّاحية الاقتصادية، فتعدّ تاهرت منطقة غنيّة زراعيا[1]، كما مكّنها هذا الموقع من بسط سيادتها على منطقة السّهوب ، وكذا سيطرتها على الطّرق التّجارية التي تمتدّ إلى المغرب الأقصى غربا وإلى تخوم الصحراء جنوبا[2].

وفورا شرع عبد الرحمن في بناء مدينة[3]، متّبعا في ذلك النّحو الّذي بنيّت عليه المدن الإسلامية الكبرى ، من أجل انصهار العرقيات والفئات الإجتماعية دون تفرقة ولا تمييز بينهم[4]، فحظيّت تاهرت بمواصفات العاصمة الحقيقية، حيث شيّدت بها المرافق الضّرورية الضّرورية الّتي تتطلّبها المدينة الكبيرة، فإلى جانب المسجد الجامع انتشرت الدّور والقصور والفنادق والحمّامات والأسواق، وقد عرفت تاهرت تنظيما فائقا في عمارتها والتّفنّن فيها[5]، فمن أجل حمايتها من الأخطار، أحيطت المدينة بسور من الصّخر شيّد بإحكام[6]، وهنا يمكن أن نشبّه ابن رستم في بنائه لتاهرت، بعقبة بن نافع عند اختياره لموضع القيروان[7].

ما كان ليكون لتاهرت هذا الشّأن، لولا الإخلاص و تمسّك ابن رستم بتنفيذ سياسته الإصلاحية، وفي هذا الباب يقول محمد دبّوز بحقّ تاهرت:" فأصبحت تاهرت في مدّة قليلة عروس الإسلام بالحضارة، وغادة الدّنيا بالجمال وقاعدة المغرب كلّه في التّجارة والعلوم، وفي كلّ ما نشئت من حرف وصنائع ومهن وفنون وفي كلّ ما يقتضي الدّين وفائدته للمجتمع"[8].

---

[1]– زينهم ، نفسه ، ص 79؛ زغلول، نفسه ، ج2، ص 377.

[2]– الحربري، المرجع السابق ، ص97؛ زينهم، نفسه، ص 80.

[3] –البكري، نفسه ، ص 68.

[4]– العدوي، بلاد الجزائر، ص193؛ الحريري، نفسه ، ص98.

[5]–الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 125؛ البكري، المصدر السابق ، ص 68 ؛الحريري، المرجع السابق ، ص 99.

[6]– زينهم، المرجع السابق ، ص 81؛ الحريري، نفسه، ص99؛ الباروني، المرجع السابق، ص53.

[7] –البكري، نفسه ، ص 67 ؛ الدرجيني، المصدر السابق ، ج1، ص 41؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 196 ؛ زغلول، نفسه ، ج2، ص 297.

[8]– دبوز، المرجع السابق ، ج3، ص 256.

لقد اعتبر جهاز الشّرطة، مظهرا من مظاهر تطوّر الدّولة، وتحوّلها من مرحلة البداوة إلى مرحلة المدنية والحضارة، وما يؤكد هذا الكلام، وصف ابن صغير المالكي لشهادة وفد البصرة الأوّل في بداية عهد الدّولة الرّستمية، ثمّ الوفد الثّاني الّذي عبّر عن اندهاشه من التّطوّر الّذي حصل بهذه الدّولة في ظرف قياسي: "والبلد زائد عمارتها في ذلك كله والسّيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة وأصحاب شرطته والطائفيون به قائمون بما يجب"[1] ، لهذا نجد أنّ الإمام عبد الرحمن بن رستم قد تنبّه، لحاجة الدّولة إلى جهاز الشرطة يحفظ به النّظام، ويحافظ به على استقرار دولته.

2-جهود عبد الوهاب بن عبد الرحمن الإصلاحية (171هـ- 211هـ/787م-826م):

لمّا أحسّ الإمام عبد الرحمن بن رستم بدنوّ أجله، جعل أمر الإمامة شورى بين أصحابه ممن تتوفر فيهم صفات الصّلاح، العلم، التّقوى والورع، مقتديا في ذلك بثاني الخلفاء الرّاشدين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-في أمر اختيار خليفة للمسلمين، وقد بلغ عدد الذين شملهم أمر الإمامة سبعة[2]، من بينهم ابنه عبد الوهاب[3].

بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم، اجتمع أهل الشّورى لاختيار من يخلف إمامهم، فبرز اثنان من بين جميع المرشحين وهما: مسعود الأندلسي وعبد الوهاب بن عبد الرّحمن رستم[4]، فتمّ اختيار مسعود الأندلسي لهذه المهمّة، لكن اختفاءه لمدّة طويلة من الزّمن

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 32 -40

[2]-يذكر صاحب كتاب طبقات المشايخ بالمغرب أن عددهم ستة، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 46.

[3] -أبو زكريا، المصدر السابق، ص: 84 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 130 ؛ الدرجيني، نفسه، ج1، ص ص 46؛ الباروني، المرجع السابق، ص151؛ الحريري، المرجع السابق، ص 107 ؛ محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م، ص118 ؛ زينهم، المرجع السابق، ص 88 ؛ محمد بوركبة، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية، د، ط، دار الكفاية، الجزائر، د، ت، ن، ص93 ؛ الجنحاني، المرجع السابق، ص131 ؛ جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية د، ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص63.

[4]- أبو زكريا، نفسه، ص: 86 ؛ الشماخي،، ج1، ص 130، الدرجيني، نفسه، ج1، ص46 ؛ الباروني، نفسه، ص152، زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 313.

سمح لعبد الوهاب بتولّي أمر بني رستم وإدارة شؤونهم، وهو ما جلب له الكثير من المتاعب[1]، إذ شهد عهده أوّل افتراق للإباضية[2]، بدءا بيزيد بن فندين اليفريني الذي خرج عن طاعة عبد الوهاب ، ورأى في هذه الطريقة تغليبا لفكرة التّعيّين بالوراثة على حساب فكرة الشّورى في اختيار الإمام[3]، إضافة إلى وجود من هو أعلم من عبد الوهاب، ويتعلّق الأمر بمسعود الأندلسي[4].

وما ثورات النّكارية، الواصلية والوهابية، إلاّ دليلا على تمسّك المجتمع الرّستمي بأمر الشّورى، وذلك امتثالا لقوله تعالى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم وممّا رزقناهم ينفقون**﴾[5]، هذا من جهة، ورفضا لتوريث الإمامة واعتبار أنّ ما قام به عبد الوهاب يعدّ إخلالا بقواعد الإباضية[6] من جهة أخرى، كلّ هذا كان من أجل إصلاح الأمور وتكريس مبدأ الشّورى الذي أقام عليه عبد الرحمن بن رستم دولته.

---

[1]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 37 ؛ أبو زكريا، نفسه ، ص ص86، 87 ؛ الدرجيني، نفسه ، ص47 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص159 ؛ بن عميرة، نفسه ، ص119 ؛ الباروني، المرجع السابق ، ص102.

[2] –ابن الصغير، نفسه ، ص37 ؛ أبو زكريا، نفسه ، ص88 ؛ الدرجيني، نفسه، ج1، ص47 ؛ إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، د.ط، د. ب. بن، د.ت.ن، ص 174 ؛ الباروني، نفسه، ص145 ؛ محمد بن عيسى، المرجع السابق، ص113 ؛ بن عميرة، نفسه ، ص 120 ؛ زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 315 ؛ جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمد عبد الصمد هيكل، د.ط، منشأة دار المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص124.

[3]– الباروني، المرجع السابق ، ص154.

[4]– الحريري، المرجع السابق، ص110 ؛ زيتهم، المرجع السابق، ص 91.

[5]–سورة الشورى، الآية : 38.

[6] –**الإباضية**، نسبة إلي عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد إذا كان يرى ابن إباض في مخالفيهم من أهل السنة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة ومواراتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبهم في السر غيلة، كما أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فاءنه دار بغي، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر إنهم موحدون لا مؤمنون، ينظر، الشهرستاني، الملل والنحل، تح:أمير علي مهنا و علي حسن فاعود، ج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ص 134.

وفي هذا الصدد، يعتبر إبراهيم بحاز أنّ ما قام به ابن فندين ومن حذا حذوه، يعدّ طعنا في شرعية وإمامة عبد الوهاب، لأنّهم عرفوا أنّ لإمامة عبد الوهاب عواقب وخيمة أخطرها توريث الإمامة والحكم[1].

بالرّغم من أنّ ابن فندبن ظهر بمظهر المتمسّك بشريعة المذهب الإباضي، وأنّ إنكاره لإمامة عبد الوهاب كان بمثابة تصحيح وتصويب لما وقع فيه هذا الأخير من أخطاء، إلاّ أنّ بعض المصادر والمراجع تعتبر أنّ ما قام به ابن فندين كان الهدف من وراءه الوصول إلى الحكم، أو الحصول على وظيفة هامّة تقرّبه من منصب الإمامة[2]، إذ حاول أن يضع شروطا مقابل الاعتراف بإمامة عبد الوهاب، فقال:" إنّا نقدّم لك بيعتنا يا عبد الوهاب على شرط واحد وهو ألاّ تقطع أمرا دون أتّفاق جماعة معلومة معك عليه[3]".

هنا ردّ عليه مسعود الأندلسي قائلا: "ما سمعنا بهذا وما علمنا أنّ في الإمامة شرطا غير أن يحكم الإمام بكتاب الله وسنة رسوله وأثار الصالحين قبله"[4]، لقيّ هذا الرّد ترحيبا واسعا في أوساط النّاس الذين بايعوا عبد الوهاب إماما للإباضية وحاكما للدّولة الرستمية[5].

الرستمية[5].

[1]– إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، ط2، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1993م، ص 116.

[2] –أبو زكريا، المصدر السابق، ص 86 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 130 ؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 47 ؛ الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، د.ط، مكتبة الاستقامة، تونس، 1938م، ص 39 ؛ إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 156 ؛ الحريري، المرجع السابق ، ص 113.

[3]– أبو زكريا، نفسه ، ص 87 ؛ الشماخي، نفسه ، ج1، ص 130 ؛ الدرجيني، نفسه ، ج1، ص47 ؛ زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 313 ؛ الباروني الأزهار الرياضية، ص 152 ؛ زينهم، المرجع السابق، ص 92.

[4]– أبو زكريا، نفسه، ص 87 ؛ الشماخي، نفسه، ج1، ص 130 ؛ الدرجيني، نفسه، ج1، ص 47 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية ص152 ؛ بوركبة، المرجع السابق، ص 96 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص466.

[5] –أبو زكريا، نفسه، ص87 ؛ الشماخي، نفسه، ج1، ص 130 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ص 153 ؛ بن عميرة، المرجع السابق، ص 119.

عندها عمد الإمام عبد الوهاب على إبعاد الطّامعين في الإمامة، ليوليّ من رأى فيهم العلم والدّين ومن وليس لهم رغبة في الولاية[1].

أدّت هذه السّياسة المنتهجة من طرف الإمام، إلى تفاقم الأوضاع و اتّساع الهوّة بينه وبين ابن فندين زعيم النكارية[2]، الذي راح يثير القلاقل و الفتن، فجمع من حوله الأنصار وعمل على إقناعهم بأنّ إمامة عبد الوهاب غير شرعية[3]، حتى انتشر الشّقاق والخلاف بين النّاس، فهؤلاء يقولون: "نحن وليناه،" وآخرون يردّدون: "كيف يلينا وفينا من هو أعلم منه"، وبعضهم يقول: "إنّما كانت ولايته بشروط"[4]، أدّى ذلك إلى انقسام مذهبي داخل الإباضية بالمغرب الأوسط إلى نكّارية ووهابية[5].

ومن أجل الحفاظ على وحدة الصّف، توصّلت الجماعة إلى عقد صلح مع ابن فندين يتضمّن وقف الحرب، فأرسلوا بقضيّتهم هذه إلى مرجعيتهم الأولى بمكة للفصل في أمر

---

[1]–الدرجيني، نفسه ، ج1، ص 48، بن عميرة، المرجع السابق ، ص119 ؛ زينهم، نفسه ، ص94.

[2]–**النكارية:** هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري وسموا بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن وثاروا ضده، ولقد تطورت هذه الفرقة التي انسلخت عن الإباضية الأم . ينظر: ابن منظور، المصدر السابق (الهامش)، ص 37.

[3]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 44 ؛ أبو زكريا، نفسه ، ص 89 ؛ الشماخي، نفسه ، ج1، ص 131 ؛ أحمد إلياس حسين، الإباضية في المغرب العربي، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1992م، ص 45 ؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 64.

[4]– أبو زكريا، المصدر السابق ، ص 89 ؛ الدّرجيني، المصدر السابق ، ج1، ص 49 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ص 155 ؛ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص156 ؛ الحريري، المرجع السابق، ص 114 ؛ زغلول، المرجع السابق، ج2، ص 316 ؛ دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 414.

[5]– ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 37 ؛ الدرجيني، نفسه ،ج1، ص 51 ؛ إسماعيل عبد الرزاق، نفسه ، ص 156 ؛ بوركبة، المرجع السابق، ص 97 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 466؛ زينهم، المرجع السابق، ص 95 ؛ الحريري، نفسه، ص 1147.

الإمامة، ووضع حدّ للخلاف القائم، فما أجابوهم به وقفوا عنده وعملوا به[1]، وهنا يبرز دور المذهب في توجيه و تنظيم الحياة السّياسية للمجتمع الرّستمي.

فجاءت الإجابة من فقهاء[2] المشرق تتضمّن أحقيّة عبد الوهاب بالولاية والإمامة، وتخطئة الخارجين عن أمره، والبراءة منهم[3]، وقد حملت الرّسالة مايلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد يا إخواننا، قد بلغنا ما كان (من) قبلكم وفهمنا ما كاتبتمونا من أمر الشّرط في الإمامة ألاّ يقضي أمر دون جماعة معلومة، فالإمامة صحيحة والشّرط باطل"[4] .

"وأما ما ذكرتم من تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم منه، فذلك جائز إذا كان في القناعة والفضل بمنزلة حسنة وقد ولي أبو بكر الصديق –رضي الله عنه–و زيد بن ثابت أفرض منه، وعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه–، أقضى منه، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه، أعلم منه. وهذا ليس فيه اختلاف لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم: " أفرضكم زيد وأقضاكم علي وأقرأكم أبي وأعلم أمّتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل"[5].

تعدّ هذه الأجوبة بمثابة إقرار بشرعية الإمام عبد الوهاب[6] السّياسية والدّينية، لقد كان الرّبيع بن حبيب يقول "عبد الوهاب إمامنا وتقيّنا وإمام النّاس أجمعين "[1]، كما تعدّ أيضا

---

[1]– أبو زكريا، نفسه، ص 89 ؛ الدرجيني، نفسه، ج1، ص 49 ؛ الشّماخي، المصدر السابق ، ج1، ص 131؛ علي يحي معمر، الاباضية في موكب التاريخ، ج4، ط3، مكتبة مري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008م، ص 25.

[2]– الفقهاء الذين تم استشارتهم في الأمر هم: شعيب بن المعروف من مصر والربيع بن الحبيب ومخلد بن العمود من مكة ينظر: أبو زكريا المصدر السابق ، ص:90 ؛ الدرجيني، المصدر السابق ، ج1، ص: 49 ؛ ينظر: الباروني، الأزهار الرياضية ص ص158، 159.

[3]–الدّرجيني، نفسه ، ج1، ص55 ؛ الشماخي، نفسه ، ج1، ص 136؛ الباروني، مختصر تاريخ الاباضية، ص 39.

[4] –الشّماخي، نفسه ، ج1، ص 136؛ الباروني، مختصر تاريخ الاباضية، ص 39.

[5]– أبو زكريا، المصدر السابق ، ص ص91، 92 ؛ الدّرجيني، المصدر السابق ، ج1، ص 50.

[6]–**عبد الوهاب** بن عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سابور بن بابكان ذي الأكتاف الفارسي، ثاني أئمة الرّستميين، بويع بالإمارة بعد أبيه عبد الرّحمن بمدينة تاهرت بنحو شهر عن طريق الشّورى سنة 171هـ، دامت مدة إمامته 40 سنة. ينظر: الشّماخي، المصدر السابق ، ج1، ص 13.

حجّة على ابن فندين[2] وأنصاره الّذين لم يتوقفوا عن نشر الفتنة في البلاد، لكن بالرغم من كلّ هذا، فإنّ الإمام لم يدّخر جهدا في سبيل إصلاح شؤون الدّولة والرّعية وفق المنهج الّذي سطّره الإمام عبد الرّحمن بن رستم، فبدأ بإصلاح أوضاعه الأمنية، خاصة بعد أن تكالبت عليه الخصوم وداهمته الفتن والاضطرابات، فتهيّأ للأمر بكل حزم وعزم، فعمل على تأمين جبهته الدّاخلية واستطاع القضاء على التّمردات والفتن الّتي كادت أن تعصف بدولته.

فبعد أن حقّق على خصومه نصرا شرعيا وسياسيا من خلال التّزكيّة الّتي تلقاها من إباضية المشرق، ها هو يحقّق عليهم نصرا عسكريا كبيرا، حيث تمكّن من إخضاع القبائل الخارجة عن طاعته[3]، من نكّارية و واصلية[4]، خاصّة تلك المجاورة لتاهرت، فانقادت له وعادت إلى الطاعة، فساد الأمن وعمّ الرّخاء وعظمت الثّروة[5].

---

[1]– أبو زكريا، نفسه، ص 98.

[2]–**يزيد بن فندين**، هو أبو قدامه النّكاري، كان ضمن الأئمة السبعة الذين رشحهم الإمام عبد الرحمن بن رستم للإمامة من بعده، مما جعله يعتقد أن الأكفأ لهذا الأمر دون غيره، ولم يقم ابن فندين بإثارة، الفتنة مباشرة بعد تولي عبد الرحمن الإمامة، بل انتظر طمعا في أن يحظى بمنصب من المناصب الهامّة في الدّولة، ينظر: عوض الشرفاوي، التاريخ السّياسي والحضاري بجبل نفوسة (ق2 و3هـ) د.ط مؤسسة تاوالت الثقافية، د.ب.ن، 2011م، ص 79.

[3]– أبو زكريا، المصدر السابق، ص96–99 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 133–140 ؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 54–56 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ص 153–187 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص467، 468.

[4]–**الواصلية:** هم اتباع واصل بن عطاء الغزالي، رأس المعتزلة وداعيهم إلي بدعتهم بعد معبد الجهيني وغيلان الدمشقي وكان من منتابي مجلس الحسن البصري في زمان فئة الأزارقة، وكان يومئذ الناس مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الإسلام على فرق، أما عيسى الحريري فيرى أن مذهبهم قد أنشر إلى الشمال من تاهرت بين مدينة مستغانم وهران، وإلى الجنوب من تاهرت في (تيلغمت) وفي بعض المناطق الصحراوية، وفي وادي ميزاب كما انتشرت هذه الجماعات من الواصلية أيضا وبأعداد كبيرة في شمال المغرب الأقصى في وليلي، وكان رئيسهم هناك هو إسحاق بن محمد الأورني، وكانت هذه الجماعات تتمتع بقدر كبير من الحرية الفكرية في ظل الدولة الرستمية. ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ج1، ص 117 ؛ عيسى الحريرى، المرجع السابق، ص 119.

[5]– الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، ص ص 40، 41.

وسياسيا دائما، نجده قد عمل على توسيع نطاق دولته جغرافيا خارج حيّز المغرب الأوسط، خاصّة على الجهة الشّرقية، إذ قام بضمّ بعض المناطق إلى حدود دولته مثل "جبل دمر" بعدما بايعه أهل هذا الجبل وانضمّوا إليه طوعا، وزاد أن ألحق أطراف طرابلس[1]، وما حولها بدولته، بعد أن عقد صلحا مع عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب نائب طرابلس.

بهذا الصلح قويّ مركز الإمام عبد الوهاب على المناطق الشّرقية، فاستولى على قابس الأغلبية وما حولها كمطماطة وزواغة وجربة.. وجعل على هذه المناطق عمّالا يديرون شؤونها، وبذلك يكون قد فرض واقعا جديدا على الأغالبة ، بعد أن وسّع حدود دولته وقلّص من نفوذهم، إذ جعل حدود دولته تسير وفق خطّ المناطق الّتي ينتشر فيها المذهب الإباضي.

بلغت حدود الدّولة الرّستمية في عهده خليج سرت شرقا، أمّا من جهة الغرب، فتبدأ من غرب وهران وشرق جبال تلمسان إلى جنوبها حتّى منطقة بني ونّيف، ومن الشّمال إلى الجنوب يبدأ من ساحل البحر المتوسط شمالا إلى أقصى الصّحراء جنوبا ما وراء ورجلان[2]وغدامس وفزّان[3]، وقد كان لانضمام بعض القبائل واعتناقها للمذهب الإباضي

[1]–**طرابلس:** مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة أهلة أخلاط من الناس افتتحها عمر بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عهنا سنة 23هـ، ومن طرابلس إلي أرض نفوسة وهم قوم عجم الأندلس إباضية كلهم لهم رئيس يقال له = ألياس لا يخرجون عن أمرد... لا يؤدون خراجا إلي سلطان ولا يعطون طاعة إلا طاعة إلا رئيس لهم بتاهرت وهو رئيس الاباضية يقال له عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم فارسي , ينظر: اليعقوني كتاب البلدان ج4، ص 105.

[2]–**ورجلان:** وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلي بلاد نقارة فيخرجون منها التبر ويطربونه في بلادهم باسم بلدهم، وهم وهبية إباضية نكار خوارج في دين الإسلام.ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 296.

[3] –الشّماخي، المصدر السابق، ص161؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 27؛ عبد الرّحمن جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ص 221 ؛ توفيق المدني، المرجع السابق، ص 21.

دورا في اتّساع الدّولة الرّستمية واستقرارها، وفي هذا الشّأن يقول الإمام عبد الوهاب "ما قام هذا الدّين إلاّ بسيوف نفوسه وأموال مزاته"[1].

ثمّ عمل على تأمين الجبهة الخارجية لدولته، وتمثّل ذلك في ربط علاقات المودّة وحسن الجوار مع الدّول الخارجية، بعد أن راجع حساباته[2]، وعرف أنّ من مصلحته الجنوح إلى السّلم خير له من مواجهة الخصوم والأعداء[3].

فراح يوادع صاحب القيروان "روح بن حاتم" وجدّد معه المعاهدة الّتي كانت قد أبرمت مع الإمام عبد الرّحمن بن رستم[4]، كما رغب الإمام عبد الوهاب في مهادنة خوارج سجلماسة الصّفرية والالتزام بسياسة حسن الجوار الّتي تخدم الطّرفين[5]، أمّا الأدارسة العلويّون، فقد سلك معهم سياسة المرونة، فلم يعد للخلاف المذهبي دور في تعكير جوّ العلاقات بينهما، وقد كان لهذا السّياسة الرّشيدة أثرها الإيجابي على النّاحية العلمية والاقتصادية، حيث سمحت بتنقّل العلماء والقوافل التّجارية بين تاهرت وفاس بكلّ حرّية ممّا خلق جوّا من النّشاط التّجاري والثّقافي، فازدهرت المدن وعظم شأنها[6].

لم يغفل الإمام عبد الوهاب على كسب الحلفاء والأصدقاء، ويتّضح ذلك في ربط علاقات متينة مع أمراء الأندلس، إلى درجة أنّ الإمام عبد الوهاب أرسل أبناءه الثلاثة في

---

[1] –أبو زكريا، المصدر السابق، ص 155؛ الباروني، مختصر تاريخ الاباضية، ص 41؛ بوركبة، المرجع السابق، ص168.

[2]–يبدو أن وقوع الدّولة الرّستمية الإباضية في قلب المغرب، جعل منها دولة محاطة بالأخطار ومن كل جانب، فمن جهة الشرق، نجد الاغالبة أتباع بنو العباس، ومن جهة الغرب نجد الأدارسة العلويون، وأمام هذا الأمر، عمل الإمام عبد الوهاب على تطبيق سياسة المهادنة مع الجيران، من أجل الحفاظ على الوحدة الترابية لدولته ".

[3] –الباروني، الأزهار الرياضية، ص 153 ؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 76.

[4] –ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 247 ؛ جودت عبد الكريم، نفسه ، ص 76 ؛ الحريري، المرجع السابق، ص112.

[5]– إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص 183 ؛ الياس حسين، المرجع السابق، ص 41.

[6]– جودت عبد الكريم، المرجع السابق ،ص190–192.

سفارة رسمية[1]، وقد كان لهذه السّفرية نتائجها الملموسة على الصعيد السّياسي والاقتصادي.

ففي الجانب السّياسي، نجدها قد لعبت دورا في تعزيز أواصل الصّداقة و التّعاون والثّقة بين الطّرفين.

أمّا اقتصاديا، فقد نشطت حركة الموانيء البحرية، بفضل المبادلات التّجارية الّتي ساهمت في ازدهار الحياة الاقتصادية بين البلدين، وقد تطوّرت هذه العلاقات أكثر، حيث أصبح الرّستميّون يلعبون دور الوسيط في تصريف منتجات الأندلسيين إلى دول مصر والسّودان وغيرها من البلدان[2].

وممّا زاد في تحسين هذه العلاقات، وجود عدد كبير من البربر في الأندلس أغلبهم من المغرب الأوسط والأقصى، فانعكس ذلك على الحياة العلمية والثّقافية، حيث هاجر من الأندلس إلى تاهرت عدد من العلماء الأجلاّء، الّذين كان لهم دور كبير في تنشيط عملية التّبادل الثّقافي بين البلدين[3].

رافق هذا الإنجازات، إصلاح إداري نظّم به الإمام شؤون دولته، حيث رتّب العمّال والقضاة ورجال الشّرطة في سائر أنحاء البلاد، فأقام العدل على أحسن وجه، وأرسل في أرجاء دولته أوامره الصّارمة القائمة على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، حتّى عمّ العدل بين النّاس، فلم يظهر له معارض ولا ناقم على حكمه[4]، وقد ساعد على نحاج

---

[1]– نفسه، ص132 ؛ الياس حسين، نفسه ، ص41.

[2]–أرشيبالد.ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في خوض البحر المتوسط، تر: أحمد محمد عيسي د.ط، مكتبية النهضة المصرية، القاهرة د.ت.ن، ص ص 260، 261.

[3]–دبوز، المرجع السابق، ج3، ص ص212، 2013 ؛ إلياس حسين، المرجع السابق ، ص 42.

[4]– الباروني، الأزهار الرياضية، ص 154.

الإمام عبد الوهاب في مهمّته، خبرته السّياسية والإدارية الّتي اكتسبها جرّاء ملازمته لأبيه سنين عديدة، فهو شخصية صقلتها الأحداث لتصبح فيما بعد صانعة للأحداث[1].

أما اجتماعيا ، فقد أولى الإمام عبد الوهاب اهتماما كبيرا بإصلاح الشّأن الاجتماعي لدولته، ويعبّر ابن الصغير عمّا بلغه المجتمع الرّستمي في عهد الإمام عبد الوهاب من انسجام واستقرار بقوله: "وكان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع لأحد قلبه، ودان له ما لم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله فلم يزل كذلك وعلى ذلك وأمور النّاس مجتمعة وكلمتهم واحدة لا خارج عليه ولا طاعن إلى أن حدثت الفرقة"[2].

وقد ظهر الثّراء والغنى بين النّاس، وازدهرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث يذكر صاحب كتاب مختصر تاريخ الإباضية:" يظهر أنّ الثّروة بلغت شاوا بعيدا جريا على سنن تقدّم البلاد في المدينة والعمران بسبب الأمن والعدل والحرية"[3]، وهو دليل على نموّ الثّروة وتعاظمها في عهد الإمام عبد الوهاب، كما يفنّد الكلام على أنّ فترة حكم عبد الوهاب كانت كلّها فتن واضطرابات.

كان لهذا الثّراء وقعه الإيجابي على الحياة الاجتماعية للرّستميّين، حيث قلّ الفقر وسط النّاس، والفضل في ذلك يرجع إلى تكفّل الدّولة بشريحة الفقراء من جهة، ومن جهة

[1]– الشماخي، المصدر السابق، ص 159 ؛ زنيهم، المرجع السابق، ص93 ؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 63.

[2]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 39 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ص 187 ؛ دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 292.

[3]– الباروني، مختصر تاريخ الاباضية، ص 41.

أخرى يرجع إلى الجدّ والنّشاط في العمل الّذي تميّز به أفراد المجتمع الرّستمي[1]، فأشهر الأثرياء من ذكرهم الإمام نفسه حيث قال:" أنا بالذّهب ومحمد بالحرث ولبيب بالأنعام"[2].

ساعد تمدّن المجتمع الرّستمي على خلق مجتمع متعدّد العناصربين أصلية ووافدة.. وقد ساهمت تاهرت[3] بفضل تطوّر عمرانها في تحوّل مجتمعها من مجمع قبلي بدوي إلى مجتمع حضري، يسكن المدنية ويساهم في تطوّر حياتها السّياسية والإجتماعية.

ونتج عن هذا، أن هاجرت إلى تاهرت الكثير من الأسر المشرقية، خاصّة العراقية منها ، أمّا أبرز أثر معماري والّذي يعدّ فخر الدّولة الرّستمية، يتمثّل في المعصومة، فهي عبارة عن قصبة تتميّز بهندستها العسكرية، ففيها ينزل ضيوف الأئمّة، إضافة إلى كونها مكان لتقاضي المتخاصمين..[4].

وممّا لا شكّ فيه، أنّ الدّولة الرّستمية قد اهتمت اهتماما بالغا بالجانب العلمي، إذ أنّ من شروط الإمامة أن يكون الحاكم (الإمام) عالما بأمور الشّريعة والسّياسة والحكم، وكان البيت الرّستمي في عهد الإمام عبد الوهاب بيت للعلوم، جامعا لفنونها، من علم التّفسير والحديث والفرائض والأصول والفروع وكذا علم اللّسان والنّجوم، والأمر نفسه ينطبق على الإمام عبد الوهاب الّذي كان عالما بالكثير من العلوم، فقد بعث إلى أهل البصرة ألف دينار ليشتروا له بها كتبا ولمّا تفقّدها قال:" الحمد لله، إذ ليس فيها مسألة غربت عنّي إلاّ مسألتان، ولو سئلت عنهما لأجبت قيّاسا على نظرائهما ووافقت الصّواب"[5].

---

[1]–دبوز، المجتمع السابق ، ج3، ص 307.

[2]– الباروني، مختصر تاريخ الاباضية ص 41 ؛ عبد العزيز سالم، المجتمع السابق، ص 491.

[3]–**تاهرت** : وهي مدينة جليلة وكانت قديما تسمى عراق المغرب، ولم تكف في طاعة صاحب إفريقية ولا بلغت عساكر المسودة إليها قط، ولا دخلت في سلطات بني الأغلب...وقد قال عنها أبو عبيد: مدينة تاهرت مدينة ميسورة لها أربعة أبواب: باب الصفا وباب المنزل وباب الأندلس وباب المطاحن وهي في سفح جبل يقال له جزول، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 8.

[4]–الجنحاني، المرجع السابق، ص 123.

[5]– أبو زكريا، المصدر السابق، ص 99 ؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 57 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص 142 ؛ بحاز، المرجع السابق ، ص 262–276.

وكان لعبد الوهاب كتابا معروفا بمسائل نفّوسة الجبل، لأنّ نفّوسة كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها، فأجابها عن كلّ مسألة سألت عنها[1].

لمّا كانت الدّولة الرّستمية دولة علم، فقد اهتمّت بإنشاء المؤسسات التّعليمة وإقامة حلق العلم، وكان الأئمّة أنفسهم يساهمون في التّعليم، حيث أنّ الإمام عبد الوهاب قضى سبع سنوات كلّها بجبل نفّوسة ، يعلّم فيها النّاس أمور الصلاة[2]، كما قام أيضا بإنشاء العديد من المكتبات العلمية الّتي كانت تحوي العديد من المجلّدات والكتب في مختلف العلوم، وأشهرها على الإطلاق مكتبة المعصومة[3].

ومن جانب أخر، فقد اعتنت الدّولة اعتناء ملفتا بالعلماء ، حيث خصّصت لهم رواتب من بيت المال يضمن لهم العيش الكريم، كما تكفّلت برحلاتهم العلمية للإزدياد في العلم والمعرفة، كما اهتمّت بتعليم الصّغار ليكونوا خلفا لهؤلاء العلماء، وأولت اهتماما كبيرا بتعليم الكبار وتثقيفهم، إذ كانت المساجد عامرة بهؤلاء المتعلّمين، يتلقون فيها دروس الوعظ والإرشاد، وقد كان للنّساء حظّ كبير من التّعليم ، حيث كنّ يحضرن هذه الدّروس في المساجد، وهو ما جعل من المرأة الرّستمية مثالا للثّقافة والصلاح[4].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل نجد أنّ طبقة الخدم خظيّت هي الأخرى باهتمام الدّولة، حيث كان لهذه الشّريحة نصبيها من التّعليم والثّقافة، حتّى أصبح هؤلاء الخدم ينافسون أسيادهم في هذا الميدان، وهو ما كان سببا في عتق الكثير منهم[5]، كما كان لهذه لهذه الشّريحة دور أمني في غاية الأهمّية، حيث استخدم الإمام الكثير منهم عيونا له

---

[1] –ابن الصغير، المصدر السابق، ص 39 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 488.

[2]–بحاز، نفسه ، ص281 ؛ عبد العزيز سالم، نفسه، ص 488.

[3] –بحاز، نفسه ، ص290 ؛ عبد العزيز سالم، نفسه ، ص490 ؛ إبراهيم أحمد العدوي، بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، د.ط، مكتبة النحو المصرية، القاهرة، 1970، ص ص 223، 224.

[4]–دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 350–361.

[5]–بحاز، المرجع السابق ، ص 378.

يزوّدونه بالأخبار على اختلاف أنواعها[1]، كما استعملهم أيضا كأعوان للدّولة من أجل فرض النّظام و الأمن في المدّن والأرياف[2].

3- السّياسة الإصلاحية لأفلح عبد الوهاب (211هـ-240هـ/826م-854م):

بوفاة الإمام عبد الوهاب، سارع النّاس إلى مبايعة ابنه أفلح بالإمامة، دون تأخّر ولا تردّد[3] فقد رشحته أخلاقه وأعماله الجليلة لقيادة الدّولة، فضلا عن شجاعته وبطولاته وعلومه ومداركه الواسعة، حيث بايعته العامّة قطعا للخلاف و ردءا للفتنة، شرط أن يسير فيهم بالكتاب والسّنة وأثر السّلف الصّالح[4].

خلف أفلح أباه في الحكم، وكانت مدّة حكمه هي الأطول في تاريخ بني رستم، إذ ناهزت الخمسين عاما، وعرف بالحزم والشّجاعة و حسن السّيرة قبل تولّيه الإمامة.

ولما تولّى الإمامة، حكم بكلّ حزم وعزم، وعرفت تاهرت في عهده تحوّلا كبيرا في شتّى المجالات[5]، فمثّلت فترة حكمه سطوة الدّولة الرّستمية وقوّتها وقدرتها على إحباط جميع الحركات المناوئة لها، من خلال القضاء عليها بالقوة تارة، وبالدّهاء والسّياسة تارة أخرى[6].

واصل الإمام مسيرة الإصلاحات الّتي بدأ بها أبوه وجدّه، محافظا بذلك على المكتسبات التي حقّقها أسلافه، ورأى من جهته أن يرقى بدولته إلى مصاف الدّول الرائدة في ذلك الوقت، فبدأ بشأنه الدّاخلي المتمثل في تأمين أطراف دولته مركّزا على الأماكن

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 68.

[2] -أبو الربيع الوساني، مشائخ المغرب، تح : إسماعيل العربي، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص 52.

[3]- أبو زكريا، المصدر السابق، ص 128 ؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 72.

[4]- الباروني، الأزهار والرياضية، ص 21 ؛ يحي معمر، المرجع السابق، ج4، ص51 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 472.

[5]- ابن الصغير، نفسه ، ص 21، بحاز، نفسه ، ص 400 ؛ بوركبة، المرجع السابق، ص 109.

[6]- محمود إسماعيل المرجع السابق، ص 115.

البعيدة عن مركز الحكم، فأسدى أوامره إلى عمّاله هناك للقضاء على متمردي أطراف طرابلس، وجبل نفّوسة، الذين رفضوا الدّخول في طاعة الإمام أفلح بعد وفاة أبيه، وذلك بعد فشل سياسة الملاطفة والدّعوة للكفّ عن الفساد وحقن الدّماء، الّتي انتهجها الإمام مع الخصوم أمثال خلف بن السّمح وفروج النّفوسي[1] المعروف بنفاث[2].

وكان مثل أبيه، شديد الحذر من بعض القبائل الّتي نالها التّرف، فخشيّ من تحالفها ضدّه ، فانتهج سياسة زرع الشقّاق والتّفرقة بينها حتّى يضعفها ، وذلك باستخدامه جهاز من الأعوان أشبه ما يكون بجهاز المخابرات اليوم، فكان له ما أراد، حتّى صارت هذه القبائل تتودّد إليه وتطلب حمايته[3].

وفي الجانب الأمني دائما، وعملا بمبدأ الحفاظ وحماية الوحدة التّرابية لدولته أمن حدودها، وعندما قام الأغالبة ببناء مدينة العبّاسية سنة 228هـ/842 م بالقرب من تاهرت، رأى الإمام أفلح أنّ هذا العمل يعدّ تهديدا لأمن دولته، ومساسا بمبدأ التّعايش السّلمي بين الدّولتين من جهة، كما يتعارض والمصالح الحيوية للرّستميّين من جهة أخرى، فقام بحرقها وتدميرها عن أخرها[4]، فاستقرّت الأمور وهدأت الأوضاع واستقامت إمامته وانطفأت نار الفتنة، وهو ما أشار إليه الدّرجيني بقوله:" ثمّ إنّ الإمام أفلح رحمه

[1]– أبو زكريا، المصدر السابق، ص128–137 ؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 73–76 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ص 218 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص 472 ؛ إلياس حسين، المرجع السابق، ص 47.

[2]– ينظر الملحق رقم: 04.

[3]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54 ؛ الباروني، نفسه ، ص 233؛ الحريري، المرجع السابق، ص ص 143، 144.

[4]– ابن الأثير، المصدر السابق ، ج6، ص 519 ؛ البلاذري، المصدر السابق ، ص 300 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 200 ؛ دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 462 ؛ الباروني، الأزهار والرياضية ، ص236.

الله تمكّن في إمامته واستقامت له الأحوال ولم يبق في أيّامه بعد خلف منازع ولا في جهاته طالع"[1].

بعد هذه الإنجازات والنّجاحات المحقّقة في الجانب الأمني، رأى أنّ من واجبه الاعتناء بشؤون مجتمعه، فسار في النّاس بالعدل والإحسان وبسط الأمن بالبلاد، فعرفت الدّولة في عهده تقدّما سريعا ، بلغت ذروة الازدهار ومنتهى العزّ والتّرف[2]، ويفهم هذا من قول ابن الصغير بقوله:" وفي ولاية أفلح لم يكن الشّراة تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته ولا في أعشاره"[3].

كان لهذه الإصلاحات انعكاسا إيجابيا على الدّولة والمجتمع معا، إذ كثرت العناصر الوافدة على تاهرت من خارج الدّولة، الأمر الّذي حتّم على الإمام اتّخاذ سياسة التّوازن بين هذه الفئات الوافدة[4]، فقد ساعد تمدّن المجتمع الرّستمي على اندماج وتمازج عناصره الأصلية والوافدة، من عجم وسودانيين...

كما وجدت العناصر غير المسلمة من يهود ونصارى، فضاء من الحرّية السّياسية والاقتصادية في ظلّ التّسامح الدّيني مكّنها من الاستقرار داخل المجتمع الرّستمي[5]. واستطاع الإمام أفلح[6] أن يكسب ودّ وقلوب أعداء أبيه من واصلية ومعتزلة ويدخلهم في

---

[1] –أبو زكريا، المصدر السابق ، 128 ؛ الدرجيني،المصدر السابق ، ج1، ص 77 ؛ يحي معمر، المرجع السابق، ج4، ص 51 ؛ الباروني، الأزهار والرياضية ، ص 230.

[2]– ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 53 ؛ معمر يحي، نفسه ،ج4، ص 51 ؛ الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، ص230 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 472.

[3]– ابن الصغير، نفسه ، ص 49.

[4]– صالح محمد فياص أبو دياك، المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب، مجلة دراسات تاريخية، العددان: 55، 56، جامعة دمشق، أذار حيزران، 1996م ص 69.

[5]– دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 303؛ الحريري، المرجع السابق ، ص143.

[6]– **أفلح بن عبد الوهاب** هو ثالث الأئمة الرستميين حكم بين (208هـ–258هـ) بويع في اليوم الذي توفي فيه والده، وقد أشتهر بالعدل والشجاعة وقوة الساعد، كما عرف بالعلم والمداولة فيه ومساجلة العلماء وقد وصفه الشماخي بقوله: "الإمام التقي، العدل العالم لأنجح أمير المؤمنين أفلح بن عبد الوهاب الذي تمسك الحجة البيضاء والصراط الأفيح" وذكر سليمان الباروني أن الإمام أفلح قد خلق عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة ونصائح ومواعظ وحكما كما كان أديبا ذا

طاعته، وقد عبّر عن هذا البكري بقوله:" ميمون أفلح بن عبد الوهاب رأس الإباضية وإمامهم وإمام الصّفرية والواصلية وكان يسلم عليه بالخلافة أو الإمامة"[1].

لم يبخل الإمام في إبداء النّصح والإرشاد لرعيّته، من خلال كتابه الموجّه إلى عمّاله في الأقاليم المنضوية تحت حكمه ليقرؤه على النّاس وقد جاء في بعض منه.

" بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد: فالحمد لله الذي هدانا للإسلام..عليكم بتقوى الله واتّباع أثار سلفكم فقد سنوا لكم الهدى وأوضحوا لكم طريق الحقّ وحملوكم على منهاج، ففي إتّباعهم النّجاة وفي خلافهم نخشى التّهلكة .. واجتهدوا في إدراك ما أدركوه وإيّاكم والبدع..إلى أن يقول: بالغت إليكم في النّصيحة وشرحت لكم الموعظة والله أسال أن يوفّقنا وإيّاكم لطاعته والقيّام بحقّه ورحمته إنّه قدير والسّلام عليكم ورحمه الله "[2].

استفاد الإمام أفلح من تجربته خلال إدارته لشؤون الأمّة في فترة[3] غيّاب أبيه عن تاهرت ،مما أكسبه خبرة إدارية وسياسية عن طريق احتكاكه بالنّاس وتعامله معهم، فبعد وفاة والده أيقن الجميع أنّه الأنسب لمنصب الإمامة لما تميّز به من حنكة سياسية وتمسّك بالدّين[4]، فراح يوظّف كفاءته وخبرته في سبيل ازدهار دولته وصلاح أمّته.

اقتدار على النظم وقد امتاز عهده بتوثيق علاقات تهرت بعدد من ممالك إفريقيا السواء وكذلك من حلفاء الأندلس الأمويين وذكر ابن الصغير أن أفلح كان عهد ازدهار اقتصادي لم تعرف له البلاد قبل شيلا توفي الإمام أفلح لتأثره بن سجن ابنه اليقضان في بغداد سنة 240هـ: ينظر: أبو زكريا، المصدر السابق، ص 127.

[1]– البكري، المصدر السابق ، ص ص 67، 68 ؛ بوركبة، المرجع السابق، ص 113 ؛ الحريري، نفسه ، ص148 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق ، ص 473.

[2] –الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وسلوك الإباضية، ص 267–271.

[3]– "هنا نعنى بالفترة التي غاب فيها الإمام عبد الوهاب عن تاهرت عندما أراد أداء فريضة الحج ومدة مكوثه بجبل نفّوسة والتي قدرت بسبع سنوات، حيث خلف أفلح أبيه".

[4]–الحريري، المرجع السابق، ص140 ؛ دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 482.

ومن أجل الاطّلاع على أمور رعيّته ومعرفة ما يجري في ربوع دولته، عمل على تعيّين عمّالا له من أصحاب التّجربة والصلابة في الدّين، للسّهر على إدارة شؤون الأقاليم التّابعة لدولته، وذلك بعد تشاوره مع أهل الرّأي السّديد[1].

كان لسياسته الإصلاحية أثرها البالغ على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فبعد قضائه على الفتن والتّمردات، ساد الهدوء والاستقرار في البلاد، حينها نهضت الأمّة عن بكرة أبيها تعمل جاهدة في سبيل تقدّم الدّولة وازدهارها، فيشير ابن الصغير إلى ما بلغته البلاد من تقدّم فيقول:" وعمرت معه الدّنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرّفاق والوفود من كلّ الأمصار والأفاق بأنواع التّجارات، وتنافس النّاس في البنيان حتّى ابتنى النّاس القصور والضّياع خارج المدنية وأجروا الأنهر"[2].

لعبت العناصر الوافدة على المجتمع الرّستمي من عجم كالفرس دورا في ازدهار الدّولة، وذلك من خلال توظيف خبرتهم ومهارتهم في تسيير الأسواق التي صارت جزءا هاما من اقتصاد الرّستميين[3]، ولم تقتصر مظاهر الازدهار على تاهرت وحدها، بل شملت سائر أرجاء الدّولة، إذ كان للقبائل أيضا حظّ من الثّروة والرّخاء، وهو ما عناه ابن الصغير عن الحال الذي صارت عليه القبائل، في قوله: " وانتشرت القبائل وعمرت العمائر وكثرت الأموال بأيديهم[4]، ويضيف قائلا:" وأمنت السّاحات وكثرت الأموال حتّى أذعنت أهل الحواجز والبوادي[5]".

ولمّا كان الاقتصاد مرتبط بالمال، فقد أثبت الإمام أفلح جدارة وكفاءة عالية في إدارة وتسيير الشّؤون المالية لدولته، إذ كان يتابع بكلّ دقّة وعناية نظام جباية الأموال، الّتي

---

[1]–الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص ص77، 78؛ الحريري، نفسه، ص146.

[2] –ابن الصغير، المصدر السابق، ص 52 ؛زنيهم، المرجع السابق، ص 122.

[3]–الحريري، نفسه ، ص 149 ؛ زنيهم، نفسه ، ص 123.

[4]– ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 53 ؛ الحريرى، المرجع السابق ، ص 150.

[5]– الحريري، نفسه، ص 150 ؛ الجنحاني، المرجع السابق، ص 126.

تعدّ من أهم موارد الدّولة، فقد أمر عمّاله الالتزام بحدود الشّرع فيما يخص كيفية تحصيل أموال الخراج والجبايات، فهذه رسالته إلى محمد بن سلام أحد عمّاله يقول له فيها:" وأمّا ما ذكرته من أجعل لك سبيلا وأطلق يدك، وأنّ الحاضر يرى مالا يراه الغائب، فلعمري إنّه لكذلك، لكن ليس في هذا (يقصد الخراج) إنّما أسهم جعلها الله وأوقفها وهي وسخ أموال النّاس، وليس لنا فيها قضاء ولا زيادة ولا نقصان، ولا أمر ولا نهي، إلاّ على قدر الاجتهاد، فاتّق الله واجتهد في توفير الحقوق وتوجيهها إلينا"[1].

تعدّت سياسته الاقتصادية المجال الدّاخلي للدّولة الرّستمية، فربط علاقات وأخرى تجارية مع ملوك وأمراء البلدان المجاورة والبعيدة، حيث كانت له علاقات مودّة مع صاحب مملكة "كوكو"[2] وبلاد غانا، فصارت المسالك والطّرق التّجارية أمنة، وقوافله محفوظة، فنشطت التّجارة بين تاهرت وهذه البلدان وكثرت الأموال وزادت الأرباح[3].

وقد استغلّ بنو رستم ندرة بعض المواد بهذه البلدان، كالقطن والكتّان والملح.. فعملوا على تزويد هذه البلدان بفائض منتجاتهم عن طريق التّجار، فتباع بأسعار مرتفعة، ويعودون محمّلين بالذّهب والعاج والجلود[4].

لقد كان لتلك العلاقات التّجارية أثارها الثّقافية، حيث استطاع الرّستميون نشر الإسلام واللّغة العربية والكثير من أنماط الحضارة الإسلامية بهذه البلدان، كما ساهمت في تكوين وبروز بعض اللّغات المزيجة، الّتي استمدّت قوامها من اللّغة العربية والبربرية[1].

---

[1]– الباروني، الأزهار والرياضية، ص 238 ؛ الحريري، نفسه ، ص 229.

[2]–**كوكو**:اسم أمّة وبلاد من السّودان، قال المهلبي : كوكو الإقليم الأوّل، وملكهم يتظاهر بالإسلام وأكثرهم يظاهر به، وله مدينة اسمها سرناة، بها أسواق ومتاجر والسفر إليها من كل بلد متصل، وله مدينة على غرب النيل يسكنها هو ورجاله وثقاته، وبها مسجد يصلي فيه، ومصلى للجماعة، وله مدينة وقصر لايسكنه معه أجد، ولا يلوذ فيه إلا خادم مقطوع، وجميعهم مسلمون..أموال أهل بلده الأموال والمواشي، وبيوت أهل الملك واسعة وأكثرها الملح.ينظر:الحموي، المصدر السابق، ج4، ص495

[3]– الباروني، نفسه ، ص 234 ؛ إلياس حسين، المرجع السابق، ص 62.

[4]– عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص573.

بعد أن أصلح سياسته الخارجية، ها هو يفعل الأمر نفسه مع الجانب الثقافي، إذ لم يتوقّف التّواصل الثّقافي لدولة بني رستم مع الخارج عند حدّ معيّن ، حيث اتّجه الرّستميون إلى توثيق علاقاتهم الثّقافية مع مختلف الحواضر العلمية والثّقافية في كلّ من الأندلس والقيروان وفاس وبغداد والبصرة، وهو ما سمح بدخول عدد هائل من المؤلفات والكتب على اختلاف أنواعها[2] عن طريق تنقّل العلماء وكذا التّجار، الّذين كانوا يجلبون معهم الكثير من الكتب مع سلعهم، وهو ما ساهم في إزدهار الحياة الثّقافية والعلمية بالدّولة.[3] وإن دلّ هذا عن شيء، فإنّما يدلّ على مدى الانفتاح الثّقافي للمجتمع الرّستمي.

لم تتّح فرصة للرّستميين إلاّ واستغلوها فيما يفيدهم، فقد اغتنموا موسم الحجّ واعتبروه فرصة للإتّصال بمشايخ وعلماء والمشرق، من أجل الاغتراف من منابع العلم والمعرفة والتّبحر في مختلف المسائل الفقهية، الّتي كانت متداولة في مجالس العلماء آنذاك[4].

وممّا زاد في ازدهار الحياة العلمية والثّقافية بتاهرت، سياسة التّسامح والدّيني والمذهبي المطبّقة من طرف الأئمّة الرّستميون، الشّيء الّذي أدّى إلى توافد الكثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم وديانـاتهم على تاهرت، لما وجدوه من حرّية وترحاب وسط المجتمع الرّستمي، مما ساهم في تنشيط حركة التّأليف، فعقدت المجالس العلمية والمناظرات الفكرية بين مختلف العلماء، ويتّضح ذلك في تلك الحلقات الّتي كان يعقدها أصحاب المذاهب غير الإباضية، إلى جانب ذلك كان يحضر الإباضية الدّروس والحلقات العلمية لمخالفيهم في المذهب، كما جلس أهل العلم من المذاهب الأخرى إلى حلقات الإباضية

---

[1] –ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، د.ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1960م، ص 68 ؛ بحاز، المرجع السابق، ص 290 ؛ موريس لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، تر: عبد الرحمن حميدة، ط2، دار الفكر، دمشق، 1998، ص 138.

[2] –جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص176.

[3] – الحريرى، المرجع السابق، ص ص 172، 173.

[4] –بحاز، المرجع السابق ، ص 391.

لدراسة بعض العلوم عنهم، وهو ما يعبّر عن التّعايش والتّسامح بين مختلف المذاهب الّتي كانت تعيش في كنف الدّولة الرّستمية[1].

وأهمّ ما يوضّح مدى التّسامح الفكري والمذهبي، الّذي اتّسم به الأئمّة الرّستميين ومن بينهم الإمام أفلح بن عبد الوهاب، ما ذكره ابن الصغير في قوله:"من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم، قرّبوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك"[2].

كما اعترف لهم ابن الصغير المالكي، المختلف معهم مذهبيا، بصراحة وموضوعية وأنصفهم بقوله:" وإن كنّا للقوم مبغضين ولسيّرهم كارهين ولمذهبهم مستقلّين فنحن إن ذكرنا سيّرهم على ما اتّصل بنا وعدلهم فيما ولّوه ، فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم وحسن سيّرهم"[3].

استفاد هذا الأخير من دراسة الفقه الإباضي، فأخذ عنهم كتاب "مسائل نفّوسة" لصاحبه الإمام عبد الوهاب، كما اعتمد عليهم في الكثير من الأحيان في رواياته فيقول:" أخبرني غير واحد من الإباضية"[4]، و الأمر نفسه بالنّسبة للإباضية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد أنّ قاسم بن أصبع الإباضي قد أخذ الحديث الشّريف عن أبي عبد الرحمن بن بكر بن حمّاد الزّناتي التّاهرتي الّذي كان على مذهب مالك[5].

---

[1]– الحريري، المرجع السابق ، ص236.

[2]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 23.

[3] – نفسه ، ص28.

[4]– ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 28–43.

[5] –ابن الذيب عيسى وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر، د.ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر 2007م، ص 50 ؛ الحريري، المرجع السابق، ص 237.

في ظلّ هذا الجوّ العلمي المفعم بالتّسامح المذهبي والفكري، ازدهرت الحياة العلمية ممّا فتح المجال أمام الإباضية نحو الاجتهاد والتبحّر في العلوم للكسب ومواجهة مخالفيهم[1]، وهو ما أعطى تاهرت شهرة وجعل منها مركزا للإشعاع الفكري، تضاهي به القيروان وبغداد.

وممّا لا شكّ فيه ، أنّ التّواصل الثّقافي مع المشرق أثرى الحياة الثقافية ببلاد المغرب الأوسط بشكل ملفت ، حيث ساعد ذلك على ظهور الكثير من العلماء، أمثال الشّيخ المهدي النفّوسي الّذي برع في علم الكلام، وابن يانس في علم التّفسير، أمّا في الفقه، فنجد أبو حسين الأبدلائي وعبد العزيز ابن الأوز اللّذان أثّرا بشكل واضح في الحياة الثّقافية ببلاد المغرب الأوسط[2].

ومن كتب المشارقة الّتي كان لها تأثير في المجال العلمي للمجتمع الرّستمي، كتب ابن الرّحيل في الفقه والعقائد والأخبار، وكذا كتاب ابن محبوب الّذي يعرف عند أهل نفّوسة بسيرة ابن محبوب إلى أهل المغرب، وقد حثّ الإمام أفلح رعيّته بالإطّلاع عليه حيث قال: "عليكم بدراسة كتب أهل الدّعوة ولاسيّما كتاب أبي سفيان[3]".

لم يكن لهذا التّواصل الثّقافي ليكتب له النجاح ، لو لم يكن هناك اهتمام بالجانب العلمي من طرف الأئمّة من جهة، وكذا تفاعل المجتمع الرّستمي معه من جهة أخرى.

كما لم يتردّد الأئمّة أنفسهم، ومن بينهم الإمام أفلح بن عبد الوهاب على إدخال إصلاحات واسعة على التّعليم، الّذي بلغ درجة من التّقدم لا مثيل لها، فأنشأ المؤسسات التّعليمية والمكتبات وبنى المساجد، وحسّن التّعليم الّذي أصبح يتمّ على مراحل، بدءا

[1]–ابن الذيب عيسى وآخرون، نفسه، ص32–51 ؛ الحريري، نفسه، ص 236.

[2]– الباروني، الأزهار الرياضية ، ص 70.

[3]– بحاز، المرجع السابق، ص 397.

بمرحلة الكتاتيب، ثمّ مرحلة الحلقات والمجالس العلمية، إلى أن وصل إلى مرحلة البعثات العلمية.

وفي المجال العلمي دائما، برع الإمام أفلح في علم الفلك و الحساب والشعر، وله قصيدة[1] طويلة يحثّ فيها على طلب العلم[2]، وقد شهد له بغزارة العلم ورجاحة العقل وهو لا يزال يافعا، فقيل:"أنّه قعد بين أيديه أربع حلق يتعلّمون عنه فنون العلم قبل أن يبلغ الحلم"[3].

وباعتبار العدل أساس الملك، فقد عمل على إقامة العدل في دولته من خلال إصلاح جهاز القضاء، ونزولا عند رغبة العامّة من النّاس والعمل بالشورى ، ترك لهم الحرّية في اختيار القاضي الّذي يناسبهم، فقال لهم:" أجمعوا جمعكم وقدّموا خيركم ثمّ أعلموني به أجيزه لكم وأعضده على ما يكون فيه الصّلاح لكم"[4].

فعيّن على رأس القضاء محكم الهواري، وهو رجل عرف بورعه ودينه وعلمه ، فسار فيهم بالعدل والسّيرة الّتي أملوها منه ورجوها عنده، إذ كان لا يخشي في الله والحقّ لومة لائم حتى مع أقرب النّاس إلى الإمام، فعندما تخاصم أبو العبّاس أخو الإمام مع صهر أفلح حول قطعة أرض، فترافعا إلى القاضي محكم الهواري، وكان أبو العبّاس مقرّبا من

---

[1]– هذه بعض الأبيات التي وردت في القصيدة

العالم أبقي لأهل العلم أنـــاروا ليلهم بشموس العلم قد نـــارا
يحيى بـه ذكرهم الزمان وقـــد يريك أشخاصهم روحا وأبكـارا
حتى وان مات ذوعلم ذو ورع إن كان في منهج الأبرار ما مـارا
العلم عند اسمه اكرم ـــبه شرف اللمرء ان يكتسي بالعلم اطـارا
يشرف العلم للإنسان منزلـــــة ويجتبي من جناه العذب اثمارا
خير العـــباد الله إن لـــــــه طرفا إلي خشية الرحمان نظارا

[2]–بوركبة، المرجع السابق، ص 26.

[3]– أبو زكريا، المصدر السابق،.ص 136 ؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 77.

[4] –ابن الصغير، المصدر السابق، ص22 ؛ الحريري؛ المرجع السابق، ص141؛ زينهم؛ المرجع السابق، ص116 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ص 264.

القاضي، فسبق خصمه وجلس عند محكم، ولمّا رأى خصمه قادم، طلب ماء فاستقته الجارية، فلمّا أقبل صهر الإمام وسأله القاضي حاجته، فأخبره بالأمر فقام القاضي غاضبا ووبّخ أبا العبّاس، وأقعده مكان خصمه وأقعد خصمه إليه وأمر له بالماء، فخرج أبو العباس غاضبا...فأعجب الإمام أفلح بحكم القاضي، وأيّده إلى أبعد الحدود، وقال لأخيه:" والصّواب ما فعل والحقّ أولى أن يؤثر، ولو فعل غير ذلك لكان مداهنا"، فلمّا سمع وجوه الإباضية بذلك أعجبهم وسرّوا به[1].

وعندما كان صلاح الرّعية من صلاح الرّاعي، فقد ظهر أثر الحكم الرّاشد والقضاء العادل، جليّا في الحياة العامّة للمجتمع الرّستمي، ويتلخّص ذلك في قول يحيى معمر: "مساجد عامرة، ومدارس غاصّة وأسواق مزدهرة وأرض معمورة ودور قضاء مهجورة، فإنّ الظّلمة المعتدين على قلّتهم يردّون الحقوق قبل أن تصل الشّكاوى إلى رجال القضاء لأنّهم يعرفون أنّ رجال القضاء في تلك الدّولة أذكى من أن يخدعوا وأقنع من أن يطمعوا وأعدل من أن ينحازوا وأخشى أن يجوروا وأعظم في نفوسهم من أن يداهنوا أو يسكنوا"[2].

بلغت الدّولة الرّستمية في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب، من القوّة والهيبة أوجّهما والفضل في ذلك يعود إلى حنكته السّياسية، فنعمت الدّولة في عهده بالرفاهية والعيش الرّغيد[3]، إذ كانت قليلة العيوب و المفاسد لما عرف عنه من حسن السّيرة والحكم الرّاشد[4] طيلة مدّة حكمه الّتي بلغت خمسين[5] سنة، والأمّة تنعم بالأمن والعدل والسّكون[6].

---

[1]– ابن الصغير، نفسه ، ص 51؛ الباروني، نفسه ، ص ص 265، 266؛ دبوز، المرجع السابق، ج3، ص ص 463، 464 ؛ الحريري، نفسه ، ص 142.

[2]–يحيى معمر، المرجع السابق، ج4، ص 51.

[3]– رينهم، المرجع السابق، ص126.

[4]–الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص82.

[5]– يذكر أبو زكريا أن مدة حكمه بلغت ستين سنة، ينظر: أبو زكريا، المصدر السابق، ص 146.

[6] –يحيى معمر، المرجع السابق ، ج4، ص 52 ؛ الشّماخي، المصدر السابق، ج1، ص 167.

يذكر ابن الصغير حول مدى تقدّم وتحضر الدّولة في عهد الإمام فيقول:" قد عمّر في إمارته ما لم يعمّر أحد ممّن كان قبله، فأقام خمسين عاما أميرا حتّى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتّخذ بابا من حديد وبني الجفان وأطعم فيها أيّام الجفان"[1].

لكن شاءت الأقدار أن يموت الإمام سنة 240هـ/854 م حزنا على ابنه أبو اليقضان الّذي عزم على تأديّة فريضة الحجّ، لكن العبّاسيين قاموا بأسره ونقله إلى السّجن ببغداد[2].

توفي الإمام أفلح بعد أن ترك وراءه دولة قائمة، قطعت من المجد والتّقدم أشواطا عظيمة، نالت به احترام العدّو والصّديق معا.

4-إسهامات أبي اليقضان بن أفلح الإصلاحية (241هـ-281هـ/855م-894م):

اجتمع أهل العقد والحلّ، وقرّروا عقد الإمامة لابنه أبي بكر سنة 240هـ/854م[3]، فقد جرت العادة أن يختار المجتمع الرّستمي حكامه عن طريق الاختيار والشّورى، وكان اختيار هؤلاء الأئمّة عادة ما يكون من العائلة الرّستمية، والسّبب في ذلك يعود إلى ضمان العدل والاستقامة الّتي تميّز بها الأئمّة السّابقين، وكذا الإبقاء على القبائل متّحدة ومنضوية تحت سلطة الإمام، و حتّى لا يقع تنافس ونزاع على الحكم، وهو ما أتاح الفرصة لأبي بكر بن أفلح أن يتولّى أمر الرّستميين .[4]

هذا الأخير لم يكن محلّ ترحيب من طرف الكثير من أبناء المجتمع ، بسبب ضعفه وعدم كفاءته وانصرافه لحياة اللّهو والتّرف من جهة، ورفضا لتوريث الحكم الّذي لطالما

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 52.

[2]-الدّرجيني، نفسه ، ج1، ص 83؛ أبو زكريا، نفسه ، ص 146؛ الباروني، الأزهار الرّياضية ، ص274؛ بوركبة ، المرجع السابق، ص 115 ؛ زينهم، نفسه ، ص 125؛ الحريري، المرجع السابق، ص 152.

[3]-ابن الصّغير، نفسه ، ص 59؛ الحريري، نفسه ، ص 155.

[4]- ديوز، المرجع السابق، ج4، ص 485.

أثار الكثير من الجدل من جهة أخرى، فقد ترك شؤون الدّولة لصهره ابن عرفة، حيث كانت الإمارة الإسمية لأبي بكر بن أفلح، أمّا الحقيقية فكانت لابن عرفة[1].

وهو ما جعل عبد العزيز بن الأوز ينادي بأعلى صوته:" الله سائلكم معاشر نفّوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه أخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم فيختارون من هو أتقى وأرضى فلا يلتفتون إلى كلامه ولا يشتغلون بمقاله"[2].

ومن خلال هذا الكلام يتّضح لنا جليّا نضج المجتمع الرّستمي، الذي أراد هذه المرّة الإصلاح من الدّاخل من خلال رفضه للوضع القائم، لكن هذا لا يعني انهيار الدّولة سياسيا، بل بقيّت محافظة على كيانها تنضوي تحتها العديد من القبائل، بالرّغم من الخلافات الّتي كانت قائمة بينها[3].

فعند عودة أبي اليقضان من سجنه ببغداد، لم يحاول أن ينازع أخاه أبا بكر في الإمارة ، بل راح يعمل على إصلاح الوضع الّذي آلت إليه البلاد، ودليل ذلك سهره على إصلاح شؤون المجتمع بنفسه دون أن يخلّ بآداب الإمامة الّتي كانت بيد أخيه[4].

يذكر صاحب كتاب أخبار الأئمّة الرّستميّين في هذا الباب فيقول:" وكان أبو اليقضان يركب إلى أعلى المسجد في المدينة فيجلس فيه، فمن تكلّم إليه من النّاس بين العمّال والقضاة وأصحاب الشّرطة، نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحقّ على من رضيّ

[1]– ابن الصغير، المصدر السابق ،ص 62 ؛ زينهم، المرجع السابق ، ص 127، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 473، 474 ؛ يحيى معمر، المرجع السابق، ج4، ص 53 ؛ الحريري، المرجع السابق ، 159.

[2] –ابن الصغير، نفسه ، ص 61 ؛ الباروني، الأزهار الرياضية، ص 276 ؛ الحريري، نفسه ، ص 156 ؛ زينهم، نفسه ، ص 128.

[3]– ابن الصغير، نفسه ، ص 63 ؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 83.

[4]– ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 63 ؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص 146 ؛ الباروني، الأزهار الرّياضية ، ص 278 ؛ يحيى معمر، المرجع السابق ، ج4، ص 53.

وسخط، عظم قدره أو صغر، ولم تأخذه في الله لومة لائم، فحمد له الشّراة[1]، ذلك وحمد له أخوه فعله، فإذا كان أخر النّهار أتى باب أخيه أبا بكر، فإذا وجده جالسا دخل عليه وأعلمه بما حدث في يومه من خير وحكم، وإن لقيّه مشتغلا قال لمن علم أنّه يصل إليه حرمته أقرأ على الأمير السّلام وقل له أصبحت مدينتك اليوم هادئة وأمست هادئة"..[2].

أصبح أمر محمد بن عرفة مقلقا للجميع، إذ ازداد نفوذه وارتفع شأنه بين النّاس، حتّى صار يشكّل خطرا على الإمام والدّولة معا[3]، فما كان من أبي بكر بن أفلح إلاّ التّخلّص منه بقتله[4]، بعد أن استشار مجلسه[5].

لكن هذا جلب له المتاعب، فانتشرت الفتنة وطالب أنصار ابن عرفة[6]بثأره بقيادة محمود ابن الوليد الّذي يعدّ من خاصّته، فقامت حرب وحرب ، كان كلّ من العجم والعرب وكذا الجند[7] أطرافا فيها[8].

لقد عادت هذه الحروب والفتن بالوبال على شخص الإمام، الّذي أظهر من العجز وقلّة الكفاءة ما جعله عرضة للعزل بعد أن تخلّى عن واجبه كإمام للدّولة، فخرج من

---

[1]–**الشّراة** : وهم من علماء الإباضية الذين يقومون برقابة سير أحوال الناس والإمامة بصفة عامة، ويتدخلون لإحقاق الحق وإثبات العدل كلما اقتضت الضرورة ذلك، وهو نظام خاص بالدولة الرستمية. ينظر: ابن الصغير، نفسه ، هامش ص 63.

[2] –ابن الصغير، نفسه ، ص ص63، 64 ؛ يحيى معمر، ا نفسه لسابق، ج4، ص 54.

[3]– أبو زكريا، المصدر السابق ، ص146 ؛ الباروني، نفسه ، ص 277 ؛ زينهم، المرجع السابق ، ص129.

[4]– ابن الصغير، نفسه ، ص67 ؛ الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 83 ؛ بوركبة، المرجع السابق، ص117 ؛ الحريري، المرجع السابق، ص159.

[5] –ابن الصغير، نفسه، ص 65 ؛ يحيى معمر، نفسه ، ج4، ص 53.

[6]–**محمد بن عرفة**، أحد أعيان تاهرت ووافديها، وهو من عرب القيروان كانت بينه وبين الإمام أبي بكر مناظرة نال بها بها ابن عرفه المنزلة العليا من الإقبال والجاه حتى صار أمر الدولة بيده، فمازال كذلك إلى ان قتل سنة 240ه ينظر: الحريري، المرجع السابق ، ص 160.

[7]–**الجند** : هم من أهل القيروان الذين أعلنوا تمردهم على الأغالبة، فوفدوا على تاهرت واستقروا بها وأسسوا لهم ربطا كبيرا حتى صار كالمدينة العامرة، ينظر:عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 474.

[8]– الباروني، الأزهار الرياضية، ص284–288 ؛ زينهم، المرجع السابق ، ص 131.

تاهرت في وضع لا يحسد عليه، تاركا أمر الدّولة لأخيه أبي القضان الّذي التفت من حوله النّاس[1].

تمّت مبايعة أبي اليقضان بالإمامة سنة 241هـ/855م[2]، ""فصارت الدّعوة والإمامة كلّها لأبي اليقضان، وأتته الإباضية من كلّ الأقطار"[3].

عمل الإمام الجديد منذ البداية على بسط الأمن في البلاد والقضاء على كلّ أشكال الفتن والتّمرّدات، حتّى يتسنى له التّفرغ لنهضة البلاد، ومن أجل ذلك، سارع إلى طلب المساعدة العسكرية من نفّوسة الّتي كانت بمثابة القاعدة الخلفية لتاهرت، ترجع إليها وقت الحاجة، فلبّت نفّوسة الطّلب كما فعلت في عهد الإمام عبد الوهاب، فقويّ بذلك صف أبي اليقضان الّذي لم يكن متعطّشا لسفك الدّماء ولا حتّى أهل نفّوسة الّذين وفدوا لمساعدته عسكريا، حيث طلب الصّلح من الخصوم فكان له ما أراد، وقد أعطى أهل نفّوسة يومئذ أروع مثال في الجنوح إلى السّلم والصّلح، فقال بعضهم:" إنّما جئنا لإصلاح بيضتنا وتأليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت لطلبه علّة في الأرض أو فساد"[4].

بذل أبو اليقضان[5] جهودا مضنيّة من أجل إنهاء هذه الحرب، الّتي دامت سبع سنوات سنوات وكادت أن تسقط دولته[1].

---

[1]– ابن الصغير، المصدر السابق ، ص73؛ أبو زكريا، المصدر السابق ، ص 147؛ الدّرجيني، المصدر السابق ، ج1، ص 83.

[2]– الباروني، نفسه ، ص 290 ؛ الحريري، نفسه ، ص 163.

[3]– ابن الصغير، نفسه ، ص74.

[4]– ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 75، الباروني، الأزهار الرياضية ص 291 ؛ بوركبة، المرجع السابق، ص 120.

[5]–**أبو اليقضان** محمد بن أفلح بن عبد الوهاب، خامس الأئمة الرستميين ولد بتاهرت ونشأ فيها، تلقى العلم على يد أبيه أبيه أفلح وجده عبد الوهاب حكم البلاد من سنة 241هـ إلى عام 281هـ بعد أن تنازل له أخيه أبي بكر عن الإمامة، اتصف أبو اليقضان بالعدل والفضل والإقتداء بمن سبقه زيادة على كفاءته العسكرية وحنكته السياسية، عرفت البلاد في عهده ازدهارا و انفتاحا كبيرا على العلم والعلماء، وكان من المكثرين في التأليف، له رسالة في خلق القرآن وكتب في الرد على المخالفين، ينظر :البرادي، المصدر السابق ، ص 202.

لقد كان للمؤثرات الشّرقية دورا في صقل شخصية أبي اليقضان وتكوينه السّياسي حيث أكسبته خبرة في التّعامل مع الأزمات واحتوائها، من خلال اطّلاعه على نظام تعبئة الجيوش خلال تواجده ببغداد، إذ جعلته يتكيّف مع الثّورة الّتي حدثت في عهد أخيه أبي بكر، ومكّنته من السّيطرة على الأوضاع وإعادة الهدوء إلى ربوع البلاد، بعد أن وظّف كافة قدراته العسكرية والسّياسية وحتّى المالية من أجل الإبقاء على الدّولة قائمة[2].

لمّا استقرّت الأمور وهدأت الأوضاع واستتبّ الأمن، دخل الإمام تاهرت، فشمّر على ساعديه وعمل بكلّ جدّ و نشاط، فازدهرت البلاد وكثرت الثّروة، فاستراح النّاس وسهلت ظروف معيشتهم، حتّى شبّه البعض عهد أبي اليقضان بعهد جدّه عبد الرّحمن بن رستم[3].

أظهر الإمام أبو اليقضان اهتماما بالغا بتنظيم شؤون بلاده ، فبدأ عهدا جديدا بإصلاح ما أفسدته الحرب[4]، فعرف أنّ ما يضمن حقوق النّاس ويرفع الظلم عنهم إلاّ القضاء العادل، فاستشار أهل الصّلاح، فنصحوه أن يولّي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشّيخ قاضيا عليهم، نظرا لما اتّصف به هذا الأخير من زهد وورع وتقوى وشجاعة وحسن السّيرة ، ولا يزال كذلك، إلى أن وقع أحد أبناء الإمام في المحظور وتجاوز الحدود، فما كان للقاضي أن يسكت عمّا وقع، فقرّر اعتزال القضاء، فدخل يومها على أبي اليقضان غاضبا ورمى عليه خاتم القضاء وقال له:" ولّ قضائك من تريد"[5].

من هنا نلمس استقلالية القضاء وتحرّره من كل أشكال الضّغوطات ، الّتي من شأنها أن تسيء لسمعة القاضي والقضاء بصفة عامّة.

---

[1]– الحريري، المرجع السابق ، ص 165.

[2]– الباروني، نفسه ، ص290؛ زينهم، المرجع السابق، ص 136.

[3]– يحيى معمر، المرجع السابق، ج4، ص 55 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 476.

[4]– الباروني، المرجع السابق ، ص 292 ؛ بوركبة، المرجع السابق ، ص120.

[5]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 78.

وبعد القضاء، راح يبحث عن أمين للمال، فوقع اختياره على رجل من نفّوسة عيّنه على بيت المال، ثمّ اختيار من صلحاء النّاس وأتقاهم رجل ارتضاه لنفسه، فعيّنه إماما على منبر مسجده، ومن أجل الحفاظ على أمن المجتمع واستقراره، شكّل فرق من النّاس يمشون في الأسواق يأمرون النّاس بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقمعون الغشّ ويعاقبون المطففين ويزيلون الأذى عن الطّريق[1].

قال عنه صاحب الأزهار الرّياضية:" و كاتب الإمام بعد إصلاحه الشؤون الدّاخلية رؤساء سائر أتباع الإمامة في كلّ الجهات، فأتت طائعة خاضعة، وقدّمت البيعة برضاء فرتّب الولاّة والعمّال والحكّام والقضاء وأصحاب الشّرطة في الولايات كلّها وأسرع السّير في التّقدم في الإصلاح دينا ودنيا[2]".

بالرّغم من العداء القائم بين الأغالبة والرّستميّين، إلاّ أنّ أبا اليقضان كان دائما يضع مصلحة دولته فوق كلّ اعتبار، فعندما قام العبّاس بن أحمد بن طولون صاحب مصر بغزو أراضي الأغالبة بطرابلس، قام إلياس أبو المنصور صاحب نفّوسة وعامل أبو اليقضان هناك، محتسبا وناصرا لجيرانه الأغالبة، بعد أن استغاث به أهل طرابلس، أدّى ذلك إلى هزيمة الجيش الطولوني الّذي رجع مدبرا إلى مصر[3].

نلمس من هذا العمل، بعد النّظر الّذي تميّز به أبي اليقضان في تقديره للأحداث حيث كان يرى أنّ الدور آت عليه بعد الأغالبة، إن هو لم يسارع لصدّ الخطر القادم من الشّرق قبل استفحاله.

---

[1]– نفسه ، ص ص 87، 88 ؛ الباروني، الأزهار الرّياضية، ص 292 ؛ زينهم، المرجع السابق، ص 138 ؛ بوركبة المرجع السابق، ص 120.

[2] –الباروني، نفسه ، ص ص292، 293.

[3]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص ص 282، 283 ؛ زينهم، المرجع السابق ، ص ص 139، 140 ؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 476 ؛ بوكبة، المرجع السابق ، ص 121.

كما أولى عناية كبيرة بالجانب العلمي، لما له من أهميّة في نهضة البلاد وتقدّمها حيث قام الإمام بنفسه يباشر التّدريس للرّاغبين في تلقّي العلم، فأرسل الرّسائل لعمّاله في جميع الأقاليم يحثّ فيها النّاس على طلب العلم، لما فيه من النّفع الكثير والإقتداء بالسّلف الصّالح، كما أمرهم بالابتعاد عن الأهواء والبدع والأباطيل، الّتي من شأنها زرع الفتنة والشّقاق في أوساط المجتمع[1].

كانت نتيجة هذه العناية بالجانب العلمي، أن برز الكثير من العلماء، أشهرهم محمد بن بكر الّذي اختصّه أبو اليقضان لنفسه، وألّف كتبا عديدة في الردّ على المخالفين[2]، كما كان للإمام نفسه باع في التّأليف، حيث قام بتأليف العديد من الكتب، ففي فقه الإستطاعة وحده وضع أربعين كتابا[3].

ضلّت أحوال الدّولة هادئة، وأمورها مستقرّة، والنّاس في حراك مع متطلّبات حياتهم اليوميّة، إلى أن توفيّ أبو اليقضان عام 281هـ/894 م بعد أن تجاوز المائة سنة من العمر، قضى منها أربعين عاما في الحكم ، وبوفاته ركنت الدّولة إلى الضّعف والتّفكّك وأفل نجمها في سماءالمغرب[4]، بسبب كثرة الانشقاقات داخل البيت الرّستمي والصّراع على الحكم، نتج عنه انقسام المجتمع الرّستمي إلى فرق وجماعات، فكثر اللّصوص والمنحرفون، وظهر المتآمرون على الدّولة لصالح أعدائها، ممّا جعلها لقمة صائغة في يد الفاطميين الذين اجتاحوا البلاد وخربوها خرابا مروّعا وجعلوا من أعزّتها أذلّة[5].

---

[1]– الباروني، الأزهار الرّياضية، ص 293 ؛ زينهم، نفسه ، ص 138 ؛ الحريري، المرجع السابق، ص 171.

[2]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 81.

[3]–الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 84 ؛ يحيى معمر، المرجع السابق، ج4، ص 56 ؛ بوركبة، نفسه ، ص 121 ؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص 148.

[4]– الحريري، المرجع السابق ، ص 163.

[5] –أبو زكريا، المصدر السابق ، ص 156– 170؛ دبوز،المرجع السابق، ج3، ص 515–528؛ الباروني، المرجع السابق ، ص318–347.

يلخّص لنا ابن الصّغير ما آلت إليه الأوضاع بقوله:" وكانت البلد قد فسدت وفسد أهلها في تلك الحروب واتّخذوا المسكر أسواقا والغلمان أخدانا"[1]

إنّ من أهم ما حقّقته الدّولة الرّستمية ، في فترة وجيزة من تاريخ المغرب الأوسط من حضارة وتقدّم، ساهم فيها الأئمّة الرّستميون بطريقة واضحة، تجلّت في عدة ميادين.

ففي الميدان السّياسي، نجد أنّ نظام الحكم عند الرّستميين قام على مبدأ الشورى وكان جميع أئمّة الدّولة من العائلة الرّستمية دون سواها، وهو ما أثار جدلا واسعا في أوساط المجتمع في مدى صحّة نظام الشورى من عدمه.

وقد اتّصف الأئمّة الرّستميون بالحنكة السّياسية، فأحسنوا إدارة شؤون البلاد داخليا وأقاموا علاقات التّعايش وحسن الجوار مع الدّول الّتي عاصرتهم، حالت دون وقوع صدامات وحروب حتّى مع مخالفيهم في المذهب.

لم يتخلّف الأئمّة على ربط علاقات تجارية متينة مع العديد من الدّول الخارجية، ممّا ساهم في تأمين الطّرق و القوافل التّجارية من جهة، وكذا دخول وخروج السّلع من وإلى الدّولة الرّستمية من جهة أخرى، وهو ما زادها ثروة وغنى خاصّة في عهد أفلح، كما ساهمت هذه العلاقات التّجارية أيضا في نشر الإسلام واللّغة العربية في هذه الدّول.

لعب التّسامح الدّيني والمذهبي دورا هاما في استقرار الأمور الدّاخلية، وفي عملية استقطاب الكثير من العلماء إلى تاهرت، أدّى ذلك إلى بروز العديد من العلماء في ميادين مختلفة كالطّبّ، الفلك والحساب، كما لعبت المرأة دورا محترما في الحياة العلمية والفكرية، حتّى نال عدد كبير منهنّ الشّهرة في الفقه، و علم الفلك والتّنجيم، أبرزهنّ أخت

[1] –ابن الصغير، المصدر السابق، ص 101.

الإمام أفلح بن عبد الوهاب، كما اهتّم الرّستميون بنشر العلم والتّشجيع على طلبه بين مختلف طبقات المجتمع.[1]

واجه الأئمّة بعد عبد الرّحمن بن رستم معارضة مسلّحة، ساهمت في تأجيج الأوضاع الأمنية، لكن جميع هذه الفتن تمّ إخمادها.

كما أدّى الصّراع على السّلطة إلى ضعف الدّولة واضمحلالها، ممّا سهّل على أعدائها الفاطميين من اجتياحها والقضاء عليها بسهولة.

أضافت الدّولة الرّستمية للمغرب الأوسط والأمّة الإسلامية إرثا حضاريا راقيا، وبعدا تاريخيا بارزا، بقيّ أثره على مدى الأجيال.

[1]– ينظر الملحق رقم: 05.

الفصل الثّالث:

ميادين الإصلاح في الدّولة الفاطمية ببلاد المغرب.

المبحث الأوّل: قيّام الدّولة الفاطمية على أرض المغرب.

1-الحركة الإصلاحية لأبي عبد الله الشّيعي قبيل قيّام الدّولة.

2-التحاق المهدي بأرض المغرب وقيّام الدّولة الفاطمية.

المبحث الثّاني: ميادين الإصلاح الفاطمي على أرض المغرب.

1- الإصلاح السّياسي و الإداري.

2- الإصلاح المالي.

3- الإصلاح في الميدان العسكري.

المبحث الثّالث: مظاهر الإصلاح عند المعارضة.

1- موقف علماء أهل السّنة من تجاوزات الفاطميين.

2- ثورة أبي يزيد مخلّد بن كيداد.

كانت بلاد المغرب بمثابة الملجأ الآمن للهاربين من ملاحقة الخلفاء في المشرق، كما عدّت أيضا أرضا خصبة للطّامعين في إقامة دول لهم على أساس مذهبي، نظرا لبعد هذه الرّقعة الجغرافية عن مركز الخلافة في كلّ من دمشق وبغداد من جهة، إضافة إلى الدّور الّذي لعبته بعض القبائل في حماية ودعم الدّعاة والمعارضين من جهة أخرى، حيث عرفت بلاد المغرب قيام العديد من الدّول المستقلّة والمناوئة لمركز الحكم في المشرق ومن بين هذه الدّول نذكر الدّولة الفاطمية، الّتي هي محور دراستنا في فصلنا هذا.

ففي الوقت الّذي كانت تشهد فيه دول المغرب تراجعا واضمحلالاً، كانت الدّعوة الإسماعيلية السّرّية قد قطعت شوطا كبيرا، سمح لها بالتّوغل في عمق المجتمع المغربي والتأثير فيه، بل وإقناعه بواجب الاستجابة ومناصرة دعوة آل البيت العبيديين، الّذين جاءوا من المشرق، من أجل نشر مباديء العدل والمساواة، ومحاربة التّميّز في وسط هذا المجتمع التوّاق إلى مثل هذه المباديء، خاصّة وأنّ هذه الدّعوة كان مصدرها أئمّة ينسبون أنفسهم إلى آل البيت العلوي، المنحدرين من سلالة الإمام علي وزوجته فاطمة الزهراء –رضي الله عنهما–.

وكان قيّام هذه الدّولة على أرض المغرب ، يعدّ في حدّ ذاته منطلقا لإرساء دعائم الخلافة الفاطمية في العالم الإسلامي برمّته ، حيث نجح هؤلاء الشّيعة الإسماعيلية في تأسيس دولة لهم ، بعد أن فشلوا في بلوغ أهدافهم بالمشرق.

كان لهذا النّجاح أثاره الحاسمة على الحياة السّياسية و المذهبية، و في تقرير مصير بلاد المغرب لأمد بعيد.

ففي الوقت الّذي تخلّص فيه المغرب الأوسط من سطوة العبّاسيين، وإقامة دولة له وفق مباديء الإباضية، هاهو ينضوي مرّة أخرى تحت حكم الفاطميين أصحاب المذهب الشّيعي الإسماعيلي، والأمر نفسه يسري على باقي دول المغرب الإسلامي الأخرى.

المبحث الأوّل: قيّام الدّولة الفاطمية على أرض المغرب.

1-الحركة الإصلاحية لأبي عبد الله الشّيعي قبيل قيّام الدّولة:

كلّلت جهود الدّاعيان أبي سفيان والحلواني بالنّجاح في نشر الدّعوة الإسماعيلية بين قبائل البربر، والّتي تكاد تنحصر أساسا في قبيلة كتامة وبعض بطونها، لكن شاءت الأقدار أن يموت هذان الدّاعيان دون أن يتحقّق حلمهما في رؤية ثمرة جهودهما، لكن من جانب آخر، نجدهما قد قاما بتهيئة الأجواء لأبي عبد الله الشّيعي، لإتمام المهمّة الّتي كلّف بها بعد أن قال له ابن حوشب: "إنّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لهما غيرك، فبادر فإنّها موطّأة ممهّدة لك"[1].

عمل أبو عبد الله الشّيعي بوصيّة صاحبه ابن حوشب[2]، فشقّ طريقه نحو بلاد المغرب لمواصلة نشر الدّعوة الإسماعيلية هناك[3].

واستطاع أبو عبد الله بدهائه أن يكسب قلوب حجيج كتامة، بعدما أظهر لهم من الزّهد والعلم ما يكفي ليجعل منه داعية العبيديين ببلاد المغرب لاحقا، خاصّة بعد أن توغّل في بلاد المغرب الأوسط مستعينا بقبيلة كتامة، وذلك لاعتبارات سياسية وأخرى

---

[1]– تقيّ الدّين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج 1، تح: حمال الدين الشيّال، ط 2، القاهرة، 1996، ص 55؛ سنوسي يوسف إبراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، ط 1، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1986، ص 159.

[2]–**أبو عبيد الله الشّيعي** هو حسن بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي الصناعي اليماني المؤسس الفعلي لدولة العبيديين الرافضة الإسماعيلية في المغرب، تمّ اختياره من طرف ابن حوشب لما لمس فيه من صفات قيادية بارزة من علم وذكاء وحسن التعامل مع الناس، وكان اختياره لهذه المهمة بعد وفاة الدّاعيين الحلواني وأبي سفيان الذين كلفا بنشر المذهب الإسماعيلي بأرض المغرب. ينظر: علي محمد الصّلابي، الدّولة الفاطمية، ط 1، مؤسسة اقرأ للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2006، ص4.

[3] –بوبا مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، ط 1، دار بهاء الدين للنشر، الجزائر، 2007م، ص 68.

اجتماعية[1]، فأخذ على عاتقه مهمّة الدّعوة للتّعريف بآل البيت[2]وفضائلهم وشيّمهم وأعمالهم الجليلة، وقد كان لقبيلة كتامة الفضل في إنجاح هذه العملية، من خلال دورها البارز في احتضان الدّعوة الإسماعيلية وداعيّتها وتقديم الدّعم المادّي والمعنوي له، هذا الأخير الّذي ساهم بكلّ ما ملك من جهد وقوّة في سبيل قيّام دولة العبيديين الّتي بدأ عهدها بمبايعة عبيد الله المهدي[3].

فقد ربط أبو عبد الله الشّيعي عمله بالدّعوة للإمام المهدي عبيد الله المهدي الشّيعي الّذي سيملأ عدلا بعد أن شهدت عصرا من الظّلم والجور تسبّب فيه الحكّام، وذلك من خلال الأخذ بحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – الّذي قال: "المهدي من نسلي من ولد فاطمة سيّدة نساء هذه الأمّة، طالت الأيّام أم قصرت، يخرج يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وقيل: ومتى يخرج وأين يخرج يا رسول الله؟ قال: إذا كانت زلازل في أطراف الأرض وارتشت القضاة وفجرت الأمّة، خرج من المغرب.."[4].

ومن العوامل الّتي ساعدت الدّاعي أبو عبد الله النّجاح في مهمته، تلك الانشقاقات داخل الدّولة الأغلبية وكذا سوء سلوكات حكّامها المنافية للدّين، كارتكابهم للكبائر وإساءتهم معاملة العلماء، وفرضهم الضّرائب الجائرة على النّاس.. فاستغلّ أبو عبد الله

[1]– تمّ اختيار قبيلة كتامة لاعتبارات سياسية وأخرى اجتماعية لأن هذه القبيلة كانت في شبه استقلال عن الأغالبة، لا تؤدي لها زكاة ولا خراجا، ثم أن هذه القبيلة قد أثرت في سكانها دعوة أبي سفيان والحلواني، وبالتالي صارت مهيأة لاحتضان دعوة أبي عبد الله الشيعي، ينظر: فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب، تر: حمادي الساحلي، ط 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 477.

[2]– أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ط 1، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، 1992، ص 32.

[3]– موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص 216.

[4] – إدريس عماد الدّين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح: محمد اليعلاوي، ط 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 29؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 128.

الشّيعي هذه الأمور ليستميل بها النّاس، خاصّة وأنّه أبدى معارضة شديدة ضدّ العصبية العربية[1].

لم يقدّر الأغالبة حجم الخطر الّذي كان يمثّله هذا الدّاعي وأنقصوا من شأنه، ممّا أتاح له الوقت الكافي للسّيطرة على كامل بلاد كتامة، بعد أن تخلّص من جميع الصّعاب والمحن الّتي كادت أن تقضي عليه، فحقّق على خصومه الإنتصارات تلوى الأخرى[2]، بعد أن أنشأ في "دار الهجرة" بإيكجان، تنظيما سياسيا واجتماعيا وماليا وعسكريا جديدا يستجيب للمتطلّبات العسكرية الّتي كانت تحتاجها دعوته[3]، فراح يشنّ هجماته على المدن الّتي تساقطت في يده تتابعاً، ثمّ ارتقى للقضاء على الدّول، الّتي عرفت نفس مصير المدن، بدءا بالدّولة الأغلبية فالرّستمية ثمّ الإدريسية والمدرارية[4].

وقد أظهر من الكفاءة العسكرية والحنكة السّياسية والقدرة على إدارة الأمور، ما جعله يكسب ودّ وثقة القادة والجنود، فمنحه ذلك الشّعور، أنّ الوقت مناسب لإخراج الدّعوة من السرّية إلى العلن[5].

فمنذ الوهلة الأولى الّتي أحكم فيها الدّاعي قبضته على إفريقية، حتّى بادر إلى إصلاح ما أفسدته سياسة الأغالبة، متّخذا بذلك جملة من الإجراءات السّياسية والإدارية، الّتي من شأنها أن تساهم في إقامة نظامه الجديد وتثبيت سلطته على أرض الواقع، فبدأ بتأمين العامّة من النّاس حتّى أولئك الذين كانوا في خدمة الأمير الأغلبي، كما أرسل

[1] بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 172.

[2]–الدّشراوي، المرجع السابق، ص99–112.

[3]–نفسه، ص 114.

[4]– المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 57، 58؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص ص 149، 150؛ النّويري، المصدر السابق، ج 24، ص 84؛ السّلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 79؛ الدّشراوي، نفسه ، ص 127؛ الصلاّبي، المرجع السابق ، ص 44.

[5]–الصلاّبي، نفسه، ص 44.

رسله في النّواحي للغرض نفسهمن أجل استرجاع الأموال المنهوبة والمخزونة[1]، ثم وزّع عمّاله في أرجاء البلاد كلّ حسب مهمّته، فولّى أصحاب القضاء وأمر بضرب السّكة، بعدها شرع في نشر مبادئ المذهب الإسماعيلي[2] بين أولئك الّذين مازالوا على المذهب السنّي دون عنف ولا إكراه[3].

فلمّا دخل أبو عبد الله الشّيعي رقادة قام بوضع حدّ للنّهب والفساد، فأعجب به النّاس وأخذوا في ذكر مساوئ زيادة الله الأغلبي، فردّ عليهم: "ما كان إلاّ قويّا وله منعة ودولته شامخة، وما قصّر في مدافعته، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع"[4]، فتلك هي شيمّ الكبا"ر.

2-التحاق المهدي بأرض المغرب وقيّام الدولة الفاطمية:

لمّا صارت بلاد المغرب بيد أبي عبد الله الشّيعي، أصبحت الأمور مهيّأة لقدوم عبيد الله المهدي كي يتسلّم زمام الأمور، فأرسل إليه الدّاعي رجالاً من كتامة يخبرونه بالأمر فخرج متنكّرا حتّى لا ينكشف أمره، وكان في كلّ مرّة يفلت من الأسر بفضل فطنته وذكائه، إلى أن وصل إلى سجلماسة عاصمة بني مدرار، هناك أين تمّ القبض عليه وسجنه ، بعد أن وصل كتاب من زيادة الله الأغلبي إلى اليسع بن مدرار، لكنّ أبو عبد

---

[1] -القاضي النّعمان، افتتاح الدّعوة، تح: فرحات الدّشراوي، ط 2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1996م، ص ص 246، 247؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 1، ص ص 150، 151.

[2] -**الإسماعيلية** هي إحدى فرق الشّيعة، تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصّادق، ولهم ألقاب كثيرة عرفوا بها على غرار الإسماعيلية منها: الباطنية وقد أطلق عليهم هذا اللّقب لقولهم بأن كلّ ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، ويطلق عليهم اسم التعليمية القرامطة، وقد عرفوا بهاذين اللقبين في بلاد العراق، ويطلق عليهم في خراسان اسم التعليمية والملحدة، وهم لا يحبون أن يعرفوا بهذه الأسماء وإنّما يقولون: نحن الإسماعيلية لأننا تميّزنا عن فرق الشّيعة بهذا الاسم، ينظر: الشّهرستاني، الملل والنّحل، ج 1، ص 191.

[3] – ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص 151؛ الدّشراوي، المرجع السابق ، ص ص 167، 168؛ عبد الله جمال الدّين، الدّولة الفاطمية، د ط، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1991م، ص 48.

[4] – المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص 63.

الله الدّاعي ، ما كان له ليسكت عن فعلة اليسع بن مدرار[1]، فجيّش الجيوش وشحذ النّفوس، واتّجه نحو سجلماسة لإنقاذ صاحبه من الأسر، وفي طريقه داهم تاهرت وقضى على ملك بني رستم وعيّن عليها عامله دواس بن صولات، ولمّا بلغ عاصمة المداريين خلّص صاحبه من الأسر وعيّن عليها إبراهيم بن غالب المزّاني كعامل له هناك، بعدها سار الجميع نحو رقّادة الّتي وصلها سنة 297هـ/909م ولقّب المهدي بأمير المؤمنين[2]. ولمّا استقرّت الأمور، شرع المهدي في بناء دولته والّتي كان لقبيلة كتامة الدّور الحاسم في ذلك[3].

كان لزاما عليه إيجاد نظام سياسي يتماشى وظروف المرحلة السّائدة آنذاك، سواء بتغيير النّظام السّابق واستبداله بنظام أخر يخدم التطلّعات والمبادئ ، ويحقق الأهداف الّتي أقيمت من أجلها الدّولة الفاطمية، أو بإنشاء نظام مرن يوازن بين النّظام السّابق والمقتضيات السّياسية الّتي تتطلّبها المرحلة، حيث تمّ وضع نظام حكم قائم على تلك الهياكل الإدارية الّتي كانت سائدة في عهد الدّويلات، مع إدخال بعض التّشريعات الجديدة التي مسّت الجوانب السياسية والإدارية، هذه التّشريعات كانت تتغيّر كلما اعتلى إمام جديد سدّة الحكم من جهة، وحتّى يتعوّد أهل البلاد على مثل هكذا نظام من جهة أخرى[4].

---

[1] –القاضي النّعمان، افتتاح الدّعوة، ص ص 277، 278؛ المقريزي، المصدر السابق ، ج 1، ص ص 60، 61؛ جمال الدين، المرجع السابق ، ص ص 48، 49.

[2]–القاضي النّعمان، نفسه ، ص ص 287، 296؛ المقريزي، نفسه ،ج 1، ص 66؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص ص 151، 152؛ الدّاعي إدريس، المصدر السابق، ص ص 151، 170؛ الدّشراوي، المرجع السابق، ص ص176، 181.

[3] –القاضي النّعمان، نفسه، ص 302؛ الدّاعي إدريس، نفسه ، ص 130.

[4]–الدّشراوي، نفسه ، ص ص 413، 414.

المبحث الثّاني: ميادين الإصلاح الفاطمي على أرض المغرب.

1- الإصلاح السّياسي و الإداري:

إنّ الإمامة في نظام الحكم الفاطمي، تختلف عمّا هو قائم في الأنظمة الأخرى الّتي عرفتها الأمّة الإسلامية، حيث تنتقل أباً عن جدّ داخل أسرة الإمام المنتسب إلى آل البيت[1]، و من شروطها أن يكون الإمام على دراية بشؤون الحكم، ذو ثقافة واسعة عارف بمختلف العلوم كالفقه والفلسفة والطبّ..جميع الأمور بين يديه، يأبى أن يشاركه فيها أحد ودليل ذلك، أبو عبد الله الشّيعي الذي دفع حياته ثمن طمعه في تسيير شؤون الدّولة في عهد الإمام الأوّل عبيد الله المهدي[2]، فالإمام يعيّن[3] خليفته في حياته حتّى لا يطمع فيها غيره[4]، ويتّضح ذلك في تعيين الإمام المهدي لابنه القائم بأمر الله خليفة له[5].

وفي هذا الشّأن دائما قال الإمام المعزّ لدين الله: "وما من وليّ سالف إلاّ وبعده وصيّ خالف، قائم لله بحقّه، متحرّ ثوابه، عامل بما يرضيه حسب طاقته ومنتهى استطاعته"[6].

إنّ النّظام السّياسي، المتمثّل أساسا في الحكومة المركزية، المبنيّة على قواعد ودعائم يعدّ الإمام فيها بمثابة الرّكن الأساسي الّذي تقوم عليه الدّولة، يتمتّع بصلاحيات غير محدودة ويحظى بلقب الخليفة أو أمير المؤمنين[7]، بيده مقاليد الحكم المتمثّلة في سلطته السّياسية وقيادة الجيش، يترأّس السّلطة التّنفيذية، فهو من يعيّن الولاّة والأمراء وسائر

---

[1]- الدّشراوي، المرجع السابق ، ص: 435.

[2] -محمد حسن العيدروس، حضارة دول المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية، ط 1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010م، ص18.

[3] -يرى العيدروس أن تعيين الإمام لخليفته يعدّ بمثابة تشريكه في تسيير شؤون الدولة، وقد يعدّ ذلك من الإصلاحات المذهبية والسياسية التي أقرها الأئمة الفاطميون أمثال المهدي والمعزّ. ينظر: العيدروس، نفسه، ص32.

[4]-الدشراوي، المرجع السابق، ص435.

[5] -الدّاعي إدريس، المصدر السابق، ص ص 189، 190.

[6] -العيدروس، نفسه ، ص29.

[7]-الدّشراوي، نفسه ، ص421.

الموظفين، ويتولىّ رأس القضاء ويتسمّى بقاضي القضاة، له الحقّ في عزل الموظفين و مصادرة أموالهم وأملاكهم إذا ما رأى ما يستوجب ذلك[1].

كما له الحقّ المطلق في السّيادة على الدّولة الإسلامية من خلال اللّقب الذي يحمله[2]، فهو ينال الإمامة وفق القواعد الّتي ضبطها المذهب الإسماعيلي[3]، وذلك حسب الحديث الّذي ذكره أبي علي محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي، في باب اختيار الأئمة،أنّ الرسول – صلى الله عليه وسلم– قال: "إمام القوم وافدهم إلى الله، فقدّموا في صلاتكم أفضلكم.."[4].

ومن أجل إقامة مثل هكذا نظام، كان لابدّ من وجود حاشية سياسية تتولّى مختلف المناصب الّتي يمنحها إيّاها الإمام نفسه، لمساعدته على إدارة دواليب الدّولة، وعادة ما تكون هذه الحاشية، تنتمي إلى الفئات الثّلاث الّتي كان يتكوّن منها المجتمع الفاطمي على أرض المغرب وهي: العرب، البربر والصقالبة، فهي مطالبة بتطبيق أوامر الخليفة بكلّ دقّة، ولا يقبل فيها أيّ تدخل[5].

فعندما حاول أحمد بن زياد التّوسط لدى الإمام للتّخفيف من مغارم الخراج على النّاس، فردّ عليه المهدي: "أن هذه المغارم لم يفتح السّلطان قط فيها بابا للتّخفيف لولد من أولاده ولا لقائد من قوّاده"[6].

---

[1]–الدّشراوي، المرجع السابق ، ص39.

[2]– القاضي النّعمان، المصدر السابق، ص58؛ الدّشراوي، نفسه، ص422.

[3]–الدّشراوي، نفسه ، ص431.

[4] –القاضي النّعمان، الإيضاح، ط 1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2007م، ص 107.

[5] –القاضي النّعمان، افتتاح الدعوة، ص 305؛ الدّشراوي، نفسه ، ص 439.

[6] –أبو العرب المصدر السابق، ص169.

بوصول الإمام الثّاني القائم بأمر الله إلى سدّة الحكم، انتهج سياسة أكثر مرونة نظرا لتوسّعاته في البلاد، فأصبح الولاّة يتمتّعون بحرّية أكبر في تسيير شؤون المناطق الّتي يعيّنون عليها.[1]

تظهر إيجابيات النّظام السّياسي الفاطمي حسب حسن العيدروس، في بقاء السّلطة بيد الإمام ، وهو ما من شأنه أن يعود بالخير على البلاد والعباد، بينما تبدو سلبياته في تحوّل السّلطة إلى يد الأمراء والوزراء، وما ينجرّ عن ذلك من أضرار وفساد[2].

وقد حقّقت السّياسة الفاطمية ببلاد المغرب في دورها الأوّل، نجاحا باهرا بفضل بقاء السّلطة بيد الأئمّة الذين أحيطوا بهالة من القداسة[3].

كما ظهرت بوادر الإصلاح الإداري ، منذ الوهلة الأولى الّتي أحكم فيها الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي قبضته على جزء من بلاد المغرب، فلمّا أخذ ملك ونفوذ العبيديين في الإتّساع وعظم سلطانهم، أملت عليهم الضّرورة التّوسع في النّظم الإدارية، فاعتمدوا على ابتكار نظم إدارية وفقا لحاجاتهم وغاياتهم السّياسية والمذهبية.

فالبداية كانت على يد أبي عبد الله الشّيعي، الّذي بادر بإصلاحه الإداري، حيث قام بإنشاء السّجلات ووضع ختما لها، ثمّ قام بتعيين الولاّة من أهل الكفاءة والثّقة والإخلاص على مختلف الأقاليم الخاضعة لسيادة الدّولة، فنجده قد ولّى على مدينة القيروان ابن أبي خنزير سنة 296هـ/908م، وأمره بإقامة الحدود على مرتكبي المحرّمات، كما عيّن محمد بن يحي بن عبد الأعلى المروزي قاضيا عليها، أمّا مدينة تاهرت، فولّى عليها واليين في نفس الوقت ، وهما أبو حميد دواس بن صولات اللّهيصي

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص215.

[2]–العيدروس، المرجع السابق، ص35.

[3] –نفسه، ،ص38.

وإبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهواري وكان الغرض من ذلك، تخفيف العبء عليهما وتقاسم الأعمال الإدارية بينهما[1].

يمكن اعتبار هذه الفترة، بمثابة المرحلة الانتقالية، الّتي سبقت عهد الإمامة الفاطمية الحقيقي على أرض المغرب.

وبعد أنّ بويع المهدي بالإمامة، عيّن سالم بن أبي راشد واليا جديدا على صقلية مكان ابن قرهب[2].

ومن أهم مظاهر الإصلاح الإداري الأخرى الّتي باشرها الإمام المهدي[3]، بناءه للعاصمة الجديدة المهدية لتكون عاصمة للدّولة بديلا عن رقّادة، حيث بنيّت بالحجارة وبوّبت بالحديد الخالص، وجعل لها مخرجا إلى البحر، ووضع له قفلا، فزادها ذلك أمنا وجمالا، ثمّ أمر بإعمارها فعمّرت[4]، ويعود سبب بنائها لاعتبارات شخصية وأخرى أمنية كون رقّادة ترمز إلى نظام الأغالبة من جهة، وخوف الإمام المستمر من أهلها من جهة أخرى[5].

وكان نقل العاصمة إلى المهدية سنة 308هـ/917م، بعد أن أكمل بناء قصر الإمامة وأحاطها بسور يحميها، وبنى فيها إدارة مركزية تحتوي على العديد من الدّواوين، يسهر كلّ ديوان على السّير الحسن لمصالح الدّولة[6].

---

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص151–153.

[2]–نفسه، ج 1، ص 175.

[3]–**المهدي بالله** أبو محمد عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل ابن جعفر الصادق، ولد يوم الاثنين 260هـ، بمدينة عسكر كرم بخورسان ثم انتقل والده إلى سلمية، وفيها نشأ و ترعرع، ولمّا توفي والده كفله عمّه أبا علي محمد بن أحمد المكنّى بسعيد الخير، توفي المهدي يوم الاثنين 15 ربي الأوّل من سنة 322هـ، بالمهدية. ينظر: الدّاعي إدريس، المصدر السابق، ص 143.

[4]– المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص 70؛ الدّاعي إدريس، نفسه ، ص 209.

[5] –زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 93.

[6] –ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص 184؛ الدّشراوي، المرجع السابق، ص 254؛ بوبا مجاني وآخرون، المرجع السابق، ص 19.

المعروف عن الإدارة الفاطمية أنّها مركزية إلى أبعد الحدود، إذ أنّ جميع الصلاحيات كانت بيد الإمام دون غيره، ممّا جعل منها إدارة بطيئة التطوّر مقارنة بتلك الموجودة في قرطبة وبغداد.. لكن رغم ذلك، كانت مظاهر النّشاط بادية عليها، بفضل أولائك الأعوان الأكفّاء المخلصين لإمامهم[1].

وعرف عن المهدي أنّه دوّن الدّواوين الّتي تعدّدت مهامها[2]، كديوان الرّسائل الّذي كان يكتسي أهمّية بالغة في الإدارة الفاطمية، وأشهر من تولّى هذا المنصب، إبراهيم بن محمد الشّيباني البغدادي المعروف بأبي اليسر، الّذي كان مسؤولا عن ديوان الرّسائل في العهد الأغلبي، وأقرّه المهدي مرّة أخرى في هذا المنصب، وبعد وفاته أوكل بهذه المهمّة إلى أبي جعفر محمد بن أحمد الهارون البغدادي، الّذي قام بها على أحسن وجه، ونظرا لما اتّصف به هذا الأخير من كفاءة وفضل وإخلاص في العمل، جعله المهدي من أقرب الموظفين إليه، حيث أضاف له مهمّة صاحب البريد، ونجده قد بقيّ في هذا المنصب إلى غاية عهد الخليفة الثّالث أبو الطّاهر إسماعيل المنصور، وبوفاة أبي جعفر آل ديوان الرّسائل إلى جوهر الصقلي[3].

وقد ألحق بديوان الرّسائل، ديوانا أخر وهو ديوان البريد المعدّ خصيصا للتّبليغ عن المراسلات المتبادلة بين مقرّ الحكم و أقاليم الدّولة، وعندما يتعلّق الشّأن بالأمور المستعجلة، كانوا يستعملون الحمام الزّاجل من أجل التّسريع في اتّخاذ التّدابير اللاّزمة[4].

---

[1]–الدّشراوي، المرجع السابق ، ص ص 453، 454.

[2] –القاضي النّعمان، افتتاح الدّعوة، ص ص 303، 304.

[3]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص ص 162، 163؛ الدّشراوي، نفسه ، ص 456.

[4] –ابن عذاري، نفسه، ج 1، ص 170؛ الدّشراوي، نفسه، ص 464؛ صابر محمد دياب، سياسة الدولة الفاطمية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن 02هـ حتى نهاية العصر الفاطمي، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 1975م، ص 99– 101؛ بوبا مجاني وآخرون، المرجع السابق، ص 176.

كما أقرّ المهدي على ديوان البريد رجلاً كان قد تولى هذا المنصب في عهد الأغالبة وهو عبد الله بن محمد بن القديم، كما كلّفه أيضا بإدارة ديوان الخراج، فأصبح يجمع بين الوظيفتين[1]، نظرا لكفاءته وخبرته الإدارية ، وهوما يدلّ على مدى حرص الإمام عبيد الله المهدي على انتقاء ذوي المهارات لاعتلاء مثل هكذا مناصب، ثمّ عهد المهدي ما كان بيد أبي القديم إلى شخص البغدادي، الذي كلّف بإدارة جميع الدّواوين والشؤون المالية ، كما أنشأ المهدي ديوانا جديدا يعرف بديوان الكشف[2] و أوكله إلى البغدادي أيضا، وهو بمثابة مكتب للاستعلامات في وقتنا الحاضر، وظيفته مراقبة وكشف المتآمرين على الخليفة والدّولة، خاصّة بعد اكتشاف المآمرة التي أحيكت ضدّ الإمام من طرف أبي عبد الله الشّيعي وأخيه، والدّور الذي لعبه البغدادي في إحباطها، ومنذ سنة 300هـ/913م تمّ إدماج ديوان الكشف في ديوان البريد، وبقيّ تحت تصرّف البغدادي حتّى وفاته[3].

ولم يكن العمل القضائي بمعزل عن الشّأن الإداري، وكان رجل القضاء يحظى بمكانة رفيعة لدى الإمام[4]، ولمّا كان الأمر كذلك، فقد نظر الإمام الأوّل الفاطمي في أمر القضاء، فلم يجد لهذه المهمّة أكفأ من أفلح بن هارون الملّوسي، فولاّه قضاء المهدية ورقّادة وغيرها من الأعمال ، فكان فيها خطيبا، ونظّم مجالس الدّعوة للنّساء، وكان تقيّا شديد التّعفّف، يخاطب النّاس بالحجّة، نال إعجاب المهدي، فكبر في عينه وعظّمه[5].

وفي السّياق نفسه، انتهج المهدي سياسة المرونة والحلول الوسطى مع أهل البلاد المناهضين للمذهب الشّيعي الإسماعيلي، من أهل السّنة المالكية والخوارج الإباضية، ممّا جعله يحرص على اتّباع سياسة التّقارب معهم، وينظم القضاء بصيغتين، فقضاء الطّائفة

---

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 1، ص 159.

[2]–نفسه، ج 1، ص162، 169.

[3]–الدّشراوي، المرجع السابق، ص ص 461، 462.

[4]–نفسه، ص 591.

[5]– الدّاعي إدريس، المصدر السابق، ص 211.

الشّيعية الإسماعيلية، كان مقرّه رقادة ثمّ المهدية وأخيرا المنصورية، والّذي تقلّده مجموعة من القضاة، أمثال أفلح بن هارون، وزرارة بن أحمد، وأخيرا القاضي النّعمان، ومن جهة أخرى، فقد تولّى القضاء الرّسمي الممثّل لأهل السنّة وكان مقرّه القيروان، جماعة من القضاة، كابن المرورذي وابن أبي المنهال ومحمد بن عمران النّفطي وابن هاشم.

وظلّ الأمر هكذا، إلى أيّام المعزّ الّذي حرص على مراعاة رأي أهل السّنة وفقهاء المالكية، ويعدّ هذا التّنظيم المبتكر في شأن القضاء، إصلاحا داخل المذهب الإسماعيلي في حدّ ذاته[1].

كما أظهر الإمام المعزّ لدين الله يقظة واهتماما كبيرين بالأمر[2]، إذ فوّض سلطته القضائية إلى قاضي القضاة ومساعديه[3]، غير أنّه في بعض الأحيان نجده يخرج بنفسه إلى الأقاليم للإطّلاع على أحوال القضاء وقضايا النّاس ومراقبة العمّال هناك، ولم يدّخر بدّا في نشر العدل وردّ المظالم وإدانة التّجاوزات التي يرتكبها عمّاله والنّظر في شكاوي أهل البلاد، كما لا يتردّد في معاقبة من تثبت التّهمة ضدّه[4].

وفي الجانب الثّقافي، كان للأئمّة الفاطميين دور الحاضر الفعّال في هذا المجال وحسب ما ورد في كتاب المجالس والمسايرات، فإنّ الأئمّة اهتموا بالجانب العلمي والثّقافي اهتماما بالغا، فهذا الإمام المنصور نجده يشجّع المعزّ لدين الله على إقامة المناظرات العلمية، وقد بلغ شغفه بالنّحو درجة عالية، حتى أنّه أمر المعزّ دائما بتأليف كتاب في هذا التخصّص.

---

[1]– القاضي النّعمان، المجالس والمسايرات، ص 348؛ الدّشراوي، المرجع السابق ، ص 598.

[2]– القاضي النّعمان، نفسه ، ص ص 234، 235؛ الدّشراوي، نفسه ، ص 472.

[3]– القاضي النّعمان، افتتاح الدعوة، ص 247.

[4]– القاضي النّعمان، المجالس والمسايرات، ص 251؛ الدّشراوي، نفسه، ص 473.

وكان المنصور عالما بالنّجوم غير مؤمن بتأثيرها، وقد عهد إلى تكليف القاضي النّعمان بالرّدّ على أهل السنّة في مسألة البسملة مستعينا بالقرآن الكريم، ممّا شجع هذا الأخير على الإجتهاد والتّبحّر في مختلف العلوم، حيث كان له تفسير لسورة المائدة[1] وبحث في معاني البرهان[2]، ويُشهد للمعزّ لدين الله أنّه كان عارفا بكل أصناف العلوم[3]، وله ردّ على الجاحظ، لمّا رأى من هذا الأخير استخفافا بقصّة سيدنا سليمان مع الهدهد[4].

2-الإصلاح المالي:

يعدّ النّظام المالي الذي شهدته بلاد المغرب في عهد الفاطميين، من أتقن الأنظمة وأكثرها دقّة، وهو نظام وضع خصيصا لتحقيق هدف واضح في السّياسة التّوسعية للدّولة الفاطمية بأرض المغرب، والتي لم تكن سوى مرحلة انتقالية نحو تحقيق الهدف المنشود وهو حكم الأمّة الإسلامية من غربها إلى شرقها.

في البداية، كان المال أحد أهمّ دعائم الدّعوة الإسماعيلية في جلب الكثير من الدّاعمين والمناصرين والمؤيّدين، وذلك من خلال السّياسة المالية المنتهجة من طرف أبي عبد الله الشّيعي، الذي عمل على تخفيف الضّرائب على النّاس قدر الإمكان والاكتفاء بما هو ضروري، وهو ما ساعد على انتشار الدّعوة الإسماعيلية بشكل ملفت في مرحلتها الأولى، لكن بمجرد أن اعتلى الإمام المهدي سدّة الحكم حتى غيّر من سياسته المالية، إذ صار يتصيّد الفرص لجمع المال، نظرا لحاجة الدّولة لهذا المال[5].

يقول القاضي النّعمان في شأن الإصلاحات المالية للإمام المهدي: "ودوّن الدّواوين وأمر باقتضاء واجب الأموال، وكان ديوان الخراج قد أحرق لمّا هرب زيادة الله فأمر به

---

[1] -القاضي النّعمان، المجالس والمسايرات، ص ص 132-135.

[2] -نفسه، ص 147.

[3] -نفسه، ص148.

[4] -نفسه، ص 264.

[5] - زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 116.

فأحييّ، ونصّب ديوانا للكشف، وديوانا للضّياع وديوانا لأموال الهاربين مع زيادة الله... واتّخذ العبيد من السّودان والرّوم ونصّب ديوانا للعطاء، وأمر بإثبات الموالي وأبناء العبيد فيه ومن سارع إلى الرّزق.. وأمر بطلب من نهب رقادة، فاسترجع كثير منه من أيدي النّاس..واجتمعت منه أموال كثيرة، وجعل بيتا للمال وأقام له ديوانا"[1].

من هذا القول، يظهر لنا الانشغال الكبير للحكّام الفاطميين بالجانب المالي، نظرا لما يكتسبه من أهمية في سبيل استمرارية الدّولة وديمومتها، حيث أخذت المصالح المالية في التطوّر شيئا فشيئا، ومن إمام إلى أخر وكان مقرّها دائما عاصمة الحكم[2].

أنشأ المهدي دواليب بيت المال من العدم، ونقله إلى عاصمته الجديدة المهدية ووضع له نظاما خاصا به، مع إدراجه ضمن المصالح المالية الأخرى في دار المحاسبات يدير شؤونه رجل يسمى "الخازن"[3].

لقد جمع المهدي أموالاً طائلة، وكان لابدّ له من تصريف هذه الأموال في أوجهها الصّحيحة، إذ أنّ مشروع الدّولة الفاطمية الطّموحة للسّيطرة على كامل العالم الإسلامي من غربه إلى شرقه، كان بحاجة ماسّة إلى مزيد من الأموال لتحقيق الهدف المنشود.[4] كما أمر بإحياء ديوان الخراج السّابق وولىّ عليه أبي القاسم بن عبد الله بن القديم، كما أقام المهدي ديوانا أخر لا يقلّ أهميّة عن ديوان الخراج ألا وهو ديوان السّكة، الّذي تكلّف به أبو بكر القمّودي المعروف بالفيلسوف، كما ولّى أبا جعفر الخرزي على بيت المال

[1] –القاضي النّعمان، افتتاح الدعوة، ص 303؛ الدّاعي إدريس، المصدر السابق، ص 177.

[2]–الدّشراوي، المرجع السابق، ص 477.

[3]–أبو علي منصور العزيز الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد كامل حسين، د ط، دار الفكر العربي، مصر، د ت ن، ص 39؛ الدّشراوي، نفسه، ص ص 478، 479.

[4]– زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 117؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 389.

نظرا للمكانة الّتي حظيّ بها عند الإمام المهدي، أمّا ديوان العطاء فقد وضع تحت إدارة عبدون بن حباسة الكتامي[1].

وكانت الموارد المالية بمغارمها ومغانمها وعلى اختلاف أنواعها، تشكّل حجر الأساس لبيت المال الفاطمي[2].

استحدث الإمام دواوين جديدة، الهدف منها جمع المزيد من المال عن طريق الضّرائب، ومن هذه الدّواوين المستحدثة، نجد ما يسمّى بديوان التّضيّيع وكان ذلك سنة 305هـ/917 م، ويعنى بضرائب بقايا التّقسيط[3] والّتي تدخل ضمن التّعديل الضّريبي أو ما يسمّى بالإصلاح الضّريبي الّذي كان يتمّ بين الفينة والأخرى، وإلى جانب ديوان التّضيّيع، استحدثت ضريبة الحجّ أو ما يسمّى بالشّطور، الّتي أقرّها المهدي سنة 309هـ/921 م على جميع الحجّاج، وأجبرهم على المرور بالمهدية والتّوقف بها من أجل تسديد ما يكون مستحقا عليهم للدّولة قبل مغادرتهم البلاد.

وحسب سعد زغلول فإن هذا الإجراء: "كان بمثابة المراجعة الضريبية على الحجاج وما كانوا يحملونه من أموال"[4].

أمّا في عهد الإمام الثّالث المنصور[5]، الّذي نقل دار ملكه إلى عاصمته الجديدة المسمّاة بالمنصورة الّتي أصبحت مقرا للمصالح الإدارية والمالية، هذه الأخيرة شهدت

---

[1] –القاضي النّعمان، افتتاح الدعوة، ص: 303؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 151؛ زغلول،المرجع السابق ، ج 3، ص 121؛ الدّشراوي، المرجع السابق ، ص ص 477، 478.

[2] –زغلول، نفسه،ج 3، ص118– 120.

[3] – التقسيط يقصد به الخراج، ينظر: جودت عبد الكريم، المرجع السابق، هامش ص 399.

[4] –ابن عذاري، نفسه ،ج 1، ص 181– 186؛ زغلول، نفسه ، ج 3، ص ص 122، 123؛ جودت عبد الكريم، نفسه ، ص399.

[5] –**المنصور** هو أبو العباس اسماعيل بن أبي القاسم، ولد بالمهدية سنة 299هـ وقيل 302هـ وولى وله اثنان وثلاثون سنة، كان بطلا شجاعا بليغا فصيحا، خاض حربه مع أبي يزيد الخارجي، بنى مدينة المنصورة عام 334هـ وصارت

تنظيما متشعّبا أكثر فأكثر، أطلق عليه اسم "ديوان المنصورية" وهو بمثابة مصلحة مركزية، تضمّ مختلف الدّواوين المالية الشّبيهة بدار الحسابات الّتي كانت قائمة بالمهدية[1].

وقد شهدت المصالح المالية تطوّرا ملحوظا في عهد المعزّ لدين الله الذي أولى عناية خاصّة ببيت المال، وكان الهدف من ذلك واضحا، هو توفير الأموال اللاّزمة لتمويل الحملة على مصر بقيادة جوهر الصقلّي الذي كان يرأس المصالح المالية تحت سلطة جوذر صاحب بيت المال[2].

لم يكن الأئمّة الفاطميين متسامحين مع موظفي بيت المال، خاصّة إذا ما رأوا تقاعسا في جمع الأموال أو في تبذيرها، ولم يتوان هؤلاء الأئمّة في ردع ومعاقبة كلّ من تسوّل له نفسه مدّ يده إلى المال العام، كما اجتهد هؤلاء الأئمّة على تعيّين أفضل الموظفين لهذه المهمة[3].

وأهم إصلاح مالي شهدته الدّولة الفاطمية على أرض المغرب هو تغيير العملة، ويعدّ ذلك إعلانا بالتّغيّير الذي طرأ على النّظام المالي القائم من جهة، وإبراز السّيادة المالية الفاطمية على الأرض من جهة أخرى[4].

هذه العملة، كانت تضرب بأسماء الخلفاء الفاطميين وفي المدن الرّئيسة، أمّا وزنها فكان يتراوح بين 3,62 غرام إلى 4,36 غرام[1].

دار ملكه، توفي سنة 341هـ/952م. ينظر: أبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التّهامي نقرة، د ط، دار الصّحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1401هـ، ص59-62.

[1]-الجوذري، المصدر السابق، ص 116؛ الدّشراوي، المرجع السابق، ص ص 478، 479.

[2]-الجوذري، نفسه ، ص39؛ الدّشراوي، نفسه ، ص 482.

[3]-العيدروس، المرجع السابق، ص ص 78، 79.

[4] -ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 279.

استمر سبك النّقود في عهد الإمام الأوّل عبيد الله المهدي بالقيروان، نظرا لشهرة المدينة في هذا الميدان، والّتي احتفظت بدورها الرّيادي كأهم مركز عمراني وتجاري، لأنّ المهدية في بدايتها الأولى لم تكن تحمل تلك المواصفات التي حظيّت بها القيروان، وبقيّ النّظام النّقدي على حاله في عهد الخليفة الثّاني القائم بأمر الله[2]، ومن بعده ابنه المنصور الّذي واصل في ضرب السكّة باسم أبيه القائم[3].

وقد أمر المنصور بإصدار كميّات كبيرة من النّقود، لسدّ حاجيات الدّولة من العملة لأنّه ورث خزينة خاوية، بسبب النّفقات الكبيرة الّتي صرفت على الجيش في حربه ضدّ صاحب الحمار[4]، هذه الحرب التي صاحبها أيضا تدهورا في الحياة الاقتصادية والإدارية.. حيث تعطّلت عملية جمع الضّرائب[5].

استمرّ ضرب السّكة في كلّ من المهدية والمنصورية في وقت واحد، ولمدّة سنة من دون انقطاع، وهو ما لم يسبق له نضير في الضّرب ببلاد المغرب، وقد تميّزت دنانير المنصور بتغيير جوهري من حيث الشّكل والحجم، مع الحفاظ على وزنها الشّرعي، وفي عهد المعزّ، توسّعت الدّولة كثيرا، شملت المغرب، مصر، اليمن والشام، فأصبح دينار

---

[1] –صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حمّاد، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 475.

[2] –**القائم بأمرالله** هو محمد بن عبيد الله وكنيته أبو القاسم 268هـ–334هـ/891م–946م ثاني الخلفاء الفاطميين، ولد بسلمية من بلاد الشام بويع يوم مات أبوه عبيد الله وعمره إذ ذاك اثنتان وأربعون سنة، ذكروا أنّه كان شجاعا، مهيبا قليل الخير، عايش ثورة أبي يزيد صاحب الحمار، مات القائم محاصرا في عاصمته المهدية سنة 334هـ/946م. ينظر: ابن حمّاد، المصدر السابق، ص53–58؛ منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص 346.

[3] –الجوذري، المصدر السابق، ص60 ؛ الدّاعي إدريس، المصدر السابق، ص461؛ الدّشراوي، المرجع السابق، ص 506.

[4] –القاضي النّعمان، المجالس والمسايرات، ص551؛ الدّاعي إدريس، نفسه، ص 323.

[5] –وفيها أعلن المنصور عن إسقاط الجباية لسنة 335هـ عن جميع أهل المغرب مسلمين وأهل الذمة معا، وهو ما زاد من تفاقم الوضع المالي، ينظر: الدّاعي إدريس، نفسه ،ص 379.

يتداول على نطاق واسع، ممّا أكسبه قوّة وقيمة، حتّى صار ينافس الدّينار العبّاسي والبيزنطي، ومن أجل سدّ الحاجة، قام المعزّ[1] بإنشاء دور جديدة لضرب السّكة[2].

لا يخفى على أحد مدى حرص المعزّ وعنايته الكبيرة بالسّكة، ومعرفته الجيّدة لها وخير مثال على ذلك، تنويره وإرشاده وتوجيهه لجوذر حول الطّريقة الّتي ينبغي عليه اتّباعها في حلّ المشكل الّذي وقع بين متولّي بيت المال بالمهدية والسّكاك، بشأن الغلّة أي النّقود غير المتداولة فقال له: "يا جودر: هذا الّذي ذكره في الاختبار عليه من الغلّة محال، إذ هو يعرف ما يرفع في الغلّة فليس يجعل على نفسه شاهدا منها ولكن إنّما يختبر عليه ما بأيدي الناس ففيها تقع المصانعة، لأن التاجر يرضى له أن يأخذ من الغلّة على الجودة ويسامح في غير ذلك، إذ الرّبح مشترك بينهما، فعرفه ذلك، وحذره من السقطة، وأحدر بدراً إلى نفسك واسمع كلامه على ذلك، ثم عرفنا بما تقف عليه من قولهما إن شاء الله"[3].

3-الإصلاح في الميدان العسكري:

يعدّ الجيش القاعدة الأساسية الّتي قامت عليها الدّولة الفاطمية، كما يعدّ أيضا الأداة الفاعلة والمؤثّرة في سياستها، وقد اعتمدت عليه كثيرا في بسط نفوذها على تلك الرّقعة الجغرافية الشّاسعة الّتي صارت تحت حكمها، وقد تشكّلت نواته الأولى من أبناء قبيلة كتامة، والفضل في ذلك يعود إلى أبي عبد الله الشّيعي في تكوين هذا الجيش وتنظيمه للقيّام بالمهمّة الأساسية الّتي اضطلع بها الخلفاء الفاطميين للدّفاع عن دولتهم، وبسط

---

[1]-**المعزّ لدين الله** هو معد بن تميم رابع الخلفاء الفاطميين وآخرهم على أرض المغرب ولد بالمهدية يوم الاثنين من رمضان سنة 319هـ/931م، تولى الخلافة وله اثنتان وعشرون سنة، أرسل قائده جوهر الصقلي إلى مصر ففتحها وبنى له مدينة القاهرة، التي ارتحل إليها تاركا حكم المغرب لبني زيزي، توفي سنة 365هـ/975م، ينظر: ابن حماد، المصدر السابق، ص 83-92.

[2] -المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص86-98؛ الدّشراوي، المرجع السابق، ص 503-508.

[3]-الجوذري، المصدر السابق، ص 91.

الأمن في أرجائها، بالقضاء على كلّ أشكال التّمرّدات والفتن الدّاخلية من جهة، ولحماية الثّغور من كلّ خطر خارجي قد يهدّد كيان الدّولة ووحدتها من جهة أخرى.

كان الجيش يتكوّن من عدّة عناصر مختلفة العرقيات، لكن في البداية لم يعتمد الخلفاء الفاطميون بصورة أساسية على عنصر العبيد، بل كان اعتمادهم بصفة رسميّة على عناصر القبائل المناصرة والموالية، بل والمتبنيّة للمذهب الشّيعي الإسماعيلي، وعلى رأسها قبيلة كتامة[1].

بعدها شرع الأئمّة في شراء أعداد هائلة من العبيد[2]، خاصّة من مناطق صقلية وبلاد الرّوم، فقاموا بتدريبهم وتربيّتهم تربية عسكرية، وبعد أن اطمأنوا من ولائهم لهم، ألحقوهم بالجيش وقرّبوا بعضهم إليهم، وأسندوا لهم مناصب هامّة، مثل جوهر الصّقلي الذي نال ثقة المعزّ لدين الله الفاطمي وكان له الفضل في فتح مصر، وقد أثبتت هذه الفئة جدارتها في ميدان الحرب، وخير دليل على ذلك دفاعهم المستميت على المهدية، إثر محاصرة أبي يزيد الخارجي لها[3].

بلغ اهتمام الأئمّة بتقويّة وتنميّة الجيش بصنفيه البرّي و البحري درجة المبالغة ، حيث قام الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي بوضع النّواة الأولى لهذا الجيش، ولمّا استقرّت الأمور للإمام المهدي، زاد اهتمامه بالجانب الأمني أكثر فأكثر، فتعدّدت مهامه وصلاحياته، فصار له ديوانا يسمّى ديوان الجيش ، مهمّته الإحاطة الدّقيقة بالمعلومات الشّخصية للجند مع العناية بمرتباتهم وأسلحتهم[4].

---

[1]–جمال الدين، المرجع السابق، ص 234.

[2] –"يبدو أن الهدف من عملية شراء هذه الأعداد الهائلة من العبيد، كان الهدف منها تقوية الجيش بعناصر أجنبية مطيعة وموالية، خاصة بعد أن أبدى الكتاميون امتعاضهم من مقتل أبي عبد الله الشيعي، فأصبحت رائحة العصيان تلوح في الأفق".

[3]–جمال الدين، نفسه، ص ص 83، 84.

[4]–نفسه، ص238.

ونتيجة للإصلاحات العسكرية الّتي أدخلها الأئمّة على الجيش، أصبح هذا الأخير يحقّق انتصارات ميدانية باهرة، وقد أثبت كفاءته وقدرته على مواجهة الأخطار، فانتقل من مرحلة إخماد والثّورات الدّاخلية وحماية الثغور، إلى مرحلة التّوسعات الخارجية، ويظهر ذلك جليّا في توجيه الإمام المهدي لحملتين عسكريتين إلى مصر، الأولى كانت بقيادة ابنه القائم بأمر الله سنة 301هـ/913م، بلغ من خلالها الإسكندرية والفيوم وجبى خراجهما وخراج بعض أعمال الصعيد، أمّا الحملة الثّانية فكانت سنة 306هـ/918م، وقدّر عدد الجيش في هذه الحملة بخمسمائة ألف جندي على حدّ قول ابن حمّاد[1].

انبثقت عن هذا الجيش فروع أخرى، منها الشّرطة، وتمثّل دورها أساسا في حفظ الأمن داخل المدن، ومعاقبة المخالفين وتعزيزهم وإقامة الحدود على المجرمين، وفي هذا الشّأن يقول ابن خلدون: "فيجعل للتّهمة في الحكم مجالا، ويفرض العقوبات الزّاجرة قبل ثبوت الجرائم، يقيم الحدود الثّابتة في مجالها ويحكم في القود والقصاص، ويقيم التّعزير والتّأديب في حقّ من لم ينته من الجريمة"[2].

كان الجيش الفاطمي يتكوّن من شقيّن، شق برّي وأخر بحري، فأمّا البرّي منه، يتمثّل في الجند المشاة والخيّالة وأصحاب الإبل.. أمّا الشّق البحري، فيتمثّل أساساً في الأسطول البحري الذي كان محلّ عناية قصوى من طرف الفاطميين، نظرا لما يمثّله من قوّة عسكرية يعتمد عليها الجيش في تطبيق السّياسة التّوسعية الخارجية للدّولة.

ورث الفاطميون من الأغالبة أسطولاً حربياً كان له الدّور الأساسي في فتح صقلية[3] و غيرها من الجزر، لكن هؤلاء الفاطميون كانوا بحاجة إلى أسطول أقوى من ذلك الذي

---

[1] –ابن حمّاد، المرجع السابق، ص ص 44، 45.

[2] –ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص216.

[3] –فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ج 2، د ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م، ص 192.

كان بحوزة الأغالبة، من أجل بسط سلطانهم وسيادتهم البحرية على طول سواحل الغرب الإسلامي الممتدة من سواحل سرت إلى مشارف الأندلس وجنوب إيطاليا، من جهة وللوقوف في وجه الأسطولين الأموي والبيزنطي من جهة أخرى، لذا عمل الفاطميون على إصلاح هذا الأسطول، ويتّضح ذلك جليّا في توسيع القواعد والمراسي البحرية، لأنّ تلك الّتي كان يستعملها الأغالبة سابقا لم تعد كافية لأسطولهم الضّخم الذي زادت مراكبه ، بفضل الدّور الهام الّذي كانت تقوم به دار الصناعة بمدينة تونس، من خلال قيامها بتصنيع السّفن على اختلاف أنواعها وأشكالها، و كانت تستعمل في الإغارة على سواحل الرّوم على حدّ تعبير البكري[1].

لقد مثّلت دار الصناعة بمدينة سوسة القاعدة الأساسية للغارات البحرية[2]، لذلك نجد أنّ الضرورة الحربية والظّروف السّياسية المحيطة بدولة الفاطميين بالمغرب، أملت على الإمام عبيد الله المهدي إقامة قاعدة بحرية وبها دار لصناعة الأسطول تتماشى والأهداف العسكرية لدولته المبنيّة على سياسة الغزو والتّوسع الخارجي باسم الجهاد، فوقع اختياره سنة 303هـ/915م على منطقة بشكل جزيرة متّصلة بالبّر كصورة كفّ اتّصل بزند[3]، بنى عليها مدينة المهدية، وقد ذكر ابن عذاري ذلك في قوله: "يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ مدينة تحصّنه وتحصّن بنيه من بعده"[4].

أصبحت المهدية قاعدة بحرية مؤهلة للقيّام بعمليات حربية واسعة النّطاق، ومعقلاّ يحمي الدّولة من كلّ خطر، إضافة إلى دورها السّياسي والإداري، كونها عاصمة للدّولة ومقر حكمها[5]، وقد أحاطها بسور منيع وبنى عليه الأبراج للمراقبة من جهة البّر والبحر[1].

---

[1] –البكري، المصدر السابق ، ص39.

[2] –الحميري، المصدر السابق، ص 131.

[3]– الحموي، المصدر السابق ،ج 5، ، ص 230.

[4]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 161

[5] –القاضي النّعمان، افتتاح الدعوة، ص328.

ورد في قول صاحب كتاب المجالس والمسايرات أنّه كان بالمهدية دارين للصناعة: "وكان قبل ذلك قد ذكر له تضايق داريّ الصّناعة بالمهدية بالمراكب وكثرتها وما زاد منها، وأنّ الدّارين قد غصّتا بها"[2].

كلّ ذلك كان في عهد الإمام المعزّ، الّذي كان قد أمر قبل ذلك بإصلاح بعض المراكب بدار الصّناعة بسوسة، كما أمر أيضا بإصلاح الصّهريج الّذي يجري فيه الماء المؤدّي إليها، وزاد أن أمر ببناء مسجد بالقرب منها[3].

إلى جانب ذلك، أنشأت العديد من المخازن الّتي أعدّت خصيصا لخزن المعدّات البحرية من أجل سدّ حاجيات الأسطول من أسلحة وذخيرة،[4]إضافة إلى هذا، فقد تمّ إنشاء دار أخرى لصناعة المراكب الحربية في مرسى الخرز إلى الشّرق من مدينة بونة لغزو بلاد الرّوم[5].

ولمّا كانت صقلية الإسلامية بعيدة عن مقرّ الحكم ، منفصلة عن أرض المغرب ومتّصلة بأرض الرّوم، كان لزاماً على الفاطميين حماية وتأمين هذه الجزيرة، حيث قام الوالي خليل بن إسحاق بإنشاء دار لصناعة السّفن بها لذات الغرض سنة 320هـ/937م بأمر من الخليفة الفاطمي الأوّل، كما اختطّ ذات الوالي مدينة "الخالصة" بالقرب من بلرم وحصّنها أسوة بمدينة المهدية، فصارت هذه المدينة مقرا للوالي والدّواوين المدنية منها والعسكرية، بها دار لصناعة السّفن والمراكب الحربية، تدعم الأسطول الفاطمي في حملاته البحرية بحوض المتوسط[6]، وهو ما أكسب الفاطميين قاعدة بحرية قوّية يمكن

---

[1] –الدّاعي إدريس، المصدر السابق، ص 305.

[2]–الجوذري، المصدر السابق، ص 137؛ القاضي النّعمان، المجالس و المسايرات، ص530.

[3]– القاضي النّعمان، نفسه، ص530.

[4]–الحوذري، نفسه، ص102.

[5]– البكري، المصدر السابق، ص55.

[6]–عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق الطيبي، د ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا–، ص 34.

الاعتماد عليها في فتح باقي الجزر والمدن و افتكاكها من أيدي البيزنطيين وإعلان السّيادة عليها ، وما ترتّب عنه من عملية لنشر الإسلام هناك[1].

وبعد ظهور البحرية الفاطمية كقوّة في البحر المتوسط، أصبحت تسيطر على أهمّ المضايق والمداخل البحرية، حالت دون ولوج المراكب البيزنطية إليها، مما أدّى إلى زوال الخطر عنها، وساهم بشكل إيجابي في توسيع تجارة بلاد المغرب مع مصر[2].

هذه السّيادة الفاطمية على غرب المتوسط، نتج عنها انتعاش اقتصادي، أدّى إلى ازدهار الكثير من المدن زراعيا وتجاريا، فزادت ثرواتها بشكل واضح كالقيروان ورقادة وتونس[3]، مع استقرار سياسي واجتماعي في صقلية وما جاورها، دام لفترة طويلة من الزمن[4].

كان الأسطول الفاطمي عبارة عن مجموعة كبيرة من المراكب بمختلف الأنواع والأشكال، يشرف على قيادته قائد رؤساء المراكب يعرف باسم أمير البحر، الذي تعدّدت مهامه، فإضافة إلى مهمّته كمشرف على جميع رؤساء وحدات الأسطول[5]، نجده يتولّى إعداد وترتيب المقاتلين والإشراف على شؤونهم، كما شملت مهامه أيضا تفقّد المراكب وتزويدها بالمؤن والعتاد[6].

---

[1]– القاضي النّعمان، المجالس والمسايرات، ص ص 367– 370؛

Gay, Jules: L'Italie méridionale et l'empire byzantine, New York, 1960, 2, p.p: 291.

[2]–أرشيبالد، المرجع السابق، ص 249؛ عثمان، المرجع السابق، ج 2، ص 361؛ عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 61.

[3] –المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 2، ص 101؛ أرشيبالد، نفسه، ص 254.

[4] –ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 269– 275.

[5]–الجوذري، المصدر السابق، ص 87؛ أرشيبالد، نفسه، ص 242.

[6] –إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، د ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957م، ص ص 157، 158؛ جمال الدين، المرجع السابق، ص 250.

وضمن طاقّم الأسطول، يوجد شخص الرّبان، وهو رئيس الملاّحين الّذي يشرف على حركة الأسلحة كالمنجنيقات[1].

ومن أنواع المراكب الحربية المكوّنة للأسطول نجد الشّواني، وهي من أكبر السّفن الحربية المعدّة أساساً لنقل المقاتلين ، وهي ذات مهمّة دفاعية وهجومية[2] ، كما نجد مراكب أخرى تلي الشّواني من حيث الأهمية ألا وهي الحراريق، وتمثّلت مهمّتها في مهاجمة مراكب العدّو وإحراقها بالمواد الملتهبة[3]، ثمّ تأتي بعدها الحرابي وهي نوع من أنواع الشواني، تتميّز بصغر حجمها وسرعتها الفائقة[4].

المبحث الثّالث :مظاهر الإصلاح عند المعارضة:.

من الطبيعي أنّ من يفرض نفسه وأفكاره على مجتمع ما، يتلقى ردّة فعل أهله، والمثل نفسه ينطبق على عبيد الله الشّيعي، عندما حاول أن يفرض مشروعه المذهبي على مجتمع بلاد المغرب، و يتّضح ذلك من خلال سعيه إلى نشر مذهبه الإسماعيلي عن طريق الدّعوة تارة، وبفرضه بقوة السّيف تارة أخرى، فالبرّغم من أنّ دعوته لقيّت استجابة لا بأس بها وسط مجتمع بربري يقدس كلّ ما هو مرتبط بآل بيت الرّسول– صلى الله عليه وسلم– إلاّ أنّ هذا المجتمع لم يكن على قلب رجل واحد، فأصحاب المذاهب الأخرى الّتي سبقت المذهب الإسماعيلي إلى أرض المغرب، شكّلت معارضة، ورأت في المذهب الإسماعيلي أداة دخيلة على المجتمع المغربي، الذي ترسّخت فيه جذور مذهب أهل السّنة إلى أبعد الحدود، وبصورة أقل نجدهم قد تشبّعوا بمبادئ المذهب الإباضي، الّذي اعتنقته شريحة لا بأس بها من النّاس.

---

[1]– العدوي، المرجع السابق ، ص: 162؛ جمال الدّين،المرجع السابق ، ص 263.

[2] –بوبا مجاني وآخرون، المرجع السابق، ص 170.

[3]– محمد دياب، المرجع السابق، ص 171.

[4]–نفسه، ص 171.

فقد تكاتفت جهود الأمّة لمواجهة تجاوزات السّياسة الفاطمية، وظهر ذلك في شكل ثورات سلمية قام بها العلماء، وأخرى في شكل مواجهات مسلحة تزعّمها أشخاص بعد أن اضطهدتهم تجاوزات الفاطميين.

1- موقف علماء أهل السنّة المالكية من تجاوزات الفاطميين:

رأى العلماء والصالحون أنّ الواجب يحتّم عليهم التّصدّي لتجاوزات الشّيعة الإسماعيلية ، وإصلاح شؤون المجتمع المغربي الذي صار عرضة للإبتزاز من طرف الفاطميين، الّذين أفسدوا في الأرض أكثر مما عمّروها.

لم يقف علماء أهل السّنة مكتوفي الأيدي أمام المدّ الشّيعي ، حيث رأوا فيه مهلكة وجب التّخلّص منها، نظرا لما يشكّله من خطر على الدّين الإسلامي والسنّة النّبوية الشّريفة، فأخذوا على عاتقهم مقاومة هذا الزّحف بكلّ ما يملكونه من حجّة ودعوة، وأخيرا حمل السّلاح ضدّ هؤلاء المبتدعين الظّالمين، وقد اعتمدوا في ذلك على صمود العلماء والفقهاء في وجه الفاطميين وعمّالهم، ممّا ساهم في ترسيخ عقيدة أهل السّنة أكثر في أذهان العامّة من النّاس والتّمسك بها[1].

زيادة على هذا، فقد أظهر العلماء مقاطعة لجميع مؤسسات الدّولة العبيدية، من مساجد ودور القضاء وحتّى الزّواج منهم[2]، وكان في ريادة هؤلاء العلماء، العلامة الفقيه أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن، الّذي أعلن مقاطعته للعبيديين، فقد خرج مرّة

[1] -فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، د ط، دار المسك للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م، ص276.

[2] -الصّلابي، المرجع السابق، ص 79؛ الحسين بن محمد شواظ، مدرسة الحديث بالقيروان، ج 1، ط 1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ، ص78.

من المسجد وهو يقول: "قطعوها قطعهم الله". فمنذ تلك الجمعة ترك النّاس حضور جمعتهم[1].

كما أفتى علماء أهل السّنة بكفر بني عبيد ومن دخل في دعوتهم عن رضى وقناعة، فانتشرت هذه الفتاوى وسط الناس، وخلقت حاجزا منيعا بين النّاس وبين الدّخول في دعوة الروافض، وقد لعب الشّيخ العالم أبو إسحاق السّبائي دورا في تحصين الأمّة بمنهج أهل السّنة والجماعة في بلاد المغرب، كما نجد أنّ الشيخ أبو إسحاق قد وقف إلى جانب الخوارج في ثورتهم ضدّ الفاطميين، وقد خرج معه أيضا مجموعة من الفقهاء والعلماء أمثال أبو العرب بن تميم، وأبو عبد المالك مروان بن نصروان، وأبو سليمان ربيع القطان.

هذا الأخير يعدّ أوّل من أفتى بواجب الجهاد ضدّ الفاطميين، وقد خطب في النّاس ذات يوم قائلا:"اللّهم إنّ هذا القرمطي الكافر المعروف بابن عبيد الله المدّعي الربوبية من دون الله، جاحدا لنعمك، كافرا بربوبيّتك، طاعنا في أنبيائك ورسلك، مكذّبا بمحمد نبيّك وخيرتك من خلقك سابا لأصحاب بيتك وأزواج نبيّك وأمّهات المؤمنين، سافك لدماء أمّته منتهكا لمحارم أهل ملّته، افتراء عليك، واغترارا بحلمك، اللّهم فالعنه لعنا وبيلا، واخزه خزيا طويلا، واغضب عليه بكرة وأصيلا، واصله جهنم وساءت مصيرا، بعد أن تجعله في دنياه عبرة للسائلين، وأحاديث في الغابرين وأهلك اللّهم شيعته، وشتّت كلمته وفرّق جماعته واكسر شكوته، واشف صدور قوم مؤمنين"[2].

[1] –المالكي، رياض النّفوس، ج 2، ص 343؛ هيصام موسى، التّمكين للمذهب المالكي في المغربين الأدنى و الأوسط ق4هـ–ق6هـ ج2، د ط، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م، ص 270؛القاضي عياض، تراجم أغلبية، تح: محمد الطّالبي، المطبعة الرسمية، تونس، 1968م، ص 285.

[2] –القاضي النّعمان، افتتاح الدعوة، ص33؛ المالكي، نفسه ، ج 2، ص 343.

وقام العلماء بفتح بيوتهم للنّاس من أجل فضح معتقدات الشّيعة والتّحذير منهم، وقد اضطر العلماء إلى هذه الطّريقة بعد أن منعهم الفاطميون من التّدريس في المساجد[1].

فشرعوا في تعليم أبناء الموالين للعبيديين من بربر صنهاجة،خاصة الكتاميين منهم من أجل غرس منهج أهل السّنة في وسط صغارهم، كما لجأ هؤلاء العلماء أيضا إلى وسيلة المناظرات العلمية والجدل من أجل إفحام خصومهم الشّيعة أمام النّاس، مثل ما حدث مع الفقيه والعالم الربّاني أبو بكر القمّودي الّذي ناظر أبا العبّاس الشّيعي مناظرة أفحمه فيها[2].

ومنهم من ناظر الإمام عبيد الله المهدي إمام الشّيعة، فنذكر في هذا المقام العالم الفقيه أبي عثمان سعيد بن محمد الحدّاد، الّذي دعاه المهدي وناظره في مسألة حديث "غدير خم": "من كنت مولاه، فعليّ مولاه"، فقال المهدي لأبي عثمان:"فما للنّاس لا يكونون عبيدنا"؟ فقال له أبوعثمان:"أعزّ الله السّيد، لم يرد ولاية الرّق، إنّما أراد ولاية في الدّين، ثمّ ذكر الأية الكريمة، قال الله تعالى: ﴿**ما كان أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ مَاكنتُم تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ 79 وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مسْلِمُونَ 80**﴾[3].

[1] –ابن عذاري، المصدر السابق،ج 1، ص 188؛ الصّلابي، المرجع السابق، ص 82 ؛ شواظ، المرجع السابق،ج 1، ص 75.

[2]– شواظ، نفسه ،ج 1، ص80.

[3] –سورة آل عمران، الآيتين: 79– 80.

وأضاف أبو عثمان قائلا: "فما لم يجعله الله عزّ وجل لنبّي لم يجعله لغير نبّي، وعليّ لم يكن نبيّا، وإنّما كان وزير النّبي – صلى الله عليه وسلم– فقال له عبيد الله: "انصرف لا ينالك أحد"[1].

هذه الأساليب وغيرها، كانت من أجل إقامة الحجّة على أتباع المذهب الإسماعيلي وفضح بدعهم وأباطيلهم أمام النّاس والدّفاع عن الدّين الإسلامي صافيا، نقيّا.

لم يبخل شعراء أهل السّنة عن واجبهم في مهاجمة بني عبيد بالشّعر، الّذي كان وقعه عليهم أشدّ وطأة من وقع الحسام المهنّد، و كان للشّاعر أبو القاسم الفزّازي دور بارز في هذه المعركة، وله في هذا الشّأن قصيدة جاء في بعض أبياتها:

عجبت لفتنة أعمت وعمت يقوم بها دعي أو كفور

فتنجى القيروان وساكنيها إله دافع عنه قدير

واثبتت جلة العلماء فيها بحار لا تعد ولا بحور

ومنها مسادة العلماء قدما إذا غدوا وليس لهم نظير[2].

2– ثورة أبي يزيد مخلّد بن كيداد:

انتظر أهل المغرب طويلا من الفاطميين إصلاح أمور البلاد، لكن هؤلاء الشّيعة الإسماعيلية، لم يكن يهمّهم من أمر النّاس شيئا، ممّا ساهم في تردّي أحوال العامّة وتفاقم الأوضاع، بعد أن تجاوز الفاطميون كلّ الحدود.

هنا تركت المعارضة المقاومة السّلمية وراء ظهرها، ودخلت مرحلة المقاومة المسلّحة ضدّ الفاطميين ومن حالفهم، خاصّة وأنّ أبا يزيد مخلّد بن كيداد قد أخذ بزمام المبادرة.

[1] –الصّلابي ، المرجع السابق ، ص ص 83، 84.

[2]– المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 491.

تعدّ ثورة صاحب الحمار، حلقة من سلسلة الثّورات التي قامت ضدّ الفاطميين ببلاد المغرب، هذه الثّورة الّتي أخذت طابعا إصلاحيا، تدخل في باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[1].

وقد حظيّ ابن كيداد بتأييد أهل السّنة ، حيث انضمّ إليه ثلّة من فقهاء وعلماء المالكية، وعلى رأسهم أبو الفضل العبّاس بن عيسى(ت 333هـ)، الّذي قال عنه المالكي: "رأى الخروج مع أبي يزيد الخارجي[2] وقطع دولة بني عبيد فرض، لأنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام، وبنو عبيد ليسوا كذلك، لأنّهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام"[3].

وقد استدلّ أهل السّنة في انضمامهم لابن كيداد بما ورد في سورة النّساء، في قوله تعالى: ﴿**لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضّرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاّ وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما**﴾[4].

كان من دوافع انضمام أهل السّنة المالكية إلى ثورة أبي يزيد أيضا، تلك الجرائم الّتي ارتكبها الفاطميون في حقّهم، إضافة إلى المضايقات الّتي تعرّضوا لها، من خلال السّياسة المذهبية المنتهجة من طرف الفاطميين، حيث عملوا على قتل العلماء والفقهاء والتّنكيل بهم قصد القضاء على المذهب المالكي واستبداله بالمذهب الإسماعيلي، وكان من أوائل

---

[1] –ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 52.

[2] – **مخلّد بن كيداد اليفرني** بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد ابن عثمان بن يقرن، ويفرن هذا أخو مغراوالذي تنسب إليه قبيلة مغراوة وأمه أم ولد واسمها سيكة، وهي من بلاد السودان، وأبوه من أهل قسطلية من مدائن توزر التي ولد ونشأ بها ابنه مخلد، وتعلم القرآن وخالط النكاوية والخوارج، فمال إلى مذهبهم وأخذ به، ثم سافر إلى تاهرت وأقام بها يعلم الصبيان. ينظر: ابن خلدون، نفسه ، ج 4، ص 52 63.

[3]– المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 297.

[4]– سورة السناء، الآية: 95.

ضحايا هذا الإجرام، العالمين الفاضلين ابن البرذون وابن هذيل، وكان ذلك سنة 299هـ/912م[1]، كما لقيّ عروس المؤذّن سنة 307هـ/919 م نفس المصير، بعد أن قطع لسانه بسبب تركه في الآذان عبارة " **حيّ على خير العمل**"[2].

إضافة إلى عبد الله محمد بن عبد الله السّدري، المشهور بمعاداته لعقيدة الشّيعة ومجاهرته بواجب التّصدي لهم وجهادهم، فقتل سنة 309هـ/921م.

وقد تمادى الإسماعيلية في انحرافهم العقدي، كإبطال صلاة التّراويح، وسبّ الخليفتين أبو بكر وعمر– رضي الله عنها– على المنابر، وإبطال بعض السّنن أو الزّيادة فيها، كما فعلوا في الآذان" **حيّ على خير العمل**" وإجبار الأئمّة على الدّعاء لعبيد الله المهدي في خطبة الجمعة[3].

وقد بلغت الجرأة ببعض الشّيعة أن دخلوا بخيولهم إلى المسجد، وقتلوا جميع من عارض هذه الظاهرة[4]، وسبّوا الصّحابة واتّهموهم بالردّة، وقد نصّبوا شخص يدعى حسين السّباب يجول الأسواق لذلك الغرض، فوصل به الأمر من الجرأة إلى سبّ الرّسول – صلى الله عليه وسلم– كقوله:" **إلعنوا الغار وما وعى، الكساء وما حوى**"[5].

---

[1] –المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 48؛ بالدبّاغ، المصدر السابق، ج2،،ص 265.

[2]–المالكي، نفسه ، ج2، ص 152.

[3]–القاضي النّعمان، افتتاح الدّعوة، ص ص 239، 294؛ شواظ، المرجع السابق، ص 63.

[4] –ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 284؛ ابن زاوي، المرجع السابق، ص: 21؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج3، تح: أحمد بكير محمود، د ط، مكتبة الحياة، بيروت، 1968، ص 318؛ الصلابي،المرجع السابق ، ص 73.

[5]– القاضي عياض، نفسه ؛ إبن عذاري، نفسه، ج1، ص 159؛ ابن حمّاد، المصدر السابق، ص 25؛ ابن ازاوي، نفسه ، ص 21.

زيادة على هذا، قاموا بمصادرة وإتلاف مصنّفات أهل السّنة ومنع النّاس من تداولها خاصّة في عهد المعزّ لدين الله، كيدا في الإسلام وبغضًا فيه، وخير دليل على ذلك ما فعلوه بكتب محمد ابن هاشم التّجّيني[1].

كما تمّ تعطيل الشرائع وإسقاط بعض الفرائض وتحليل الحرام وتحريم الحلال خصوصا في عهد عبد الله المهدي[2]، و هو ما زاد من سخط وتمرّد أهل المغرب على هذه السّياسة المذهبية المنتهجة من طرف هذا الأخير ،التي لا صلة لها بالإسلام كادّعائه أنّه رسول ونبّي، وفي بعض الأحيان ألحق بنفسه صفات الخالق عزّ وجل.[3]

ولم يكن الفقهاء وعلماء الخوارج بمنأى عن بطش الفاطميين، ولم يسلم منهم إلاّ من فرّ بجلده إلى المناطق البعيدة كورجلان وغيرها من المناطق[4].

على العكس من ذلك، بقيّ أهل السّنة بالقيروان لمواجهة طغيان الفاطميين[5]، ومن أجل طمس الإرث الفكري للإباضية، قام العبيديون بحرق مكتبة المعصومة العظيمة، بعد أن أخذوا منها ما ينفعهم من الكتب[6].

كما عمد الفاطميون إلى فرض الضّرائب الفاحشة على أهل المغرب، الّتي أثقلت كاهلهم وتسبّبت في تدهور وضعهم المعيشي، فاستغلّ أبو يزيد مخلّد بن كيداد اليفريني هذه الظّروف ليعلن ثورته عليهم بعد أن أعدّ العدّة لذلك، من سلاح وأتباع وحلفاء[7].

---

[1]– المالكي، المصدر السابق ، ج2، ص 423؛ الصّلابي، المرجع السابق ، ص 75.

[2] –المالكي، نفسه ، ج2، ص 505؛ الصّلابي، نفسه ، ص ص 75، 76؛ شواط، المرجع السابق ، ص 74.

[3]– المالكي، نفسه، ج2، ص 49؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص 160؛ الصّلابي، نفسه، ص 62، بلهواري، المرجع السابق، ص 28.

[4]–الدّرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 94؛ سليمان الباروني، الأزهار الرّياضية ، ص 348.

[5]– بلهواري، نفسه ، ص42.

[6] –الدّرجيني، نفسه، ج1، ص ص94، 95.

[7] –الصّلابي، نفسه ، ص 63.

وقد اعتمد اليفريني في ثورته على أسلوب الكرّ والفرّ، ممّا أربك الفاطميين كثيرا وأدّى إلى تشتيت قوّتهم، كما اعتمد أيضا على طريقة حصار المدن[1]، الّتي أتت أكلها في البداية، وكادت أن تقضي على الفاطميين في عقر دارهم[2].

استغل مخلّد ابن كيداد انتصاراته الميدانية، فراح يربط علاقاته مع أمير قرطبة بالأندلس وأظهر له الطّاعة والولاء، فأرسل له الوفود من أجل إطلاعه على ما يقوم به من نشاط حربي ضدّ الشّيعة الإسماعيلية، والهدف من وراء ذلك، هو كسب عون ومساندة الأمويّين لثورته.[3]

كادت هذه الثّورة أن تحقّق أهدافها ، وتخلّص بلاد المغرب من هؤلاء الروافض، لولا وقوف زيري بن مناد الصّنهاجي إلى جانب الفاطميين، وهو ما عجّل بهزيمة صاحب الحمار والقضاء عليه وعلى ثورته.[4]

هذه الثّورة وإن لم تحقّق أهدافها، إلاّ أنّ وقعها كان شديد الأثر على السّياسة الفاطمية على جميع الأصعدة، حيث فتحت الباب أمام ثورات وتمرّدات أخرى، عرفتها الدّولة الفاطمية ببلاد المغرب، كما عطّلت هذه الثّورة توسّعات الفاطميين الخارجية، بل وجعلتهم يفكرون بجدّية في مغادرة بلاد المغرب وهو ما تأكّد برحيلهم إلى مصر.

كما كانت تكلفة ثورة صاحب الحمار ثقيلة وكبيرة على اقتصاد الدّولة، سواء من ناحية المال، السّلاح أو حتّى الجنود الّذين قتلوا في المعارك، إضافة إلى الهبات والهدايا التي كان يوزّعها الفاطميون على القبائل قصد استمالتهم والتي أثقلت كاهلهم، كما تسبّبت

---

[1]–ينظر الملحق رقم: 08.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 218.

[3] –ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص52؛ بلهواري، المرجع السابق، ص 259؛
provençal levi, histoire de l’Espagne muslmane V2, paris, 1950, pp: 103-104.

[4] –ابن خلدون، المصدر السابق ،ج4، ص 54.

هذه الثّورة في توقف النّشاط التّجاري والصّناعي وحتّى الزّراعي، نتيجة هجرة أصحاب هذه الوظائف والمهن من البلاد، والملاحظ أيضا أنّ هذه الثّورة جعلت من الفاطميين يخفون حتّى موت أئمتهم وهو ما حصل مع القائم.[1]

وفي الأخير، فأهمّ ما توصلنا إليه من خلال تناولنا لموضوع الدّولة الفاطمية، هو أنّ الفاطميين قد اتّخذوا من آل البيت شعارا لهم، بغية تحقيق أهدافهم المذهبية ومشاريعهم السّياسية المتمثلة في حكم العالم الإسلامي بأكمله، وقد كان لنظام الدّعوة دور رئيسي في قيّام دولتهم بأرض المغرب، حيث فتحت لهم الطّريق نحو السّيطرة على جزء كبير من العالم الإسلامي بعد رحيلهم إلى مصر.

ما كان لهم أن يحكموا هذه الرّقعة الواسعة من العالم الإسلامي، لو لم يكن لهم نظام سياسي محكم، تميّز بالمركزية في إدارة شؤون الدّولة، من خلال تمركز جميع السّلطات في يد الإمام الذي أحيط بهالة من القداسة، وقد عرف بعدّة ألقاب كالخليفة وأمير المؤمنين وغيرها من الألقاب...

لقد عرفت السّياسة الفاطمية عدّة إصلاحات، مسّت ميادين مختلفة منها: السّياسية والاقتصادية والعسكرية إضافة إلى الإدارية والمالية، فأمّا السّياسية فتمثّلت أساسا في نظام الحكم المبني على شخص الإمام، و كان يمثّل السّلطتين الدّينية والدنيوية، كما يعدّ القائد الأعلى للجيش، هذا الجيش عرف بدوره عدّة تطوّرات خاصّة في الشقّ البحري منه، بعد تقويّة الأسطول بشتّى أنواع المراكب الحربية، كما قام المهدي بتدوين الدّواوين، فهو من يعيّن الولاّة والعمّال على المدن والنّواحي، كما تولّى رأس القضاء الذي من خلاله تبرز سياسة الدّولة على وجهها الحقيقي، أمّا أبرز ما يمكن قوله في المجال المالي، هو أنّ

[1] –القاضي النّعمان، المجالس والمسايرات، ص 551؛ الجوذري، المصدر السابق، ص 47؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص 75–87.

الأئمّة الفاطميون الأوائل كالمهدي، القائم والمنصور حاولوا محاكاة العبّاسيين في ضربهم للسّكة، ولم يظهر شكلها المتميّز إلاّ في عهد المعزّ لدين الله الفاطمي مع الاحتفاظ بوزنها الشّرعي، كما عملوا على جمع الأموال بشتّى الطّرق، وذلك من خلال فرض الضّرائب المختلفة ،كان الهدف منها تمويل الحملات العسكرية لفتح مصر، فتحقّق ذلك على يد جوهر الصقلي في عهد المعزّ لدين الله.

إنّ هذه الإنجازات الّتي تحققّت بفضل إصلاحات الأئمة، لم يكن لها لتخفيّ تجاوزات الفاطميين وجرائمهم في حقّ أهل المغرب، من قتل وتعذيب وفرض للضّرائب الفاحشة.. ممّا ولّد موجة من الغضب الاجتماعي ضدّ هذه السّياسة، وصلت إلى حدّ تكفيرهم من قبل بعض فقهاء وعلماء أهل السّنة المالكيين، والوقوف في وجوههم والتّصدّي لهم بالطّرق السّلمية، غير أن تطوّر الأمور و تفاقمها نتيجة تعنّت الفاطميين، أدّى ذلك إلى المواجهة المسلّحة، الّتي بادر إليها الخوارج بقيادة أبي يزيد الخارجي ، وسانده في ذلك أهل السنّة المالكيين، أملا في تخليص بلاد المغرب من هؤلاء الروافض، وكادت هذه الثورة أن تقضي على الوجود الفاطمي وتقتلعه من جذوره، لولا الدّعم الّذي تلقّاه الفاطميون من طرف بني زيري الصّنهاجيين، الّذين كان لهم الدّور الحاسم في القضاء على ثورة أبي يزيد.

هذه الثّورة وإن لم تحقّق أهدافها المنشودة، إلاّ أنّها كبّدت الفاطميين خسائر فادحة في الأموال والأرواح، بقيت أثارها إلى زمن المعزّ لدين الله، الّذي رحل إلى مصر تاركا حكم البلاد في يد أبنائها الزّيريين، وهو موضوع دراستنا في الفصل اللاّحق.

الفصل الرّابع:

مجالات الإصلاح عند الصّنهاجيين.

المبحث الأوّل: ميادين الإصلاح السّياسي والإداري والإقتصادي عند الزّيريين.

1- الإصلاح السّياسي و والإداري.

2- الإصلاح الاقتصادي.

المبحث الثّاني:إصلاح الشّأن الإجتماعي والثّقافي والعمراني عند الزّيريين.

1- الإهتمام بالشّأن والاجتماعي والثّقافي.

2- . التّطوّر العمراني .

شكّلت بلاد المغرب الإسلامي، إحدى المحطات الهامّة في الحياة السّياسية للفاطميين الذين كان هدفهم الأوّل السّيطرة على الأمّة الإسلامية برمّتها، وما بلاد المغرب إلاّ محطّة مؤقتة، في انتظار شدّ الرّحال نحو المشرق، بعد أنّ هيّأ لهم القائد جوهر الصقلي كلّ الظّروف المساعدة على تحقيق هدفهم المنشود.

وقبل الرّحيل، شرع المعزّ لدين الله الفاطمي في البحث عمّن يولّيه شؤون المغرب نيابة عنه، فلم يجد إلاّ الزيريين حلفاء الأمس، إذ لم يشأ المعزّ أن يترك البلاد من دون قيادة، لذلك قررّ وضع مقاليد الحكم بين أيدي الزيريين حتّى يضمن منهم التّبعية و الولاء.

قال المقريزي:" واستدعى المعزّ يوسف بن زيري الصّنهاجي، وقال له : "تأهّب لخلافة المغرب"، فأكبر ذلك وقال: " قتلتني يا مولاي بلا سيف ولا رمح ..ولم يزل به حتّى أجاب"[1].

أمّا ابن خلدون فقال: " لمّا أخذ المعزّ في الرّحلة إلى المشرق، وصرف اهتمامه إلى ما يتخلّف وراء ظهره من الممالك والعمالات، ونظر فيمن يولّيه أمر إفريقية والمغرب ممّن له الغناء والاضطلاع، وبه الوثوق من صدق التّشييّع ورسوخ القدم في دراية الدّول، فعثر اختياره على بلكين بن زيري بن مناد ولّي منذ عهد أخذه بيده من أيدي زناتة وأموالها في سبيل الآباء على الدّولة والمظاهرة للدّولة".[2]

ومن أجل ذلك، كتب المعزّ إلى بلكين بن زيري يستدعيه إلى القيروان، وأمره بالتّوقّف عن العمل العسكري في البلاد خاصّة فيما يتعلق بالزناتيين، كما أوصاه بملاطفتهم ومعاملتهم باللّين والعفو عنهم.

وأبدى له النّصيحة في إدارة شؤون البلاد، ثمّ أوصاه فيما أوصاه:" إذا نسيت ما أوصيناك به، فلا تنس ثلاث أشياء، إيّاك أن ترفع الجباية على أهل البادية، ولا ترفع السّيف عن البربر، ولا تولّ أحد من إخوتك وبني عمّك، فاءنّهم يرون أنّهم أحقّ بهذا

[1]– المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 99؛ النّويري، المصدر السابق، ج 24، ص 85.

[2]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص205، 206؛ النويري، نفسه ، ج 24، ص 85.

الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرا"[1]، حدث كلّ هذا، بعد أن رفض جعفر بن علي بن حمدون فكرة المعزّ أمر توليته حكم المغرب[2].

المبحث الأوّل: ميادين الإصلاح السّياسي و والإداري والإقتصادي عند الزّيريين.

1- الإصلاح السّياسي و والإداري :

إنّ أوّل ما ظهر من إصلاح في عهد بني زيري، كان بدءاً بإصلاح شأنهم الدّاخلي بزعامة زيري بن مناد إبّان حكم الفاطميين لبلاد المغرب، وتجلّى ذلك في تأسيسهم لمدينة آشير سنة 324هـ/935م، بعد أن ازداد أتباعه وقويّ صفّه، فاستقدم البنّائين من بلاد حمزة وطبنة والمسيلة، واستغلّ علاقاته الحسنة مع الفاطميين وطلب مساعدتهم، فزوّدوه بالمهندسين والحرفيين والبنّائيين وكلّ ما يحتاجه من لوازم ومعدّات البناء، فارتقت آشير إلى مصاف المدن المزدهرة والعامرة بالتّجار والعلماء، الذين وفدوا إليها من كلّ مكان.[3]

ظهرت بوادر الإصلاح السّياسي والإداري عند الزيريين منذ البداية، فلمّا عاد بلكين بن زيري من توديع المعزّ لدين الله، سارع لمباشرة مهامه المنوطة به، فراح يعقد الولايات للعمّال على البلاد وخرج جباة الأموال[4].. فرغم محاولاته الإصلاحية، إلاّ أنّ الأمير الصنهاجي يوسف بلكين اصطدم بتراتيب المعزّ لدين الله الإدارية والسّياسية التي كان يرى فيها عائقا تمنعه من ممارسة سلطاته كاملة على أرض الميدان[5]، بل وأدخله في صراعات لا نهاية لها مع أولائك العمّال الذين أوكل لهم المعزّ لدين الله بعض المهام.

---

[1]- المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص101 ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص263؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6، ص206.

[2]- المقريزي، نفسه، ج1، ص99؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 331، 332؛ ص 92؛ محمد طمار، المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص 42.

[3]- النويري، المصدر السابق، ج 24، ص ص88، 89؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 44.

[4]- النويري، نفسه ، ج 24، ص93 ؛ ابن الأثير، نفسه ، ج8، ص622.

[5]-زغلول، المرجع السابق، ج3، ص 302.

لكن رغم هذه المشاكل والعوائق، لم يستسلم لها الأمير، بل عمل كلّ ما في وسعه من أجل السيطرة على الوضع ومحاربة الفتن و الفساد، فلا يزال هكذا إلى أن وافته المنيّة سنة 373هـ/984م[1].

وبعده ظهرت بوادر إصلاح، تمثّلت في محاولة بعض الأمراء الانفصال سياسياً ومن بعدها مذهبياً عن الفاطميين، ومن ثمّة الإستقلال ببلاد المغرب، ويظهر ذلك جليّا في ما جاء على لسان الأمير المنصور بن يلكين (374هـ-386هـ/985م-996م): "لست ممّن يولي بكتاب ولا يعزل بكتاب، ولا أحمد في هذا الملك إلاّ الله (وحده) ويدي، وهذا الملك مازال في يد آبائي وأجدادي ورثناه عن حمير"[2]. وكلام كهذا له معناه ووزنه على السّاحة السّياسية في ذلك الوقت.

اتّصف هذا الأمير بأخلاقه العالية و خصاله الحميدة، حيث عرف بحبّه للعدل والإحسان مع الرّعية، وقد قال بعد توليته الحكم: "إنّ أبي وجدّي أخذا النّاس بالسّيف قهراً وأنا لا أخذ النّاس إلاّ بالإحسان"[3].

وهو ما يؤكد أنّ هذا الأمير كان يحمل مشروعاً إصلاحيا، أراد من خلاله إصلاح أمور بلاده، فكانت أيام حكمه أحسن الأيّام وأطيبها.

وقد أظهر شيئاً من الاستقلالية، فأخذ بزمام المبادرة دون أن يستشير الفاطميين بمصر، فقام بتوليّه أخيه يطوفت على آشير، وعيّن عمّه أبي البهار على تاهرت، وهذا العمل يعدّ مخالفة لوصية المعزّ "لا تولي أحد في أهلك"[4].

---

[1]-ابن عذارى، المصدر السابق ،ج1، ص ص 238، 239 ؛ ابن الأثير،المصدر السابق ، ج9، ص 34؛ زغلول،المرجع السابق ، ص 302-309.

[2]-النويري، المصدر السابق، ج 24، ص ص97، 98.

[3]-ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص240 ؛ النويري، نفسه، ج 24، ص ص97.

[4]- ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص 247 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 207؛ النويري، نفسه ، ج 24، ص 102؛ بن سادات نصر الدين، المغرب الأدنى والأوسط تحت الحكم الزيري، مجلة الخلدونية، العدد: 06 (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية)، جامعة تيارت، 2013م، ص 41

وفي هذه الفترة، استفحل أمر زناتة في الجهة الغربية من دولته، ولم يفلح في القضاء على خطرهم[1]، لكنّه استطاع أنّ يحقق بالودّ والدّهاء مالم يقدر عليه بالمواجهة، لتشهد بعد ذلك الصّراعات الصنهاجية الزّناتية نوعاً من الهدوء طيلة فترة حكمه تقريباً، فنجح في استمالة الزّعيم الزّناتي سعيد بن خزرون سنة 379هـ/989م وأدخله في طاعته[2]، ثم ولاّه على مدينة طبنة[3]، وزادت المودّة والتّقارب بينهما أكثر، إلى درجة أن زوّج المنصور بن بلكين أحد أبنائه بإحدى بنات سعيد بن خزرون.

ولمّا لامه بعض أقاربه على فعلته هذه، ردّ عليهم قائلاً: "كان أبي وجدّي يستبعانهم بالسّيف، أمّا أنا فمن رماني برمح رميته بكيس حتى تكون مودّتهم طبعاً واختياراً"[4].

ومن خلال هذا القول، نكتشف التّحوّل في سياسة المنصور بن بلكين، حيث عرف كيف يجنّب دولته خطر الصّراعات الّتي أنفق فيها أبوه وجدّه النّفس والنّفيس، من أجل بسط سيادتهم عليها لكن دون جدوى، سوى بعض الانتصارات المؤقتة وغير الحاسمة.

وقد اضطّر المنصور أن يستخدم سيفه في بعض المواضع، لمّا رأى الخطر يحدّق به، فقام بقتل عبد الله بن محمد الكاتب عامل وعين الفاطميين بالقيروان، الّذي عيّنه نزّار الفاطمي داعيا له بعد أن أحسّ منه المنصور الغدر والخيّانة، كما تخلّص من أبي الفهم وأبي الفرج المتمرّدان عليه أيضا.[5]

---

[1] –ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 441؛ ابن خلدون، المصدر السابق ،ج 6، ص 208.

[2] –ابن الأثير،نفسه ، ج 7، ص 441.

[3] –**طبنة:** يضمّ أوّله ثم السكون ونون مفتوحة، وطبنة بلدة في طرف إفريقية مما يلي بلاد المغرب على ضفة الزاب، فتحها القائد المسلم موسى بن نصير، وسورها مبني بالطوب، وبها قصر وأرباض وليس بين القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها، استجدها عمر بن حفص هزار مرد المهلبي في حدود سنة 454هـ ينسب إليها الراوي علي بن منصور الطبني. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج 4، ص 21.

[4] – ابن الأثير، نفسه، ج 7، ص 441؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 1، ص 244.

[5] – النّويري، المصدر السابق، ج 24، ص 100؛ ابن خلدون، نفسه ، ج 6، ص 208؛ ابن عذاري، نفسه، ج1، ص 242.

توفيّ المنصور بن بلكين، وخلفه ابنه باديس[1] (386هـ-406هـ /996م-1016م) الّذي سار على نهج أبيه في مخالفته للتّقاليد السّياسية السّالفة الذّكر، التي أوصى بها المعزّ لدين الله الفاطمي، ويتّضح ذلك في تعيّين الأمير باديس لعمّه حمّاد واليا على آشير[2] وعمّه الأخر يطوفت على تاهرت، من غير استشارة أهل القاهرة في ذلك[3].

والشّيء الملاحظ، هو أن كلّ هذه المبادرات الّتي قام بها أمراء بنو زيري، تبقى مجرّد محاولات فردية لتسيير شؤون دولتهم، بعيداً عن قبضة الفاطميين بمصر.. لكن يبقى هذا أيضا، في إطار التّبعية السّياسية والمذهبية للدّولة الوصيّة، ومن غير إعلان المقاطعة لها بشكل رسمي.

كانت العلاقات الودّية بين مصر وبلاد المغرب مجرّد قناع زائف، يخفي من وراءه حقيقة الخلاف القائم بين الحاكم بأمر الله الفاطمي[4] وباديس بن المنصور، فقد رأى

---

[1]-**باديس** بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، كنيته أبو مناد، ولقبه نصير الدولة، ولد ليلة الأحد 13 ربيع الأوّل من سنة 374هـ/984م بآشير، تولى الحكم بعد وفاة والده المنصور سنة 386هـ/995م. كان باديس ملكاً كبيراً، حازم الرأي، شديد البأس، إذا هزَّ رمحًا كسره، ولم يزل على ولايته وأموره جارية على السّداد حتى توفي يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة 406هـ/1015م، فأخفوا أمره ورتبوا أخاه كرامت ابن المنصور ظاهراً، حتى وصلوا إلى ولده المعزّ فولوّه، وتمّ له الأمر. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج 1، ص 266؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج 6، ص 208؛ النويري،المصدر السابق ، ج 24، ص 102.

[2]-**آشير**: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البرّ، بناها زيري بن مناد الصنهاجي سنة 324هـ/935م، تقع جبل تيتري في مكان به عيون ماء، فتمت إلى أحسن حالٍ، وعمل على جبلها حصناً مانعاً ليس إلى المتحصّن به طريق إلاّ من جهة واحدة، يستطيع عشرة رجال فقط حمايتها ومنع أيّ جيش الاقتراب منها. عمّرها زيري وحمى تلك الناحية، فقصدها الناس طلباً للأمن والحماية، فصارت مدينة مشهورة، تملّكها بعده بنو حمّاد... ومن آشير هذه الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد الآشيري، إمام أهل الحديث والفقه والأدب بحلب خاصّة وبالشام عامة. ينظر: الحمودي، المصدر السابق ، ج 1، ص 202.

[3]- النويري، نفسه ، ج 24، ص 102؛ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 332.

[4]-**الحاكم بأمر الله الفاطمي**، أبو علي المنصور بن العزيز بن المنصور بن القائم ابن عبيد الله، ولد سنة375هـ/985م بالقاهرة، ولاّه أبوه العهد 383هـ/993م، تولى الخلافة سنة 386هـ/995م، كان جواداً بالمال سفّاكا للدماء، قتل عدداً كبيراً من أهل دولته، في كلّ مرّة يصدر أحكاماً ويجبر الناس على العمل بها، كسبّ الصحابة على المنابر وفي الشوارع، كما منع التجار عن بيع الزبيب في مصر، وأمر أيضا النصاري بلبس العمائم السود، وقام بهدم الكنائس في مصر.. توفي سنة 411هـ/1020م. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق ، ج 5، ص 292.

الخليفة الفاطمي في سياسة باديس تقويضّا لنفود الفاطميين ببلاد المغرب، خاصّة بعدما بلغه أنّ نصير الدّولة باديس يعمل على الاستقلال عن الخلافة، فأوجس منه خيفة، وراح يحيك ضدّه المؤامرة تلوى الأخرى، من خلال تأليب القبائل ضدّه بغية إضعافه وإبقائه في حاجة ماسّة لدعم الفاطميين[1]، لكن هذه الممارسات لم تجد نفعا.

فالبرّغم من كلّ هذه الدّسائس، تمكّن باديس من القضاء على جميع المؤمرات، ولم يجد الخليفة الفاطمي حلاً، إلاّ بالرّجوع عن قراره وفتح صفحة جديدة من العلاقات الحسنة مع باديس الذي كان ملكاً كبيراً، حازم الرّأي شديد البأس[2]، قضى معظم فترة حكمه في تقويّة جيشه وتأمين دولته وبسط نفوذها والدّفاع عن حدودها البرّية منها والبحرية، فبنى القلاع والحصون..[3]إلى أن وافته المنيّة وهو على هذا الحال..

وبمجيء ابنه المعزّ بن باديس شهدت الدّولة تغييراً جذريا حيث أحدث ثورة سياسية في البلاد، وكانت إرهاصات القطعية مع الفاطميين وبوادر الانفصال السّياسي والمذهبي تلوحان في الأفق، وما أحداث قتل الشّيعة إلاّ خير دليل على ذلك.

فمنذ بداية أمره، شرع في توثيق روابط العلاقات داخل كيان دولته من أجل كسب الثّقة والتّأييد الشّعبي وقطع الخلاف بين أبناء المجتمع الزّيري، وهنا يقول النّويري: "فرأه النّاس من عقله وإقباله وفطنته ما ملأ قلوبهم وأقرّ عيونهم.."[4].

ومن أجل حفظ الأمن وضبط الأمور وتنظيم شؤون دولته، شرع في تعيّين قادة الجيش وعمّال الأقاليم.. ففي سنة 407هـ/1016م عيّن المعزّ محمد بن حسين قائدا

---

[1]– عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص 569؛ محمد حمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967م، ص 226.

[2]– ابن خلكان، المصدر السابق ،ج 1، ص 265؛ سرور، نفسه ، ص 227.

[3]– عبد الفتاح الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج 4، ص 38.

[4]– النّويري، المصدر السابق، ج 24، ص 111؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 163.

للجيش، وزاد أن ولاّه إدارة أقاليم طرابلس وقابس ونفزاوة[1]وقسطيلية وكذلك قفصة[2]، كما كلّف أيّوب بن يطوفت وعقد له على أعمال المغرب، وكان ذلك سنة 407هـ/1016م .[3]

ولمّا استصغره عمّه حمّاد واستخفّ به، حين رفض تسليمه بعض المناطق، لم يتردّد في مواجهته عسكريا، لأنّه رأى انّ ما قام به حمّاد، يعدّ انقاصاً من سلطانه وتقليصاً لنفوذه، فبرز إلى عمّه سنة 408هـ/1017م على رأس جيش، واستطاع أن يحقّق عليه نصراً عظيما وهو في سنّ العاشرة من عمره[4]، ممّا يدّل على شجاعته وثباته في مواجهة المخاطر من جهة ، وحسن تدبير البطانة الّتي تحيط به من جهة أخرى.[5]

رغم حداثة سنّه إلاّ أنّه كان حليما، عاقلاً، محبّاً للسّلم والاستقرار، فلمّا رغب عمّه حمّاد في الصلح استجاب له[6]، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[7]، وامتثالاً لما جاء في الآية الكريمة: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[8].

---

[1]–**نفزاوة** مدينة من أعمال إفريقية، قال البكري: وتسير من القيروان ستة أيام نحو المغرب. ولمدينة نفزاوة صخر وطوب، ولها ستة أبواب وفيها جامع وحمام وأسواق حافلة. ينظر: الحموي، المصدر السابق ،ج 5، ص 296.

[2]–**قفصة** بالفتح ثم السكون، هي بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد، بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، والبلدة مختطة في أرض سبخة... يشتمل سورها على ينبوعين للماء، أحدهما يسمى الطرميذ والأخر يعرف بالماء الكبير، وقفصة هذه أكثر بلاد إفريقية فستقاً ومنها يحمل إلى جميع نواحي إفريقية والأندلس وسلجماسة.. ينظر: الحموي، نفسه ، ج 4، ص 383.

[3]– النّويري، المصدر السابق ، ج 24، ص 113.

[4]– ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 89؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 269 ؛ النّويري، نفسه ،ج 24، ص 11؛ ابن خلدون ،المصدر السابق، ج6، ص 210؛ زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 407.

[5]–ينظر الملحق رقم: 09.

[6] –النّويري، نفسه ، ج 24، ص 114؛ ابن خلدون، نفسه ،ج 6، ص 21؛ روجي إدريس، المرجع السابق،ج1، ص 192.

[7]–سورة البقرة، الآية: 208.

[8]–سورة الأنفال، الآية: 61.

وزاد أنّ جاد المعزّ لعمّه حمّاد بأرض المغرب الأوسط كلّها[1]، وكان لهذا العمل أثره الإيجابي على أمن واستقرار الدّولة الزّيرية، خاصّة بعد المصاهرة الّتي تمّت بينهما، فعزّز ذلك مزيداً من التّفاهم والوفاق[2].

ولم تقتصر إيجابيات هذا الصّلح على ما تمّ ذكره فقط، بل تعدّاه إلى مجالات أخرى نوجز الكلام عنها.

ساهم هذا الصّلح في استقرار الأمور داخل البيت الصّنهاجي، وهو ما شجّع الشّيخ زاوي بن زيري أكبر شيوخ بني زيري على العودة من الأندلس إلى المنصورية، وقرّر العيش في أمن وسلام تحت سلطة المعزّ بن باديس[3]، كما مكنّ هذا الصّلح المعزّ من التّفرّغ لشأن القبائل المتمرّدة[4]، فدحّر زناتة وكسر شوكتها، وقد وصف ابن خلدون ذلك في في قوله: "وكانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغلب في جميعها كلّها"[5].

على إثرها ، جاءته رسل زناتة ومن حالفها من كتامة خاضعة طائعة، تطلب الصّلح والدّخول تحت حكمه، فأعطوا العهود والمواثيق، فرضيّ المعزّ بذلك، وأكرم مشيختهم[6].

رغم ما عرف عن المعزّ من حلم وسلم ومصالحة، إلاّ أنّه لم يكن متسامحاً مع المفسدين الذين سوّلت لهم أنفسهم تعكير جوّ الأمن والاستقرار في البلاد، ونخصّ بالذكر هنا الوزير محمد بن الحسن الذي رأى في نفسه وصيّا على البلاد وممثّلاً للفاطميين بديلاً عن المعزّ بن باديس، فأحسّ هذا الأخير أنّ محمد بن الحسن يحول بينه وبين ممارسة

---

[1] –النّويري، المصدر السابق ، ج 24، ص 114؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج 6، ص 210.

[2] –ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 90؛ زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 408؛ روجي إدريس، المرجع السابق ،ج1، ص 193.

[3] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 269؛ ابن الأثير، نفسه، ج 8، ص 90؛ ابن خلدون، نفسه ، ج 6، ص210 ؛ بن زاوي طارق، استقلال المعزّ بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016م-1062م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008م-2009م، ص103.

[4] – ابن الأثير، نفسه ،ج 8، ص 90.

[5] – ابن خلدون، نفسه ،ج 6، ص 210؛ ابن الأثير، نفسه، ج 8، ص 133.

[6] –ابن الأثير، نفسه ،ج 8، ص 157.

كامل سلطانه على البلاد، خاصّة وأنّ اتّصالاته مع القاهرة كانت مباشرة، ومن دون استشارة المعزّ، وهوما يؤكّده النّويري في قوله: " وذلك أنّه كان قد استقلّ بالأمور وجبى الأموال منذ فوضت إليه أمور الدّولة، فلم يدّخر درهماً واحداً في سبع سنين مع ما ورد من الهدايا الجليلة والتّقادم النّفسية.. وضاقت الدّولة واتّسعت أحواله وكثرت أبنيته الّتي لا تصلح إلاّ للملوك "، وهادى الأكابر بمصر حتّى وصل إليه سجل من الحضرة.. فأبى إلاّ تماديّا واستمراراً، فما كان من المعزّ إلاّ التّخلص منه ومصادرة أملاكه[1]، والمصير نفسه كان جزاء أخيه عبد الله بن الحسن الّذي ثار على المعزّ واستعان بزناتة سنة 413هـ/1022م[2].

وقد بذل المعزّ كلّ ما في وسعه من أجل نشر الألفة والمودّة بين أبناء المجتمع الزّيري، ويظهر ذلك في حرصه على حلّ بعض المشاكل والخلافات الّتي كانت تقع بين النّاس في إطار ما يسمى بإصلاح ذات البين.. ففي سنة 423هـ/1031م وقعت بين أهل تونس خلافات ومشاكل، فسار إليهم المعزّ بنفسه فأصلح بينهم وسكّن الفتنة[3].

كما حدث سنة 442هـ/1050م نزاع وفتن بين أهل القيروان وسوسة، لكن المعزّ كان دائما في الوقت المناسب، فبادر إلى الإصلاح بين المدينتين وكان من نتائج هذا الصّلح، أن صنع القيروانيين للسّوسيين دعوات غسلت فيها الأيدي بماء الورد، وعادت المودّة بين الطرفين[4].

---

[1] – ابن الأثير،المصدر السابق ،ج 8، ص 137؛ النّويري، المصدر السابق، ج 24، ص ص114، 115؛ زغلول، المرجع السابق ،ج 3، ص 402؛ بن زاوي، المرجع السابق، ص 105؛ روجي إدريس، المرجع السابق،ج1 ، ص 163.

[2]–النّويري، نفسه، ج 24، ص 116.

[3] –ابن الأثير، نفسه، ج 8، ص 205.

[4]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 272.

وفي المقابل توّجهت مجهوداته بمقاومة المخالفين له ، أن دانت له البلاد وزهت أيامه وذاع صيته وشهرته في أرجاء المعمورة، فهادته الملوك ورغبت في مصانعته[1].

بعدها توجّهت أنظار المعزّ[2] إلى إصلاح الشّأن الإداري، فوّلى على كلّ منطقة عاملاً يسهر على شأنها الإداري، وممثلاً له[3]، ففور تخلّصه من غريمه محمد بن الحسن، نصّب من كان يرى فيه أهلا للشّأن الإداري، وقد وصف لنا ابن عذاري من حسن تدبير المعزّ وكفاءته في اختيار الرجل المناسب للمناصب الإدارية بقوله: "وفوّض الأمير شرف الدّولة جباية الأموال، وولاية العمّال، والنّظر في العساكر وسائر الأشغال لأبي البّهار بن خلوف يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الأولى، فحسنت الأمور، وضبطت الأطراف والثّغور، واستقام التّدبير، ورأى الأمير شرف الدّولة من حزمه، وكفايته، وعزمه، وشهامته مالم يقم به غيره، ولا وجد عند سواه بوجه"[4].

وأمّا أهمّ خطوة إصلاحية قام بها المعزّ بن باديس، وقد مستّ الجوانب السّياسية والإدارية والاجتماعية، هي إقدامه على القطيعة السّياسية والمذهبية مع الفاطميين بمصر محاكيا ومتأثرا في ذلك بأبناء عمومته الحمّاديين، الّذين كان لهم السّبق في إعلان القطيعة مع الفاطميين سياسيا و مذهبيا، وهو ما سيأتي ذكره في المبحث التّالي الخاص بالحمّاديين.

---

[1]– ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 1، ص 275؛ حسني عبد الوهاب، المرجع السابق ،ص 93.

[2]–**المعزّ بن باديس** بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب إفريقية وما ولاها من بلاد المغرب، ولد بالمنصورية، من أعمال إفريقية، يوم الخميس لخمس مضين من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، تولى أمر الدولة بعد وفاة أبيه، بويع بالمحمدية من أعمال إفريقية يوم السبت لثلاث مضين من ذي الحجة سنة ست وأربعمائة، كان ملكاً جليلا عالي الهمّة، محبّاً لأهل العلم، كثير العطاء، وكان مذهب أبي حنيفة –رضي الله عنه– بإفريقية أظهر المذاهب، فحمل المعزّ جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس –رضي الله عنه–، توفي المعزّ سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق ، ج 5، ص ص233، 234.

[3]– روجي إدريس، المرجع السابق، ج 1، ص 169.

[4]– ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص 272.

هذه القطيعة التي اختلفت المصادر في تحديد تاريخها[1]، حيث ظهرت إرهاصاتها الأولى منذ توليّة المعزّ وإقدامه على التّنكيل بالشّيعة[2]، وهو خير دليل على نيّة هذا الأخير في الانفصال والاستقلال بدولته، بعيداً عن أوامر وتوصيات الفاطميين بمصر[3].

وهو ما جلب له التّأييد والمساندة من أهل السنّة، ومن كلّ الحاقدين على الشّيعة الروافض، فقويّ صفّه، ووافقه العلماء ومدحه الشعراء[4] على فعلته هذه[5].

أراد المعزّ أن يستغلّ الوضع السّياسي في مصر لصالحه، إثر وفاة الخليفة العبيدي الظّاهر سنة 427هـ/1035م، وتوليّة ابنه المستنصر الّذي لم يكن يتجاوز السّابعة من عمره، فرأى المعزّ أنّ الفرصة مواتية لاستمالة وزير المستنصر أبي القاسم الجرجائي الّذي كان يسيطر وقتئذ على مفاصل الحكم في الدّولة الفاطمية، فأخذ المعزّ يكاتبه ملمحاً من غير تصريح، ويعرض ببني عبيد وشيعتهم[6]، من خلال البيت الشّعري الّذي أرسله إليه:

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت أدري أنّهم خلقوا[7]

---

[1]– يرى كلّ من الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، ج 8، ص 116، والنويري صاحب الإرب، ج 24، ص 116، أن القطيعة كانت سنة 335هـ، بينما يرى آخرون أمثال :ابن عذاري في مغربه، ج 1، ص 474 وابن خلدون في كتابه العبر، ج 6، ص 211، أنّها وقعت سنة 440هـ ..

[2]– ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص 272؛ ابن خلدون، نفسه ، ج 6، ص 211.

[3]– ابن الأثير، نفسه ،ج 8، ص 114.

[4]– يا معزّ الدّين عش في رفعة وسرور واغتباط وجـــــــذل
أنت أرضيت النبّي المصطفى وعنيقا في الملاعيق السّـــــفل
وجعلت القتل فيهم ســــــنّة بأقاصي الأرض في كلّ الدّولت

ينظر: ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص 274؛ الطاهر زاوي، المرجع السابق، ص 225.

[5]–الأمر الذي لايجب أن نغفل عنه بعد هذه الحادثة، وهو المساندة الكبيرة والدّعم المعنوي الذي تلقاه المعزّ من طرف العلماء والفقهاء خاصّة القيروانيين منهم، بمشاركتهم الإيجابية في شحذ الهمم وتقوية العزائم. ينظر: محمد العروسي المطوي، سيرة القيروان، رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م، ص 35؛ زاوي، نفسه ، ص 126.

[6] –ابن خلدون، نفسه ،ج 6، ص211؛ ابن زاوي، نفسه، ص 135.

–[7] ابن دينار، المؤنس، ص 105؛ ابن زاوي، نفسه، ص 135.

وما لبث أن أظهر المعزّ طاعته ودعاءه للخليفة العبّاسي[1] القائم بأمر الله[2] ، ولم يعبأ بما صدر عن الفاطميين من تحذير له[3]، بل و ردّ عليهم بقول فيه الكثير من الاستعلاء: "قل "قل لأميرك أنّ لنا ملكاً بإفريقية قبل أن يكون للفاطميين ذكر"[4].

كما استغل أيضاّ الظّروف الصّعبة الّتي كانت تمرّ بها الدّولة الفاطمية، كالمجاعات والفتن وبعض النّزاعات العسكرية الّتي حدثت بين الأتراك والبربر المغاربة والسّود، وكذا تراجع دور الفاطميين في المشرق، كما كان لوفاة الوزير أبي القاسم الجرجائي سنة 436هـ/1044م أثره الكبير على سياسة الدّولة، خاصّة وأنّ وفاته تزامت وظهور السّلاجقة على مسرح الأحداث[5].

فأخذ المعزّ يبحث عن المساعدات الخارجية، فربط علاقات مع الأمويين بالأندلس و العبّاسيين ببغداد، وكذا الإمبراطور البيزنطي الّذي بعث له رسولاً من أجل الغرض نفسه[6].

نفسه[6].

وداخليا، عمل على تقريب العلماء والفقّهاء المالكية منه واتّخذهم كمرشدين له، خاصّة في بعض القضايا الحسّاسة والمصيرية[1].

---

[1]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 465؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج 6، ص 211؛ طمّار، المرجع السابق، ص96، 97.

[2]–**القائم عبد الله** بن أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر بالله يكنى أبا جعفر، ولد يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه القادر بالله في يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنين وعشرين واربعمائة، ولم يزل أمر القائم بأمر الله مستقيما إلى أن ألقي عليه وزيره البساسيري القبض سنة 447هـ وسجنه، وبقي في سجنه إلى أن خلّصه منه طغرليك أمير الغزّ و أعاده إلى منصب الخلافة... عرف عن القائم بأمر الله عنايته بالأدب والإنشاء وغيرهما من العلوم... توفي سنة 467هـ/1074م. ينظر: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج 9، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1931م، ص ص400، 402.

[3]– ابن خلدون، نفسه ، ج 6، ص 211.

[4] –عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ، ج 1، ص 338.

[5]أ–يمن فؤاد السيّد، الدولة الفاطمية، ط 1، الدار المصرية اللبنانية للطّباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص 134–140.

[6]– بورويبة، المرجع السابق، ص 25.

وكان لتوفّر البلاد خاصّة المغرب الأوسط على كميّات هائلة من الذّهب، من العوامل الأخرى الّتي عجلت بأمر الانفصال، هذا الذّهب كان مصدره الأسّاسي بلاد السّودان الغربي، وقد لعب دوراً أساسيا في رخاء البلاد.. وأصبحت كميّة الذّهب الّتي ترسل سنويا إلى القاهرة، تشكّل عبئا ثقيلاً على الخزينة الزّيرية وتحول دون تحقيق نهضة اقتصادية في البلاد، الأمر الّذي استدعى التّفكير للاستفادة من هذه الثّروة محليّا[2]، ولن يتحقّق ذلك إلاّ بقطع كلّ صلة مع حكّام بالقاهرة[3].

عندئذ أصبح الانفصال عن الفاطميين مطلباً ملحّا، فقام المعزّ بما يتطلّبه الأمر ومكّن للمذهب المالكي، وجعل منه المذهب الرّسمي للدّولة[4] وقاوم المذهب الشّيعي إلى أن ألغاه تماماً[5].

كما قام بتغيير السكّة[6] سنة 441هـ/1050م وتمّ جمع دنانير الفاطميين، فسبكت وكانت أموال عظيمة، وسكّها دنانير ودراهم جديدة خالية من أسماء الفاطميين، وبعث بها إلى سائر عمّاله بالأقاليم للتّداول بها بديلاً عن العملة القديمة[7]، وبذلك اكتملت سيادة الدّولة الزّيرية على أرض المغرب سياسيا ومذهبيا.

2- الإصلاح الاقتصادي:

عرفت فترة حكم بنو زيري لبلاد المغرب عناية فائقة بالجانب الاقتصادي، الّذي يعدّ شريان حياة الدّول وسبب بقائها واستمرارها، وقد تنوّع اقتصاد الزّيريين بين زراعة

---

[1]- الصّلابي، المرجع السابق ، ص 97.

[2] -مقلد الغنيمي، المرجع السابق ، ج 4، ص 46.

[3]-ابن زاوي، المرجع السابق، ص 140.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 211؛ الصّلابي، المرجع السابق ،ص 97.

[5]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 278؛ ابن خلدون، نفسه، ج 6، ص 211.

[6]- زغلول، المرجع السابق، ج 3، ص 391؛ جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 197.

[7]- ابن عذاري، نفسه ، ج 1، ص 278.

وصناعة، إضافة إلى التّجارة الّتي نشطت داخليا وخارجيا، وأسهمت في انتشار الأسواق الّتي كانت تدّر بالأرباح والأموال الطّائلة على الدّولة الزّيرية ومجتمعها.

أدرك الزّيريون منذ البداية أهمّية الزّراعة ومدى تأثيرها على استقرار المجتمعات، لذا نجدهم قد بذلوا جهوداً مضنية في سبيل تطويرها، ويتّضح ذلك في تنويع المنتوجات الزّراعية من قمح وشعير وحنطة.. ممّا أدّى إلى انخفاض أسعارها وأصبحت في متناول جميع أفراد المجتمع الزّيري، وهو ما ساهم في تراجع ظاهرة الفقر والجوع وسط النّاس[1].

وأهمّ ما يلاحظ عن إصلاحات الزّيريين في هذا الميدان، اتّباعهم لطريقة المناوبة أو ما يعرف اليوم بالدّورة الزّراعية، حيث كان يزرع نصف الأرض عاماً ويترك نصفها الأخر بوراً ليزرع في العام القادم[2]، كما عمل الزّيريون على استصلاح الأراضي الوعرة وتسويّتها ثمّ تقسيمها إلى قطع باستعمال الإسطرلاب، ليسهل استغلالها فيما بعد[3].

وبالتطوّر الزّراعي، أصبحت الأسمدة تستعمل على نطاق واسع، حسب صنف المزروعات ونوعيّة التّربة، وأصبح النّظام الزّراعي يدار بطرق علمية، فتمّ تأليف الكتّب المتخصّصة في هذا المجال، وخير ما نستشهد به، كتاب "ماغون القرطاجي" الّذي يعدّ دستوراً للمزارعين في بلاد المغرب في ذلك الوقت[4].

كانت حصيلة هذا الإصلاح، أن شهدت بعض المزارع في منطقة الزّاب تطوّراً زراعيا لا مثيل له، حيث صارت تنتج القمح مرتين في السّنة[5]، وبالتّالي يكون من الطّبيعي تحقيق الاكتفاء الذّاتي محليا وتسويق الباقي إلى مناطق أخرى.

---

[1] –البكري، المصدر السابق، ص 56.

[2] – جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ص 22؛
Imammudin ; Some aspects of the socio économic and cultunel History of musulman spain. Teinden-Brill, 1965, p 74.

[3] – جودت عبد الكريم، نفسه ، ص 22.

[4] –نفسه ، ص 22

[5] طمّار، المرجع السابق، ص 149.

وقد تكلّمت كتب الجغرافيا في معنى هذا الإصلاح الزّراعي، الّذي كانت نتيجته ظهور المزارع الواسعة المتنوّعة المحاصيل، كالقمح والشعير والسفرجل والعنب.. وقد اختصّت كلّ منطقة بإنتاج أنواع معيّنة من المحاصيل حتّى صارت تنسب إليها، فيقال: قمح "عندة" وسفرجل "زانة"[1] وزيتون صفاقس المتميّز الّذي وصفه ابن حوقل: "وجلّ غلاّتها الزّيتون والزّيت، وبها منه ما ليس يوجد بغيرها مثله"[2]، كما اشتهرت بسّكرة بتمرها و كان يضرب به المثل لفضله عن غيره من أنواع التّمور[3].

ومن أجل تصريف هذه المحاصيل، أنشأت الأسواق في مختلف أرجاء البلاد، فهذه سوق "إبراهيم" الّتي اختصت في بيع مادة التّين، وسوق أخرى مخصّصة لبيع البطّيخ وهكذا..[4]

أدّى هذا التطوّر إلى ازدهار الزّراعة بالمغرب الأوسط، فحقّقت الاكتفاء لأهل البلاد وهو ما يفسّر رخص أسعارها، وهنا يذكر ابن أبي زرع :" أنّه في سنة 380هـ/991م كان الزّرع لا يوجد من يشتريه لكثرته وكان الحرّاثون يتركونه ولا يحصدونه"[5].

يبدو أنّ هذا كان في بداية الأمر، لكن بتزايد السّكان نتيجة استقرار بعض القبائل وما صاحبها من تطوّر عمراني وتوسّع للمدن، أوجد مستهلكين جدد لهذه المنتجات الزّراعية، ممّا دفع بالمنتجين إلى توسيع إنتاجهم لسدّ حاجيات السّكان المتزايدة يوميا والتّوسّع في إحياء الأراضي الموات، وهنا يعطى لنا الحموي مثالاً حيّاً عن آشير فيقول: " فحمى زيري بن مناد تلك النّاحية وزرّع النّاس فيها"[6].

---

[1] –البكري، المصدر السابق ، ص 57.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص 73.

[3] –البكري، نفسه ، ص 52.

[4]– ابن حوقل، نفسه ،ص 77.

[5]– ابن أبي زرع، المصدر السابق ،ص 63؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 25.

[6]– الحموي، المصدر السابق ،ج 1، ص 264.

أعطى ذلك وفرة للإنتاج، فكان الفائض منه يصرّف في شكل تصدير نحو المراكز العمرانية الكبيرة، وحتّى إلى خارج البلاد نحو الأندلس وصقلية و بلاد السودان[1].

ساهمت الزّراعة بدور فعّال في توفير الموارد المالية للدّولة، وكان مصدرها البساتين والحقول المنتشرة في بلاد المغرب الأوسط، حيث كانت تدفع منها معظم الضّرائب، وهو ما مكّن للمنصور أن يرسل هدية إلى مصر سنة 374هـ/983 قيمتها ألف ألف دينار[2]. وهو ما يفسر أيضا، الاهتمام الكبير الذي كان يوليه الزّيريون للزّراعة على اختلاف أنواعها.

وقد بلغت فلاحة البلاد من زراعة وغراسة مرتبة متقدّمة جدّا، والفضل في ذلك يعود إلى عملية الرّي، الّتي ساهمت بدور فعّال في إحياء الأراضي الموات[3].

كما شجعت الفلاحة بعض كبار التّجار في المدن، على توظيف أموالهم في الزراعة كونها تعتبر أكثر ضمانا للرّبح من التّجارة[4].

لكن هناك كلام ينافي هذا القول، على أنّ عدم استثمار أموال التّجارة في الحقل الزراعي، مثّل نقطة ضعف في اقتصاد المغرب الإسلامي[5].

لم تقتصر الفلاحة عند الزّيريين على الزّرع فقط، بل تعدته إلى تربية الحيوانات، نظراً لمنافعها الكثيرة. يقول الله عزّ وجل: ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾[6].

---

[1] –جودت عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 26؛ موريس لومباز،الإسلام في مجده الأوّل (ق2هـ–5هـ)، تر:إسماعيل العربي،ط 3، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1990م، ص 240–242.

[2]– النّويري، المصدر السابق، ج 24، ص 103؛ جودت عبد الكريم، نفسه ، ص 34.

[3]–ابن زاوي، المرجع السابق، ص 116.

[4]– جودت عبد الكريم، نفسه ، ص 19.

[5] –الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص 75.

[6]– سورة النحل، الآية: 05.

فكانت سياسة الدّولة مشجّعة في هذا المجال، نظراً لما فيها من فوائد جمّة، تدرّ بالأرباح الطّائلة على الفرد والدّولة، فيستفاد من شعرها وصوفها وأوبارها في صناعة الأغطية والخيام والملابس، إضافة إلى شحومها ولحومها الّتي يستفاد منها كغذاء، دون أن ننسى الاستعمالات المتعدّدة لجلودها، كما تستعمل أيضا هذه الحيوانات للنّقل والحمل والحرث وكان لها دور كبير في الحروب، كما اعتبرت أموالاً في حدّ ذاتها، فمنها المهر ومنها الدّية[1].

وقد ذكر لنا أبو الفضل الدّمشقي الأسس الّتي بنت عليها الدّولة سياستها الرّامية لإنجاح عملية تربية الحيوانات فقال: "الأمن الشّامل وقلّة الأعداء وكثرة النّاصر وتفقّد المالك لها ومراعاة مصالحها في كلّ وقت ووجود الأعوان الخبيرين بسياستها وادّخار ما ترفق به من علوفها في صميم الشّتاء وما يصلح رعاتها به من المؤن والكسوة "[2].

ومن العوامل الّتي ساهمت أيضا في ازدهار الاقتصاد وثراء الدّولة الزّيرية، نجد التّجارة كما يعرفها ابن خلدون على أنّها: "هي تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من ثمن الشّراء، إمّا بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأغلى أو بيعها بالغلاء على الآجال"[3].

وقد لعبت الفلاحة دوراً بارزاً في تنشيط التّجارة، باعتبارهما حلقتين متّصلتين ببعضهما البعض، فالتّجارة عبارة عن عملية تسويق للمنتجات الفلاحية على اختلاف أنواعها.

شهدت البلاد تطوّراً تجارياً مشهوداً في ظلّ حكم أمراء بني زيري، الذين عرفوا كيف يسيطرون مع شريان التّجارة بشقيّها الدّاخلي والخارجي[4].

---

[1]– جودت عبد الكريم، المرجع السابق ،ص 65.

[2] –أبو الفضل الدّمشقي، الإشارة إلى محاسن التّجارة، تح: البشير يالشودبجي، د ط، مكتبة الغد، الإسكندرية، مصر، 1977م، ص 49؛ الدبّاغ، المصدر السابق، ج 2، ص 344؛ جودت عبد الكريم، نفسه ، ص 65.

[3] –ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 494.

[4]– آدم ميتز، المرجع السابق، ج 2، ص 365.

فقد سعوا جاهدين للنّهوض بهذا القطاع الحيوي المربح، فكان دور السّلطة الحاكمة في هذا المجال واضحاً، من خلال رسم سياسة هادفة تجلّت معالمها في تأمين الطّرق والقوافل التّجارية، وكذلك بتجهيز حملات عسكرية تأديبية ضدّ المناطق المتمرّدة، أو بتكليف بعض القبائل للقيّام بهذا الدّور نيابة عنها[1].

لقد سعى الزّيريون إلى توفير الأمن وفتح الطّرقات وإيجاد وسائل النّقل، وهو ما ساهم في نموّ التّجارة وتشجيع النّاس على ممارسة هذا النشاط[2] ، كما عملوا أيضا على تنظيم الأسواق تنظيماً دقيقا، وجعلت لها محتسبا يسهر عليهاً[3].

وكان لهذه الأسواق أوقات معيّنة لا يجوز مخالفتها، فمنها اليومية[4] والأسبوعية[5] والموسمية، وحتّى العسكرية الّتي كانت تنتقل مع الجيوش من أجل تزويد الجنود ببعض الحاجيات[6].

بمرور الوقت، شهدت الأسواق تنظيما أكبر، وجعلت لها الدّولة مواقيت وأيّام معلومة تقام فيها، وهنا يصف لنا الإدريسي مدينة آشير فيقول: "لها سوق يوم معروف يجلب إليها كلّ لطيفة ويباع بها كلّ طريفة"[7].

وقد أخذت بعض الأسواق تسميّتها أو شهرتها من القائم عليها أو مؤسّسها، كسوق عبدون بن سنان الأزداجي أو سوق ابن خلف أو سوق ابن وردة[8].

---

[1]– جودت عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 129.

[2]–حسن حسيني عبد الوهاب، بساط العتيق في حاضرة القيروان وشاعرها ابن الرشيق، د ط، المطبعة التونسية، تونس، 1330هـ، ص 20.

[3]–المجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، تقديم، موسى لقبال، د ط، الشركة الجزائرية للنشر، د ب، ن، د، ت، ن ص 51–53.

[4]–المقديسي، المصدر السابق، ص ص225، 226.

[5]– التيجاني، المصدر السابق، ص 351.

[6]–بوتشيش، إضاءات حول التراث العربي الإسلامي، ص 98.

[7] –الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 85.

[8]– جودت عبد الكريم، نفسه ، ص 143.

وتذكر بعض المراجع أنّ هذه الأسواق، كانت تسير وفق ما تقتضيه ضوابط الشريعة الإسلامية، حيث وضع الإسلام شروطا وجب على التّاجر التّحلّي بها؛ كالتّقوى والصّدق.. وفي هذا الشّأن يقول الرّسول – صلى الله عليه وسلم–: "**التّجار يبعثون يوم القيامة فجّاراً إلاّ من اتّقى الله وبرّ وصدق**"[1].

كان ينضوي هؤلاء التّجار تحت تنظيم في شكل إتّحاد، فإذا ماحلّ بأحدهم عجزاً أو إفلاساً أو شيء من هذا القبيل، تضامنوا معه بغلق حوانيتهم أو الخروج من السّوق وتركه له وحده، حتّى تكثر مداخيله وتعظم فائدته، وهذا يدخل ضمن عملية التّنظيم والمساعدة والتّضامن بين التّجار[2].

وكما أسلفنا الذّكر، فإنّ دور الدّولة الزّيرية في تنظيم الأسواق التّجارية كان ضروريا و ملفتا ، حيث عمدت الدّولة على إخراج بعض الأسواق من داخل المدينة إلى خارجها كتلك الّتي تزعج النّاس بأصواتها، كسوق الحدّادين أو كتلك التي تصدر منها الرّوائح الكريهة والأوساخ والقاذورات، كأسواق الدّبّاغين وأسواق المواشي.. وهو ما يبرز حرص الدّولة على سلامة وراحة النّاس[3].

وفي شأن السّوق دائما، فقد بذل الزّيريون مجهودات كبيرة في سبيل محاربة الاحتكار عن طريق المحتسب، امتثالا لما ورد من نهيّ عن الاحتكار في قول الرّسول – صلى الله عليه وسلم –:"**من احتكر طعاماً أربعين ليلة، فقد برئ من الله تعالى وبرئ الله منه**"[4].

أمّا فيما يخص التّجارة الخارجية، فقد عملت الدّولة الزّيرية على تصدير فائض إنتاجها خارج البلاد إلى عدّة دوّل[1]، وقد استغل حكام بنو زيري كلّ ما حظيّت به بلادهم

---

[1] –رواه الترميذي، الحديث رقم: 1210؛ زيدان عبد الباقي، العمل والعّمال والمهن في الإسلام، د ط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1978م، ص 67.

[2]– أبو زكريا يحيى بن عمر الأندلسي، أحكام السوق، تح: محمود على مكي، ط 1، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1956م، ص 117؛ جودت عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 151.

[3]– جودت عبد الكريم، نفسه ،ص 144.

[4]– ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، رقم 9/347 : جودت عبدالكريم، نفسه، ص 154.

من طرق بريّة وموانئ بحرية والتي تعدّ من العوامل الرّئيسية الّتي ساهمت في نموّ التّجارة الخارجية[2]، فبواسطة هذه الشّبكة من الطّرقات، تمكّن الزيريون من الولوج إلى الأسواق الخارجية لتصدير منتوجاتهم ، واستراد ما تحتاجه بلادهم من البضائع المختلفة[3].

وتكمن قوّة صنهاجة الإقتصادية، في تلك الضّرائب والأموال الّتي جبتها من القوافل المارّة في حياضها من وإلى بلاد السودان[4]، كما أنشأت مؤسسات لخدمة التّجارة كالفنادق الّتي كان يقصدها التّجار الأجانب، ويودعون بضائعهم في مستودعاتها، فتسّجل في دفاتر خاصّة وتضرب عليها المكوس الدّيوانية[5].

لقد كان أهل التّجارة يدعون للمعزّ بن باديس[6] ويترحمون عليه، لأنّه هو من أدخل ثورة إصلاحية في هذا المجال، فإليه ترجع الأعمال الجليلة الّتي جعلت من إفريقية منطقة تجارية هامّة، ساهمت في تسهيل عملية التّبادل التّجاري مع البلدان الأخرى، ممّا أفاد كثيراً البلاد[7].

كان المغرب الأوسط منطقة إلتقاء القوافل التّجارية، سواء الوافدة إليه أو تلك والعابرة لأراضيه، ممّا جعل منه منطقة تجارة دولية، وقد عرف أمراء بنو زيري كيف يستفيدون من الميزة الّتي حظيّت بها دولتهم، فعملوا على جلب سلعاً من دول معيّنة، ليعاد تصديرها إلى البلدان أخرى، ومنها ما يتمّ إبقاءها وتخزينها في البلاد، كمادة الذّهب الّتي كانت تجلب من السودان، ويتمّ الاحتفاظ بكميات ضخمة بالمغرب الأوسط، ممّا جعل منه بلاد غنيّة جدا بهذه المادة[8].

---

[1]– مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 117.

[2]– موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأوّل، ص 326–330؛ جودت عبد الكريم ، نفسه ، ص 194.

[3]– جودت عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 194.

[4]–جودت عبد الكريم، نفسه ، ص 213.

[5]–نفسه، ص 243.

[6]– ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 119.

[7]–نفسه ،ج 9، ص 119.

[8]– جودت عبد الكريم ، نفسه ، ص 245.

المبحث الثاني :إصلاح الشّأن الإجتماعي والثّقافي والعمراني.

1- الإهتمام بالشّأن الإجتماعي والثّقافي:

لم يكن ليتحقّق هذا الرّقي والغنى الاقتصادي، لو لم يكن هناك أمن واستقرار اجتماعي عكف الزّيريون على تقويّته، حيث عملوا على نشر كلّ ما من شأنه أن يخدم الجبهة الاجتماعية ويساهم في لمّ الشّمل بين أفراد المجتمع .

كانت سياسة الأمراء تصبّ في خدمة المجتمع الزّيري وتطويره، ممّا جعل منه مجتمعا حضريا في أغلبه، سمته الأساسية هي الاستقرار، خاصّة بعد أن استوطنت القبائل البدوية المدينة وغيّرت نمط معيشتها من رعيّ وغزوّ ونهب إلى احتراف مهنة التّجارة، التي ساهمت بمرور الوقت في تحسين سلوكها وطبعها.

ساهمت سياسة الدّولة هذه في إذابة الفوارق الاجتماعية داخل المدينة، الّتي تعايشت فيها قبائل مختلفة العرقيّات والأديان، فأصبح يسيطر عليها شعور الانتماء إلى الأرض والمدينة، وواجب الدّفاع عنها يقع على عاتق أفرادها.

أدّى التّمازج السّكاني إلى تبادل حضاري وثقافي داخلي بين الحواضر والمراكز التّجارية، هذه الأخيرة كانت في اتّصال وتواصل مع الثّقافات الخارجية ، وبذلك تأثّرت بلاد المغرب الأوسط بتلك الثّقافة والحضارة الّتي هبّت عليها من المشرق والأندلس[1].

كان زيري بن مناد شديد الحرص على الوحدة الاجتماعية والمذهبية لدولته، ولم يتردّد لحظة في ردع كلّ من يستهدف هذه الوحدة، فلما شكا إليه موسى بن أبي العافية[2] من بعض أفعال بني غمارة قائلا: "إنّهم قوم على غير مذهب يبيحون المحارم، وقام فيهم رجل يدّعي النبوّة، وسنّ سننا من المنكرات"[3].

---

[1] -جودت عبد الكريم، المرجع السابق ،ص 255.

[2] -**موسى بن أبي العافية** كان واليا على جراوة من قبل عبد الرّحمن بن محمّد الأموي صاحب قرطبة، ثم صار في الزّيريين عندما خرج زيري بن منّاد إلى المغرب. ينظر: النّويري، المصدر السابق، ج 24، ص 89.

[3] -نفسه ، ج 24، ص 89.

عندها سارع زيري إلى التّحرك فورا نحو غمارة لوقف هذه الممارسات المسيئة للدّين وتساهم في تفكّك الرّوابط الاجتماعية وتثير الفتن، فأمسك بالمتنبّي بعد أن أوقع بأهل غمارة[1]، وأخذه إلى آشير وعرضه على الفقهاء، فقالوا له: " إن كنت نبياً فما علاقة نبوّتك ؟ فقال: اسمي في القرآن، قالوا: وما اسمك ؟ قال: اسمي حم، واسم أبي من الله وفي القرآن: ﴿**حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[2]" ، فأمروا بقتله اتّقاء انتشار الفتنة بين النّاس[3].

ولمّا صار الأمر بيد يوسف بلكين بن زيري، سار في النّاس بالحسنى، وأظهر الكثير من الإصلاح، فاستقامت له الأمور وساد الاستقرار في البلاد بحسن تدبيره[4].

لم يبخل هو الأخر على حماية الدّين وتخليص المجتمع من المشعوذين والسّحرة.. فقد تحرّك أبو الفتوح بلكين بنفسه إلى برغواطة، حين أدّعى ملكهم عيسى بن أبي الأنصار النّبوّة، وشرّع لهم ديناً جديداً غير دين الإسلام.

فما كان من أبي الفتوح، إلاّ أنّ شنّ عليه حربا، لقيّ فيها مدّعي النّبوّة وأتباعه حتفهم، ومن بقيّ منهم كان مصيره السّبي، وعلى إثر هذه العملية، قام بإعادة فتح العديد من المناطق، كفاس وسجلماسية.. وضمّ مناطق أخرى إلى ملكه[5].

لم يتوقف اهتمام أمراء بني زيري عند الجانب الاقتصادي والاجتماعي، بل تجاوزوه إلى الشّق العلمي والثّقافي، لما له من أثر في تنوير العقول وتربية النّفوس وازدهار الحضارة.. والفضل في ذلك يعود إلى علماء وفقهاء اجتهدوا بفكرهم، وأمراء ساهموا بأموالهم، في سبيل تنشيط وإثراء الحياة العلمية للأمّة .

---

[1]–**بنو غمارة** بطن من بطون معمورة من البربر البرانس، وهم بنو غمارة بن مسطح بن قليل بن مصمودة بن برنس بن بربر... ومن هذه القبيلة الشيخ عبد الله الغماري خادم سيد أبي العبّاس البصير الخروجي الأندلسي البلنسي. ينظر: النّويري، نفسه ، ج 24، هامش ص 89.

[2]–سورة الجاثية، الآيتين: 1 و2.

[3]– النويري،المصدر السابق ، ج 24، ص 89.

[4]–نفسه، ج 24، ص 93.

[5]–نفسه، ج 24، ص 96.

أدّى اهتمام السّلطة الزّيرية بالجانب العلمي، إلى تعدّد المؤسسات التّعليمية من مساجد وزوايا و رباطات.. انتشرت في ربوع البلاد بشكل ملفت، وقد اختلف دورها من مؤسسة إلى أخرى ، فمنها ما استخدم للتّعليم مثل المساجد وأخرى تعبديّة جهادية مثل الرّباطات، كما عرفت المنازل هي الأخرى بدورها في تنشيط عملية التّعليم بنوعيه الخاصّ والعام ، فالأوّل كان يدرّس في منازل المؤدبين أمّا الثّاني ففي منازل العلماء[1].

تعدّدت الاتّجاهات الثّقافية بتنوّع نشاط المجتمع الزّيري، فقد تركّزت جهود العلماء أساساً على التّمكين للمذهب المالكي عن طريق كثرة التّأليف، خاصّة في غياب مشاهير المؤلفين الشّيعة كالنّعمان بن محمد المغربي وغيره.. إضافة إلى استمرار المناظرات العلمية بين أهل السنّة المالكية وأتباع المذهب الشّيعي الإسماعيلي، كما ازدهر الأدب والشّعر ازدهاراً لا مثيل له، ويرجع الفضل في ذلك إلى عدد من الأدباء والنّقاد من أمثال إبراهيم النّهشلي وابن رشيق وابن شرف وغيرهم، وقد نال المغرب الأوسط حظّه من هذه الموجة الثّقافية الّتي اجتاحت إفريقية وأرض المغرب قاطبة، فرغم سقوط الدّولة الرّستمية سنة 296هـ/908م ، إلاّ أنّ ثقافة الإباضين لم تختف من المغرب الأوسط، فقد أصبحت ورجلان من أهمّ المراكز العلمية والثّقافية، نظراً للموقع الجغرافي الّذي تميّزت به المدينة بتواجدها على طريق تجارة الذّهب عبر الصحراء[2].

كما صارت المسيلة التي بناها أبي الحسن علي بن حمدون الأندلسي بأمر من الخليفة أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي سنة 315هـ/927م[3]، من أهمّ مراكز العلم والأدب في المغرب الأوسط، فوفد عليها الكثير من أهل الفكر والعلم والثقافة، نظير التّشجيع الذي حضيّ به هؤلاء العلماء والأدباء والشّعراء من طرف السّلطة.

---

[1]–لطيفة بنت محمد البسام، الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري، د ط، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2001م، ص 98.

[2] –بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م، ص 346.

[3]– ابن حوقل، المصدر السابق ، ص 85؛ التليسي، المرجع السابق، ص 347.

لم تكن آشير أقلّ شهرة من المسيلة، فقد أدّى التّنافس بين آل علي ابن حمدون وبين بني زيري إلى نضج ونشاط الجانب الثّقافي والعلمي بالمنطقة، وأكتمل هذا النّضج مع نهاية القرن الرابع الهجري، بظهور عدد كبير من الأدباء والعلماء، بكلّ من بجاية وآشير خلال العهد الزّيري والحمادي[1].

أدّى احتضان الزّيريين للنّظم الاجتماعية والمجالس العلمية والأدبية، إلى تأصّل العلوم والآداب و الثّقافة العربية في المجتمع الزّيري، فنبع من أبناء هذا المجتمع فقهاء وعلماء ذاع صيتهم في جميع أنحاء العالم الإسلامي[2].

فكان للعلماء دور سياسي ونشاط ديني وعلمي واسع، ساهم في تكريس المذهب السنّي المالكي وسط العامّة من النّاس ، وهذا راجع إلى تساهل وتسامح الأمراء الزّيريون مع هؤلاء العلماء وعدم التّشدد معهم ولا مضايقتهم، ساهم ذلك في عودة الحياة العلمية إلى المساجد والكتاتيب[3]، فعقدت المناظرات والمجالس العلمية والمجادلات الدّينية التي كان فيها دوما التفوّق دوما للفقهاء والعلماء المالكيين على أصحاب المذهب الشّيعي بالدّليل العلمي والبرهان الدّيني[4].

عرف المذهب السنّي المالكي طريقه إلى البيت الزّيري نفسه عن طريق العالم والفقيه أبي الحسن بن أبي الرّجال، الذي تولّى تأديب الأمير الزّيري المعزّ بن باديس وهو لا يزال طفلاً صغيرّاً، فكان حظّ هذا الأخير أن نشأ نشأة سنّية مالكية[5].

---

[1]– التليسي، المرجع السابق ، ص 350.

[2] –عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 89؛ أيمن السيّد عبد اللّطيف، الحياة الثقافية في المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية، ط 1، المكتبة الثقافية الدينية، د ب ن، 2018م، ص 72.

[3] –علي محمد محمد الصّلابي، الدولة العبيدية في ليبيا، ط 1، دار البيادق، عمان، الأردن، 1998م، ص 110؛ أيمن عبد اللّطيف، نفسه ، ص 73.

[4]– الدبّاغ، المصدر السابق، ص 177–179؛ أيمن عبد اللّطيف، نفسه، ص 73.

[5]– الصّلابي، نفسه ، ص 112؛ أيمن عبد اللّطيف، نفسه ، ص 73.

وكان أبوه باديس بن منصور شديد الاهتمام برعاية العلم والعلماء، حتّى أنّه أمر بكتابة سجل لجميع الطّلبة بالحفظ والرّعاية من كلّ ظلم قد يقع عليهم، وهو ما يبرز اهتمام هذا الأمير ورعايته لطلبة العلم ماديا ومعنويا[1].

ولمّا صار الحكم بيد ابنه المعزّ، شهدت البلاد نهضة حقيقية في جميع المجالات، وتجمع المصادر والمراجع التّاريخية على أنّ فترة حكم الأمير المعزّ تعدّ أزهى فترات الدّولة الزّيرية على الإطلاق، لما عرف عن هذا الأمير حبّه للعلم والعلماء، فعمل على تنشيط الحركة العلمية والأدبية وتشجيع أهلها، حتّى صارت القيروان في عهده قبلة لأهل العلم والأدب، ومن كرمه أن قام بإهداء الكثير من الكتب للعلماء والمشايخ[2].

اشتهر الأمير نفسه بالكتابة والتّأليف، له كتاب يسمى "عمدة الكتاب وعدّة ذوي الألباب في صفة الخط والأقلام والمداد واللّياق والحبر والصباغ وآلة التجليد" وهو من أهمّ المؤلفات في فنّ صناعة وتزويق الكتب في الحضارة الإسلامية[3].

واتّبع من بعده الأمير تميم بن المعزّ نهج أبيه في عنايته وتكفّله بالعلماء أمثال العالم الجليل، أبو الحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني، المتخصّص في تدريس النّحو والتّأليف فيه[4].

كما اهتمّ يحيى بن تميم أيضا بالعلوم الدّينية والطبيعية، فقام بإنشاء بيتاً واسكن فيه الطّلبة لدراسة الكيمياء[5].

---

[1]– أيمن عبد اللّطيف، المرجع السابق ،ص 73.

[2]– الدّباغ، المصدر السابق، ص 181؛ أيمن عبد اللّطيف، نفسه، ص 75.

[3]– المعزّ بن باديس الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدّة ذوي الألباب في صفة الخط والأقلام والمداد واللّيق والحبر والأصباغ وآلة التجليد، تح: نجيب مايل الهروي وعصام مكية، د ط، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، 1409هـ، مقدمة المحقق، ص 10؛ أيمن عبد اللّطيف، نفسه ، ص 75.

[4]– ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي، شرح تاريخ طرابلس الغرب المسمى بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، تح: الطاهر الزاوي، د ط، المكتبة السلفية، القاهرة، 1948م، هامش ص 27–29.

[5]– ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 305.

ساهم هذا الدّعم والتّشجيع الّذي تلقّاه العلماء والأدباء.. من طرف أمراء بني زيري في خلق جوّ فكري وعلمي، خفّف على الأقل من وطأة الصّراع المذهبي والسّياسي الّذي عرفته الدّولة الزّيرية وقتئذ.

4 -التطوّر العمراني:

انشغل الإنسان منذ القديم بالبحث عن الأفضل في حياته اليومية، من مأكل وملبس ومسكن، وعدّ التّطور العمراني من مظاهر الإصلاح والحضارة في الدّول والمجتمعات ، وقد عرف مجتمع المغرب الأوسط في عهد بني زيري، حياة الاستقرار والتمدّن والتفنّن في البناء.. فكانت بذلك نهضة عمرانية بقيت بعض أثارها شاهدة على التطوّر الحضاري والعمراني الّذي بلغته الدّولة الزّيرية في ذلك الوقت.

يقول ابن خلدون: "أنّ المدن والأمصار بإفريقية والمغرب قليلة، والسّبب في ذلك أنّ هذه الأقطار كانت للبربر منذ ألاف السّنين قبل الإسلام، وكان عمرانها كلّه بدويا، فلم تكثر مبانيهم، وأيضا فالصّنائع بعيدة عن البربر لأنّهم أعرق في البدو، والصنائع من توابع الحضارة، وإنّما تمّ المباني بها، فلابدّ من الحذق في تعلّمها، فلمّا لم يكن للبربر انتحال لها لم يكن لهم تشوّف إلى المباني فضلاً عن المدن.."[1].

لكن بمجرد أن فتحت البلاد أبوابها للإسلام وما رافقه من حضارة إنشاء للمدن والأمصار، حتّى تغيّرت الأمور وانتقل البربر تدريجيا من حياة البداوة إلى جوّ الحضارة والتمدّن.. فاستقرت النّاس، وبنيّت المدن، وشيّدت القصور والمباني الفخمة..

فعرفت المنطقة إنشاء المدن الكثيرة وإعادة بناء أخرى، كآشير ومليانة وجزائر بني مزغنّة وقلعة بني حمّاد.. وقد كان للبربر حظّ وافر في تشييدها وازدهارها، إذ لم يكن ظهور المدن في بلاد المغرب الأوسط حدثا عفويّا، بل كان لابدّ من توفّر الشّروط

[1] -ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 354؛ طمّار، المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة، ص 145.

الضّرورية لإنشاء مثل هكذا حواضر ، بداية بواجب التّخلّي عن الذّهنية القبلية والانصهار في مجتمع متمدّن و متعدّد العرقيّات، من بربر وعرب وأهل ذمّة.. فبفعل التّغيّر والتطوّر الذي طرأ على الحياة اليومية للنّاس ، من استقرار وثراء وتحسّن للمستوى المعيشي، كان من أسباب انتقال المجتمع من مرحلة البداوة إلى التمدّن[1].

بفضل العناية الكبيرة التي أبداها الأمراء وعمّالهم في عملية البناء وتشيّيد المدن ،أخذت هذه الأخيرة في التطوّر إلى حدّ التّنافس فيما بينها ، من أجل استقطاب النّاس إليها وهو ما زاد من توسّعها وتدفّق الأموال عليها، بفعل النّشاط التّجاري الذي صار يمارس في أسواقها، وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر مدينة المسيلة[2] الّتي صارت قاعدة الزّاب وأهم معاقل المغرب الأوسط، فكانت مركزا تجاريا هاماً، بها أسواق وحمامات ومزارع وبساتين.. تلبّي حاجات سكّانها من حنطة وشعير وخضر وثمار، بل وأنّ الفائض من إنتاجها كان يسوّق نحو القيروان[3].

يقول ابن خلدون في شأن البناء: "البناء واختطاط المنازل إنّما هو من منازع الحضارة الّتي يدعو إليها التّرف والدّعة.."[4].

أمّا مدينة تاهرت، فمنذ أن عقد لزيري بن مناد عليها سنة 349هـ/961م، عمل على توسيعها وعزّز استراتيجيتها، فاستعادت عافيتها ورجعت إلى ما كانت عليه في عهد بني رستم، كما أمر ابنه بلكين بإعادة بناء مدينة جزائر بني مزغنّة الّتي أخذت تستعيد مكانتها بين مدن المغرب، وقد أتى ذكرها عند الجغرافي ابن حوقل: "جزائر بني مزغنّة هي مدينة عليها سور في سيف البحر، وفيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر.. ولها جزيرة في

[1] –جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 342.

[2] –**المسيلة**، مدينة بالمغرب الأوسط، اختطها أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي سنة 315هـ/927م، سمّاها المحمدية باسمه، تولى بناءها علي بن حمدون الأندلسي. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 130.

[3] –طمّار، المرجع السابق، ص 152.

[4] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 426.

البحر على رمية سهم منها تحاذيها ، فإذا نزل بهم عدّو ولجأوا إليها، فكانوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه"[1].

ونفس العناية لقيتها كلّ من مليانة والمدّية من طرف بلكين، فقد تمّ ربط هذه المدن بشبكة من الطّرقات توصلها إلى العاصمة آشير، ومنها إلى مناطق أخرى كمرسى الدّجاج[2] وسوق حمزة[3] وتنس.. وغيرها من المناطق الّتي كانت تحت نفوذه[4].

وفي نهاية القرن الرّابع الهجري قام حمّاد بن بلكين بتشيّيد مدينة القلعة[5] الّتي تعدّ صرحاً عمرانيا وحضاريا نال شهرة واسعة، خاصّة وأنّها صارت فيما بعد عاصمة للدّولة الحمادية[6].

هذه المدن الّتي تمّ ذكرها، معظمها شيّد في العهد الفاطمي بأيدي الزّيريين، وقد ألحقت بهذه المدن منشآت عمرانية كالأسوار، الّتي كان بناؤها أكثر من ضرورة من أجل حماية المدن من أيّ هجوم قد يقع على حين غرّة، خاصّة وأنّ الأسوار والتّحصينات كانت عبارة عن دروع عمرانية برز دورها في صدّ الهجومات وفي مقاومة الحصار[7].

---

[1]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص77، 78.

[2]–**مرسى الدجاج**، تقع بالقرب من آشير، بينها وبين تدلس أربعة وعشرون ميلا وهي مدينة أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وعليها سور منيع على نحر البحر يسكنها الأندلسيون وكذلك قبائل كتامة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 539.

[3] –**سوق حمزة**، وهي مدينة لصنهاجة، عليها سور وخندق وبها عيون عذبة وتقوم هذه المدينة على سهل فسيح يعرف بسهل حمزة الذي نسبت إليه المدينة بناها ونزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين. ينظر: البكري، المصدر السابق، ص ص64، 65.

[4]–طمّار، المرجع السابق ، ص 153–155.

[5]–**لقلعة**، المعروفة بقلعة بني حماد، وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة، بنيت على قمّة جبل تاقربوست، وهي قرب آشير، وبينها وبين بسكرة مرحلتان، وبينها وبين سطيف ثلاث مراحل، وهي قاعدة ملك بن حماد. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 390.

[6]– جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 377.

[7]–نفسه ، ص 377.

إذا كان للفاطميين الفضل في ظهور الدّولة الزّيرية إلى الوجود، وتمكين البربر من حكم أنفسهم بأنفسهم لأوّل مرّة منذ الفتح الإسلامي، مع الإبقاء على تنفيذ الأوامر وإظهار الطّاعة، كذاك كانوا هم السّبب الرّئيسي في سقوط هذه الدّولة أيضا، بعد إرسالهم لموجات بشرية من العرب، كعقوبة للمعزّ بن باريس نظير فعلته...

هؤلاء العرب الذين أزاحوا بني زيري من الوجود، بعد أن قطع المعزّ بن باديس العلاقات ورفض الطّاعة ونبذ المذهب الإسماعيلي، ومن أتى من بعده وسار على دربه من الأمراء الّذين صارت أيّامهم كلّها حروب وفتن، وزادهم القحط الّذي حلّ بإفريقية تعباً على تعب، كما استغّل صاحب صقلية الحالة التي كانت تمرّ بها الدولة، فأرسل أسطوله قاصدًا المهدية، فدخلها من غير مقاومة، بعد أنّ فرّ الحسن بن علي بن يحي بن المعزّ بأهله تاركا البلاد للنّهب بعد أنّ عجزّ عن الدّفاع عنها، وهو ما عجلّ بسقوط ما بقيّ من ملك بني زيري بإفريقية، وبذلك أفل نجمهم وسقطت إمارتهم من خانة التاريخ.

فما يمكن استنتاجه من خلال تناولنا لدولة بني زيري، أنّ قبيلة صنهاجة قد لعبت دورا حاسما في صدّ خطر زناتة على أقاليم الدّولة الفاطمية، كما كان لها الفضل في إنقاذ القيروان ومدن أخرى من قبضة صاحب الحمار الّذي كاد أن يقضي على الفاطميين.. وهو ما خوّلها قيادة بلاد المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، وتمثّلت هذه القيادة في ظهور الدّولة الزّيرية على السّاحة السّياسية لبلاد المغرب على يد بلكين بن زيري الصّنهاجي، الذي عمل على توطيد روابط التّبعية والطّاعة مع أصحاب القاهرة، لكن بوادر الاستقلال والانفصال عن الفاطميين، بدت واضحة مع الأمراء الذين حكموا الدّولة من بعد بلكين بن زيري، إلى أن جاء عهد المعزّ بن باديس الذي شهدت في عهده الدّولة انفصالين مهميّن، فالأوّل كان انفصال الحمّاديين عن الزّيريين ، من خلال انقسام الدّولة الصنهاجية إلى دولتين ، زيرية وعاصمتها القيروان وأخرى حمادية وعاصمتها القلعة.

أمّا الانفصال الثّاني ، فكان بإعلان المعزّ بن باديس الزّيري انفصاله السّياسي والمذهبي عن الدّولة الفاطمية، وهو ما جلب له الكثير من المتاعب خاصّة بعد الغزوّ

الهلالي الذي كانت نتائجه وخيمة على الجميع.. لكن قبل هذا الزّحف، عرفت الدّولة الزّيرية بسط نفوذها السّياسي على أرض الواقع، حيث تمكّن أمراء بنو زيري من دحر تمرّدات الزناتيين خاصّة بعد السّماح لحمّاد بتأسيس دولته التي صارت صدّا منيعا يحمي الدّولة الزّيرية من أيّ هجوم قد يأتي من الجهة الغربية.

لكن هذا لا يعني أنّ حياة الزّيريين كانت كلّها صراعات وحروب، بل كانت حياة عادية مكنّها من إنشاء نظام اقتصادي مزدهر، مثّلت فيه كلّ من الزّراعة والتّجارة مع الصّناعة الحياة الاقتصادية الزّيرية، حيث عرفت البلاد الكثير من المنتجات الزّراعية المتنوّعة، كما شهدت الأسواق إنتشارًا واسعا وتنظيما محكماً، ساعد على تنشيط وازدهار التّجارة، إلى أن صارت البلاد قبلة للتّجار، وبذلك نشطت عملية التّصدير نحو الخارج لفائض الإنتاج خاصّة القمح وزيت الزيتون نحو بلاد المشرق وأوروبا، أدّى هذا إلى تطوّر بعض الصّناعات الّتي عرفتها البلاد كالنّسيج والجلود.. ويعدّ الاقتصاد مصدر مهمّ لتوفير الأموال التي ساهمت في ثراء الدّولة وتمويل الجيش ومشاريع أخرى.

عرف عن بني زيري أنّهم أهل علم وثقافة، حيث أصبحت القيروان في عهدهم تضاهي العواصم الإسلامية الأخرى كقرطبة وبغداد..علما وثقافة، إذ شهدت الحركة العلمية حركية كبيرة، فكانت المناظرات تعقد بين فقهاء الشّيعة وأهل السنّة المالكية.

وهذا راجع للتّشجيع الّذي لقيته الحركة العلمية والأدبية من الطرف الأمراء، إذ لم يبخلوا بجودهم وكرمهم على أهل العلم، حتّى جعلوا من القيروان وجهة علمية تشدّ إليها الرّحال من كلّ الجهات. وبمجيء الهلاليين امتزج بهم البربر، مما ساعد على انتشار اللّغة والثّقافة العربية على نطاق واسع ببلاد المغرب.

كما لاحظنا أيضا أنّ شغف الزّيرين بالجانب العمراني قد بلغ درجة عظيمة ، حيث تمّ إنشاء العديد من المدن، وكانت آشير أشهرهم، إضافة إلى المدّية ومليانة وغيرها من المدن، وقاموا بتمصير مدينة جزائر بني مزغنّة.. كما عرفت الدّولة الزّيرية أيضا تشيّيد

العديد من القصور والمباني الفخمة والفنادق والحمّامات والمساجد.. وهو ما شجع العلماء والأدباء وكذا التّجار والحرفيين على الهجرة إليها والإقامة بها.

كما أسلفنا الذّكر، فقد أدى الصراع داخل البيت الصنهاجي إلى ظهور دولتين إلى الوجود، الأولى زيرية والأخرى حمادية.

فما إن برز حمّاد بن بلكين على مسرح الأحداث واستأنس من نفسه القوّة، حتّى تجلّت رغبته في إقامة دولة مستقلّة عن حكم الزّيريين ورثة الفاطميين على أرض المغرب.

هذه الدّولة التّي بدأت إرهاصاتها منذ بناءه لمدينة القلعة سنة 398هـ/1009م، مروراً بالحركة الانفصالية الّتي قام بها سنة 405هـ/1014م ، بعد المكاسب العسكرية التي حقّقها على حساب الزناتيين من خلال المهمّة التي كلّف بها، فتحقّق له ما كان يصبو إليه، بعد الصّلح الذي أبرمه مع الأمير الزّيري المعزّ بن باديس سنة 408هـ/1017م، والذي يعدّ بمثابة إعلان عن ميلاد الدّولة الجمادية التي كان بودّنا دراستها وإبراز مختلف جوانب الإصلاح فيها ، خاصّة وأنّها كانت تمثل الحيّز الجغرافي للمغرب الأوسط ، لكن ضرورة الإلتزام بالحقبة الزمنية لموضوع الدّراسة ، حال دون إكمال مشروع بحثنا هذا.

ليبقى بذلك باب البحث مفتوحا أمام الأكاديميين و الباحثين، ومن ابتغى إلى ذلك سبيلا.

الخاتمة

الخاتمة:

وخلاصة ما توصلنا إليه من نتائج و استنتاجات، بعد دراستنا لموضوع الإصلاح في المغرب الأوسط من القرن (2 هـ - 6 هـ/8م – 12م)، و نستهلّها بمبرّرات الإصلاح الّتي بادر بها الفاتحون آنذاك، فقد جاءت استجابة لمتطلّبات المجتمع البربري التّوّاق للحرّية والمساواة، والّذي كان يعاني الويلات جرّاء الاستعمار البيزنطي وما انجرّ عنه من تجاوزات، واضطهاد ديني، وتمييز اجتماعي، وتفشّي رهيب للفساد، إضافة إلى الوثنية وسيطرة الخرافات..

غير أنّ انتشار الدّين الإسلامي على هذه الرّقعة الجغرافية، وما رافقه من إصلاحات غيّر من سلوك المجتمع البربري، وارتقى به نحو الأفضل.

– فبداية الإصلاحات خلال فترة الفتوحات، لم تكن واضحة على أرض الواقع بسبب اختلاطها بالعمل العسكري، حتّى وإن عدّ هذا الأخير في حدّ ذاته وسيلة من وسائل التّمكين للإصلاح، بعد أن فشلت الطّرق الأخرى، كالدّعوة.. أمام تعنّت ومقاومة القبائل الرّافضة للفتح الاسلامي.

لكن رغم ذلك، فإنّ جهود الفاتحين لم تقف أمامها قوّة البيزنطيين، ولا صلابة البربر خاصّة بعد أن أسّس لهم عقبة بن نافع قاعدة القيروان، الّتي صارت مركزاً لانطلاق حملات الفتح من جهة، وعاصمة تدار منها شؤون بلاد المغرب من جهة أخرى ، حيث مكّن هذا الفتح من تخليص أهل المغرب من سيطرة البيزنطيين، وإدخالهم في كنف الدّولة الإسلامية.

وبعدها انتشر الإسلام في هذه الرّقعة الجغرافية الممتدة من غرب الإسكندرية إلى بحر الظلمات، في مدّة استغرقت حوالي سبعين سنة، ليعرف بعدها طريقه نحو أجزاء من أوروبا المسيحية عن طريق الأندلس الّتي أسّس فيها المسلمون حضارة قلّ نظيرها.

– كان للوّلاة الأمويّون والعباسيّون إسهامات إصلاحية مشهودة، فقد بذلوا ما في وسعهم للحفاظ على الأمن والاستقرار في ربوع البلاد، خاصّة وأنّ فترة حكمهم رافقتها موجة من الاضطرابات، قام بها البربر ردّاً على السّياسة التّعسّفية لبعض الولاّة، لكن هذا لا يعني أنّ هؤلاء الولاّة قد غفلوا عن القيّام بما من شأنه أن ينفع المجتمع ، من تنظيم الشّأن الدّاخلي للبلاد ونشر العدل والمساواة بين النّاس.. وهو ما لمسانه في سياسة اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، إذ حرص على تطبيق سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز الإصلاحية المتعلّقة بالجانب المالي والثّقافي والاجتماعي على حدّ سواء، حيث ساهمت البعثة العمرية بدورها المنوط بها في تفقيه النّاس أمور دينهم.. فكان لإصلاحاته هذه أثرها الإيجابي على البلاد والعباد معا.

كما توّجت سياسة عبيد الله بن الحبحاب البحرية، بإنشائه دار لصناعة المراكب البحرية على اختلاف أنواعها، من أجل تقويّة الأسطول البحري لحماية سواحل البلاد وتدعيم سياسة الغزو البحري، وهو ما ساهم في تنمية الموارد المالية لبلاد والمغرب.

إنّ سياسة ولاّة بني أميّة لم تكن مثالية، بل تخلّلتها الكثير من التّجاوزات الّتي ارتكبها بعض الولاّة، كالضّرائب الفاحشة والسّبي الّذي أرهق أهل البلاد، وهو ما كان سببا في ظهور موجة من التّمردات والثورات.. كما كان لهذه السّياسية أيضا، دورها في ظهور حركة الخوارج بصفريّتها وإباضيّتها.

– وبحلول فترة حكم ولاّة بني العبّاس، واصل هؤلاء الولاّة اتّباع سياسة أمنية، تمثّلت أساسا في القضاء على الفتن والثّورات، الأمر الذي عطّل قليلاً الجانب الإصلاحي ولو إلى حين، حيث كان اهتمامهم الأوّل، السّيطرة على الوضع وتثبيت أقدام الدّولة العبّاسية على هذا الإقليم من العالم الإسلامي، خصوصا بعد أنّ خرجت بلاد الأندلس عن حكمهم.

حرص ولاّة بنو العبّاس على تجنّب الأخطاء الّتي وقع فيها الأمويّون، في محاولة منهم لتقديم البديل الأفضل، من أجل كسب ودّ وتأييد أهل المغرب.

فنجد أنّ يزيد بن حاتم بن قبيصة، قد حاول جاهدًا القيّام بواجبه الإصلاحي بإزالة الفساد من البلاد، فكانت لمسته الإصلاحية واضحة في المجال القضائي، و هو ما ساعد على انتشار العدل بين النّاس، وذلك باختياره للأجدر والأنسب لمهمّة القضاء، من ذوي الورع والزّهد والصلاح.

بالرّغم من الجهود التي بذلها ولاّة بنو العبّاس ، لإقرار الأمن والاستقرار واسترجاع ثقة أهل البلاد، إلاّ أنّ ذلك لم يكن كافيا، فالسّياسة التّعسّفية للولاّة الأمويّين وحتّى العبّاسيين منهم حالت دون تحسين الأوضاع، كما كان للدّعوة الخارجية أثرها الواضح في بروز الدّويلات المستقلّة من بينها الدّولة الرّستمية، الّتي تأسّست على يد إمامها الأوّل عبد الرحمن بن رستم سنة 160 هـ/ 771م.

– هذه الدّولة التي كان أساسها الشّورى والإصلاح، بلغت فيه البلاد درجة كبيرة من التّقدم والرّقيّ، والفضل في ذلك يعود للسّياسة الرّشيدة التي اتّبعها الأئمة الرّستميون، بدءاً بعبد الرحمن بن رستم، هذا الأخير الّذي عرف بالزّهد والصلاح، لم تقف أمامه الصّعوبات في سبيل خدمة دولته، ومن بعده جاء ابنه عبد الوهاب صاحب الجهود الإصلاحية الواسعة، رغم المشاكل الأمنية الّتي واجهته عند بداية تولّيه الحكم، لكنّه استطاع تجاوزها بالقضاء على رؤوس الفتنة والانشقاق.

عرفت البلاد في عهده تطوّرا ملحوظا على جميع الأصعدة، وبوفاته تولّى ابنه أفلح مقاليد الحكم، و كان لسياسته الرّشيدة أثرها الإيجابي على بلاد المغرب الأوسط ، حيث واصل مسيرة الإصلاحات الّتي بدأها أبوه وجدّه ، فارتقى بدولته إلى مستوى أفضل، فربط علاقات سياسية وأخرى تجارية مع العديد من الدّول المجاورة له والبعيدة عنه.

ليأتي دور ابنه أبو اليقضان مكان أخيه أبي بكر، هذا الأخير لم يكن في مستوى هذه المكانة.. عندها شمّر أبو اليقضان على ساعديه ، وأظهر من الكفاءة والدّهاء والإخلاص ما جعل منه رجل المرحلة المناسب، حيث أعاد الأمن والاستقرار إلى البلاد بعد أن فقدته طويلاً، فبدأ عهداً جديداً بإصلاح ما أفسدته الحروب ، فازدهرت الدّولة وعظمت ثروتها.

توّجت هذه الإصلاحات باسترجاع الدّولة الرّستمية لقوّتها وهيبتها بين الدّول، حتّى شبّه البعض عهد أبي اليقضان بعهد جدّه عبد الرحمن بن رستم.

وبوفاته تداعت الدّولة للضّعف والتفكّك بسبب الفتن و الانشقاقات الدّاخلية وضعف حكّامها، ممّا جعلها لقمة صائغة في أيدي الفاطميين.

– فما إن سقطت دولة الرّستميين سنة 296هـ /909م حتّى قامت على أنقاضها دولة الفاطميين، الّتي أزالت جميع الدّويلات القائمة ببلاد المغرب، كما يعتبر ظهور هذه الدّولة على أرض المغرب في حدّ ذاته، منطلقا لمشروع سياسي ومذهبي مليء بالأحداث.

فبعد نجاح الدّاعي أبو عبد الله الشّيعي في مهمّته الدّعوية، ظهر الإمام عبيد الله المهدي على المسرح السّياسي للدّولة، وشرع في إعداد نظام سياسي يتماشى وظروف المرحلة السائدة آنذاك، دون الإخلال بمبادئ المذهب الإسماعيلي.

فقد أبقى على الهياكل الإدارية الّتي كان يرى فيها منفعة لدولته الفتّية، منها تلك الموروثة عن دولة الأغالبة، مع إدخال بعض التّشريعات الجديدة التي مسّت الجوانب السّياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.. هذه التّشريعات كانت تتغيّر كلّما اعتلى إمام جديد سدّة الحكم، وقد حقّقت السّياسة الفاطمية ببلاد المغرب نجاحاً كبيراً، بفضل بقاء السّلطة بيد الأئمّة.

اتّخذ الفاطميون من بني زيري الصّنهاجيين حلفاء لهم، وقرّبوهم إليهم، فما كان من هؤلاء الزّيريين، إلاّ أن انقذوا الدّولة الفاطمية من خطر السّقوط بيد صاحب الحمار، الّذي حاصر المهدية سنة 334هـ/ 942 م، وكاد أن يقضي على ملكهم.

وأهمّ ما شهده العهد الفاطمي من إنجازات على أرض المغرب، هو الإصلاح المالي الّذي عرف تنظيما كبيرا مسّ بيت المال وتغيّير العملة، وهو ما أقرّ السّيادة المالية الفاطمية على أرض المغرب.

مكّن الإصلاح العسكري الفاطميين من بسط نفوذهم على الأرض، كما ساهم في فتح أجزاء أخرى من العالم الإسلامي، كمصر، والشام وبعض جزر البحر المتوسط، ممّا أدّى إلى اتّساع رقعة الدّولة الفاطمية شرقا وغرباً، وهو ما يبرز الأبعاد الّتي كانت تهدف إليها السّياسة الفاطمية.

رافق تلك الانجازات والإصلاحات الفاطمية تجاوزات خطيرة، ولّدت موجات من الغضب لدى المعارضة، الّتي انتهجت عدّة أساليب لمواجهة هذه التّجاوزات ووضع حدّ لها، حتّى وصل بها الحال إلى المواجهة المسلّحة ، وقد بادر بها مخلّد بن كيداد الخارجي وأيّده في ذلك ثلّة من علماء وفقهاء المالكية.

وقد كبّدت هذه الثّورة الفاطميين خسائر فادحة في الأموال والأرواح، أظهر فيها العلماء والفقهاء المالكية والخارجية دورهم الكبير في حشد النّاس، وفضح عقيدة الشّيعة الإسماعيلية، وهو ما جلب لهذه الثّورة الكثير من الأنصار والمؤيّدين وساهم في استمرارها لمدّة طويلة، بقيت أثارها إلى وقت رحيل الفاطميين إلى مصر تاركين بلاد المغرب تحت حكم بني زيري الصّنهاجيين حلفاء الأمس.

– اجتهد أمراء بنو زيري كثيرا، وبذلوا النّفس والنّفيس من أجل خدمة بلادهم، وقد اختلفت أعمالهم الإصلاحية من أمير إلى أخر، حسب الرّؤية السّياسية لكلّ واحد منهم.

فمنهم من عمل على إدخال إصلاحات على شتّى الميادين، مع البقاء تحت وصاية الفاطميين، لأنّه رأى في الخروج عنهم سببا في جلب المتاعب له ولدولته، بينما رأى البعض الأخر، أنّ العمل تحت وصاية الفاطميين، يعدّ تقييّدا وعائقا أمام تحقيق مشاريعه الإصلاحية، فبادر منذ البداية إلى التخلّص من وصايتهم، بتلميحه للإستقلال أو بالانفصال التّام عنهم، وهو ما حدث مع المعزّ بن باديس، الّذي شهدت البلاد في عهده تحوّلاً جذريا في سياستها اتّجاه الفاطميين من خلال إعلانه القطيعة السّياسية والمذهبية والتّمكين للمذهب السنّي المالكي على أرض المغرب، حيث جعل منه المذهب الرّسمي للدّولة، ويعدّ ذلك محاكاة للحمّاديين الّذين أعلنوا قطيعتهم السّياسية والمذهبية مع الفاطميين منذ سنة 405 هـ/1014م.

– كان أثر الإصلاح على دوّل ومجتمع المغرب الأوسط بالغاً، إذ قامت على أرضه دولاً استطاعت أن تترك بصمتها الحضارية في مسار تاريخ المغرب الأوسط، كما مكّنت هذه الإصلاحات الّتي كان في الكثير من الأحيان منطلقها قيّم الدّين الإسلامي، من إخراج مجتمع المغرب الأوسط من ضيق القبيلة إلى فضاء الدّولة، الّذي تنصهر فيه النّعرات وتذوب فيها الفوارق.

– حقّقت هذه الإصلاحات إلى حدّ بعيد الأهداف المرجوّة منها ، بغضّ النّظر عن بعض الإخفاقات الّتي أحاطت بها، كون العمل الإصلاحي يعدّ نتاج اجتهاد الإنسان الذي لا يخلو من العيوب والأخطاء، لكنّه في نفس الوقت يعبّر عن النّية الحسنة لحكام وولاّة وعمّال من جهة، وعن مدى النّضج والتّطور الذي بلغه المجتمع في تلك الفترة من جهة أخرى.

الملاحق

(المحلق رقم 01): أسباب ظهور الحركة الخارجية بالمغرب.

« لم يزل أهل إفريقية، من أطوع أهل البلد، وأسمعهم إلى زمان هشام، حيث دبّ إليهم أهل العراق، فاستثاروهم، وشقّوا العصا، وفرّقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الائمّة بما تجنى العمّال. فقالوا لهم: إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا: حتى تخبرهم. فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلا فقدموا على هشام، فلم يؤذن لهم فدخلوا على الأبرش فقالوا: أبلغ أمير المؤمنين، إنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنمنا نفلهم، ويقول: هذا أخلص لجهادكم، وإذا حاصرنا مدينة، قدّمنا وأخّرهم، يقول: هذا ازدياد في الأجر، ومثّلنا كفى إخوانه، ثم أنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها ويطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد، فاحتملنا ذلك، ثمّ إنّهم سامونا، أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة ونحن مسلمون فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا ؟ فطال عليهم المقام، ونفذت نفقاتهم فكتبوا أسماءهم ودفعوها إلى وزرائه، وقالوا: إن سأل أمير المؤمنين فأخبروه، ثمّ رجعوا إلى إفريقية فخرجوا على عامل هشام وقتلوه، واستولوا على إفريقية، وبلغ الخبر هشاما فسأل عن النّفر فعرف أسماءهم فإذا هم الّذين صنعوا ذلك».

المصدر: لقبال، المغرب الإسلامي، ص 179.

(الملحق رقم 02): رسالة حنظلة بن صفوان إلى أهل طنجة.

«أما بعد فانّ أهل العلم بالله وبكتابه، وسنّة نبيّه محمد (ص) قالوا أنّه يرجع جميع ما أنزل الله عزّ وجلّ إلى عشر آيات: آمرة، وزاجرة ومبشّرة، ومنذرة ومخبرة، ومحكمة، ومتشابهة، وحلال وحرام، وأمثال. فآمرة بالمعروف، وزاجرة عن المنكر، ومبشّرة بالجنّة. ومنذرة من النّار، ومخبرة بخبر الأوّلين والآخرين، ومحكمة يعمل بها، ومتشابهة يؤمن بها، وحلال أمر أن يؤتى، وحرام أمر ان يجتنب، وأمثال واعظة، فمن يطع الآمرة، وتزجره الزّاجرة، فقد استبشر بالمبشرة، وأنذرته المنذرة، ومن يحلّل الحلال، ويحرّم الحرام، ويروا العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله مع طاعة واضحة، وثقة صالحة فقد أفلح ونجح وحي حياة الدّنيا والآخرة، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

المصدر:المالكي، رياض النّفوس، ج 1، ص 67.

(الملحق رقم 03): الحسبة واسطة بين القضاء، وولاية المظالم.

قال أبو عبد الله العقباني في شأن الحسبة: « فولاية الحسبة هذه واسطة بين أحكام القضاء، وأحكام المظالم، فاما ما بينها وبين القضاء فهي موافقة لاحكام القضاء من وجهين، ومقصرة عنه من وجهين، فاما الوجهان في موافقتها، لاحكام القضاء فأحدهما: جواز الاستعداء إليه، وسماعه دعوى المستدعى عليه في حقوق الآدميين وليس هذا على عموم الدعاوي، انما يختص بثلاثة أنواع من الدعاوي، أحدها ان تكون فيما تعلق ببخس وتظفيف، في كيل ووزن، والثاني فيما يتعلق بغش أو تدليس في بيع أو ثمن، والثالث ما تعلق بمطل، وتأخير لدين مستحق مع القدرة على أدائه، وانما جاز نظره في هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوي دون ما عداها من سائر الدعاوي، لتعلقها بمنكر ظاهر، هو منصوب لأزالته، واختصاصها بمعروف بين هو منصوب الى اقامته ؛ لان موضع الحسبة الزام الحقوق، والمعونة على استيفائها، وليس للناظر فيها ان يتجاوز على الحكم الناجز، والفصل البات، فهذا أحد وجهي المخالفة والوجه الثاني ان له الزام المدعى عليه الخروج عنها ودفعها الى مستحقها لأن في تأخيره لها منكراً هو منصوب لأزالته، وأما الوجهان في قصورها عن سماع عمومالدعاوي الخارجة عن ظواهر المنكرات، من الدعاوي في العقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات، فلا يجوز ان يبتدئي بسماع الدعوى، الا ان يرد ذلك اليه بنص صريح مزيد على اطلاق الحسبة – فيجوز ويصير لهذه الزيادة جامعا بين قضاء وحسبة، فيرعى فيه ان يكون من أهل الاجتهاد، وان اقتصر به على مطلق الحسبة فالقضاء والحكام بالنظر أحق فهذا وجه، والوجه الثاني: أنها مقصورة على الحقوق المعترف بها، فاما ما يدخله التجاحد والتناكر، فلا يجوز النظر فيها، لأن الحكم يقف على سماع بينة، وإحلاف يمين، ولا يجوز للمحتسب ان يسمع بينة على اثبات حق ولا يحلف يمينا على نفي حق، والقضاء والحكام في سماع البينات واحلاف الخصوم أحق – وأما الوجهان في زيادتها على أحكام القضاة فأحدهما أنه يجوز للناظر فيها ان يتعرض

بتصفح ما يأمر به من المعروف وينهى عنه من المنكر، وان لم يحضره حصم مستعد وليس للقاضي ان يتعرض لذلك الا بحضور خصم،، والثاني ان للناظر في الحسبة من سلاطة السلطنة، فيما يتعلق بالمنكرات ما ليس للقضاة، لان الحسبة موضوعة على الرهبة، والقضاء موضوع للمناصفة فهو بالاناة والوقار أخص، وأما ما بين الحسبة المظالم فبينهما شبه مؤتلف، وفرق مختلفا فأما النسب الجامع بينهما فمن وجهين أحدهما ان كلا منهما موضوعة على الرهبة وسلاطة السلطنة، وقول الصرامة، والثاني جوار التعرض فيهما لأسباب المصالح والتطلع على انكار العدوان الظاهر، وأما الفرق بينهما فمن وجهين، لأن النظر في المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة، والنظر في الحسبة، موضوع لما رفه عنه القضاة، ولذلك كانت رتبة المظالم أعلى ورتبة الحسبة أخفض و جاز لوالي المظالم ان يوقع الى القضاة والمحتسبة، ولم يجز للقاضي أن يوقع الى والي المظالم وجاز له ان يوقع الى المحتسب، ولم يجز للمحتسب ان يوقع الى واحد منهما، فهذا فرق، والثاني أنه يجوز لوالي المظالم ان يحكم، ولا يجوز لوالي الحسبة ان يحكم» .

المصدر: أبو عبد الله العقباني التلمساني، تحفة النّاظر وغنية الذّاكر في حفظ الشّعائر وتغيير المناكر، ص178–180، ينظر: موسى لقبال ، المغرب الإسلامي، ص ص 184،185.

(الملحق رقم 04): جواب الإمام أفلح بشأن نفات.

« من أفلح بن عبد الوهاب إلى ميال بن يوسف، يقرأه على من بحضرته ويوجهه إلى كل من يرى توجيهه إليه، أما بعد: فالحمد لله المحسن إلى أوليائه المنعم عليهم بحسن بلائه، معز أهل طاعته وناصر القائمين بحقه، فليس من اتبع أمره بمخذول، أحمده على ما أنعم به علينا، وأحسن فيه إلينا حمداً أبلغ به رضاءه وأستوجب به المزيد إنه قدير، انتهى إلي الكتاب الذي كتب به اليك، تحية ابن عبدين، فقرأته وفهمت كل ما ذكره لك فيه عن كل خائب جاهل، بما هو عليه متحامل على مالا علم له به، متخبط في أموره خبط عشواء، لم يبلغ العلماء فيقتبس منهم، ولم يصحب أهل الورع فتحجزه آثارهم عن الهجوم على مالا علم له به، لكنه نشأ وحيداً، وأقام متوحشاً من العلماء، فتقلب في جوانحه الشيطان بنفخاته، فأورثه الكبر، وعظم عليه الوقوف دون مالا يعلم، حتى يعلم، فهجم على مالا يحل له، فكل شيء خطر على قلبه تكلم به مصيباً كان أو مخطئاً.

وما أصابه من شيء على غير علم فاصابته خطأ اذ تكلم بما لا علم له به، وما اصابه من خطأ، فهو مخطئ فيه، فهو يتردد في ! الخطأ، ان أصاب لم يدر، وان أخطأ لم يدر فهو راكب مشكلات يخبط خبط عشواء، كحاطب ليل لا يدري ما يحطب، ولعله يحتطب ما فيه حتفه، أو حية تأتي على نفسه فنعوذ بالله من الفتنة، ومن السلوك على منهاج ذلك الرجل، لقد كان ومن مضى قبلكم من المسلمين لا يدعون مثل هذا يدخل مجالسهم، ولا يشهد جماعتهم، وكان عندهم مقصياً مبعداً مدحورا، يهجرونه ولا يجالسونه، حتى يرجع الى سنة المسلمين، وانتم محقوقون باتباع آثار سلفكم والسلوك على منهاجهم، وان تفعلو بهذا التائه المتخبط ما كان يفعله سلفكم بمن كان قبله لكي ينزجر من أراد الله به خيراً وينتبه غيره ممن يخاف عليه الاقتداء به، واتباعه ولا تظهر سنن أهل البدع ولا تقوم للشيطان دعوة وأنا مبدئ لكم ما ذكره وراد عليه ضلالته، ثم شرع في الرد عليه، وفي ابطال مسائلة التي انتحل فيها الخلاف للمسلمين بحجج واضحة، وبراهين قاطعة، وهي رسالة طويلة، فاطلبها في غير هذا» .

المصدر: سليمان باشا الباروني، الأزهار الرّياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ص ص 253 ، 254 .

(الملحق رقم 05): نصيحة أبي اليقضان لرعيّته.

{ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم}.

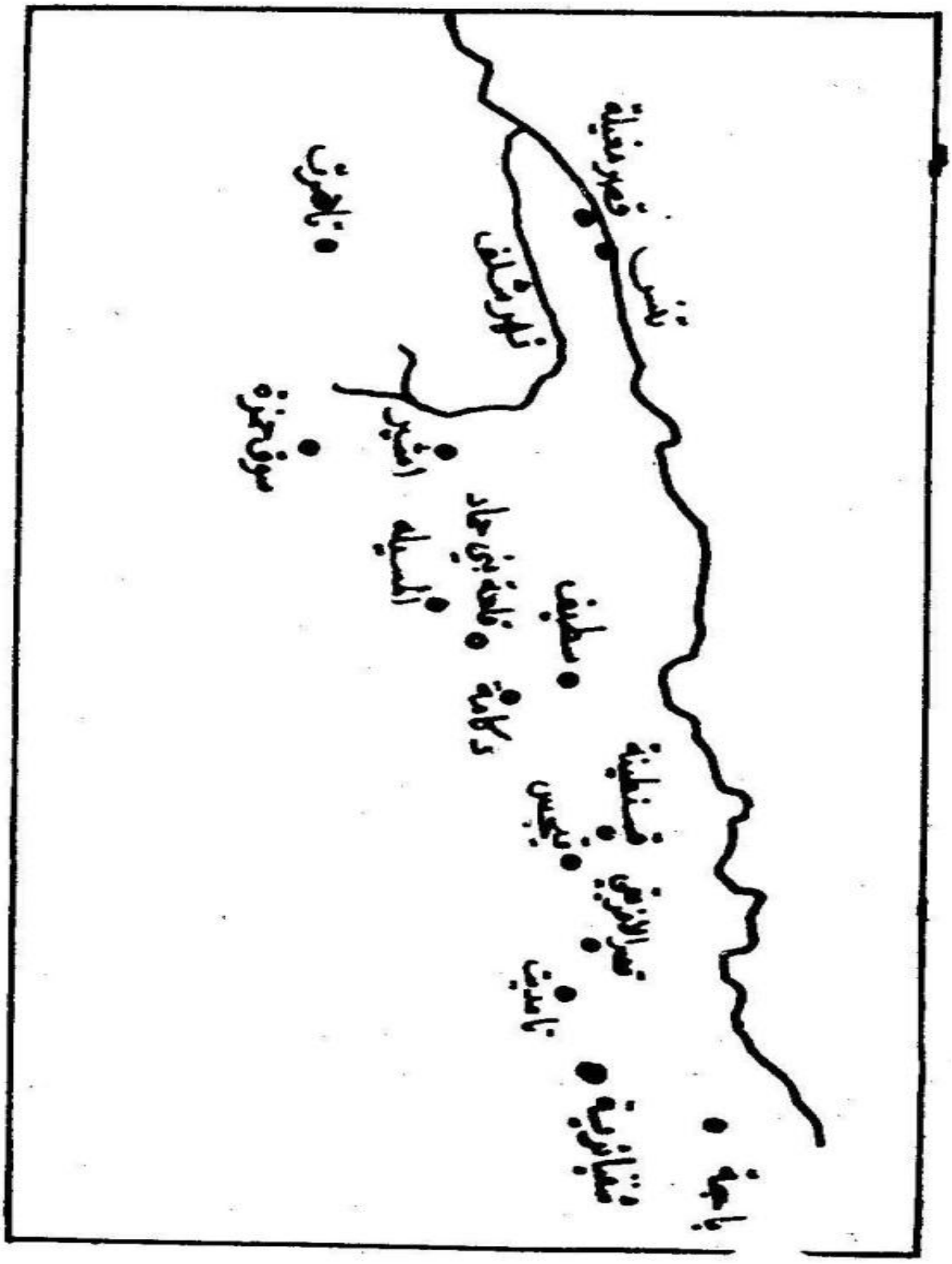
« من محمد بن أفلح إلى جميع من بلغه كتابنا من المسلمين، سلام عليكم وإنّى أحمد الله الذى لا إله إلا هو وأسأله الصلاة على نبي الرحمة وهادي الأمة –صلى الله عليه وسلم– أما بعد: « فإن أفضل ما يتواصى به العباد ويتحاضوا عليه تقوى الله تعالى ولزوم طاعته والزجر عن معصيته والترغيب فيما يورث الثواب من القول الطيب والعمل الصالح، وعليكم معاشر المسلمين بالتهيء للقدوم على الله والتأهب والاستعداد ليوم تشخص فيه الأبصار وتتغير فيه الألوان ويشيب فيه الولدان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، واعلموا رحمكم الله أن أهل العلم بالله القائمين بهذه الدعوة قد انقرضوا وقلت الخلوف منهم فرحم الله امرءا مسلما احتسب بنفسه وأرصدها الله فى طلب العلم والنقض على من حاد الله وعدل عن منهاج رسول –**صلى الله عليه وسلم**– وضاد المحقين من عباده حتى تكون كلمة من العليا والباطل زهوقا، وعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضي أسلافكم والمتقدمين من أئمتكم الصالحين من أهل دعوتكم فاقتفوا آثارهم واهتدوا بهداهم واحذروا الزيغ عن طريقهم والميل عن منهجهم، وخالفوا أهل البدع المضلة والأهواء المزلة ممن أراد أن يبدل دينكم ويلبسكم شيعا ويلبس عليكم أمركم ممن اتبع هواه واستحوذ عليه الشيطان ونبذ ما جاء به القرآن فألبس على الضعفاء أمرهم وزين بدعته في قلوبهم فخدع من لا بصيرة له ولا علم بما مضى الأئمة الراشدون، رحمة الله عليهم والسلف الصالحون من أهل دعوتكم فأضل كثيرا وضل عن سواء السبيل وقد ذكرنا لكم ما فيه الكفاية إن شاء الله وبه نستعين وعليه تتوكل وما توفيقنا إلا بالله » .

المصدر:عيسى الحريري، الدّولة لرّستمية ، ص253.

(الملحق رقم 08):المناطق التي شملتها ثورة صاحب الحمار.



(الملحق رقم 09):خريطة توضح مناطق النّزاع بين باديس وحمّاد.



المصدر: بورويبة،المرجع السابق، ص29.

الفهارس

1- فهرس الأعلام:

اسم العلم	الصفحة	اسم العلم	الصفحة
" أ "			
أبو عبد الله القيسمي الغزناطي	90	ابن خلدون	33، 172، 179، 188
إبراهيم بحاز	101، 260	ابن عذاري	152، 176
ابن جميل	82	أبو جعفر المنصور	75 80 81
أبو خالد عبد الرحمن بن زايد	84	ابن الصغير	10، 105، 110، 113 116، 119، 127
أبو يزيد رباح اللخمي	85	إبراهيم ابن الحكم	31
أبو الخطاب	89	الإدريسي	30 31 131 181 207 210 211 213 215 225 232
أفلح بن عبد الوهاب	116، 120، 122، 124، 133	أو المهاجر دينار	38 41 42
		ابن الأثير	8 48 56
إسماعيل بن عبيد الله ابن المهاجر	72	أبو عبد الله الشيعي	130 134 136 147 246
ابن حوشب	136	إبراهيم بن غالب المزاني	134
ابن الرحيل	122	أبو بكر الصديق	101
أبو عبد الرحمن بن بكر بن حماد	119	ابن يانس	115
		أبو حسين الأبدلائي	115
أبو سفيان	36 115	ابن محبوب	115

أبو اليقضان	120 123 124 126 247	أبو العباس	118
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ	124	إلياس أبو المنصور	125
ابن أبي خنزير	138	إبراهيم بن محمد اليماني	138
ابن قرهب	138	إبراهيم بن محمد الشيباني	139
أبي اليسر	139	أبو جعفر محمد بن أحمد الهارون	140
ابن المرورذي	141		
أبو الطاهر إسماعيل المنصور	140	أفلح بن هارون الملوسي	141
ابن أبي المنهال	141	ابن هاشم	161 141
أبو بكر القمودي	144 157	أبو جعفر الخرزي	145
أبي يزيد مخلد بن كيداد	158	أبو يوسف جبلة	156
أبو إسحاق السبائي	156	أبو العرب بن تميم	156
أبو عبد المالك مروان بن نصروان	156	أبو سليمان ربيع القطان	156
		أبو بكر القمودي	239
أبي الفهم	169	أبو عثمان سعيد بن محمد الحداد	157
أبو القاسم الفزازي	158	أبو الفضل العباس بن عيسى	159
أبي البهار	168 175	ابن هذيل	160
أبي حامد الغزالي	239	أيوب بن يطوفت	172

أبي الفرج	169 239	ابن النحوي	239
أبي القاسم الجرجاني	177	أبو الفضل الدمشقي	182
ابن رشيق	7 188 239	ابن شرف	7 188
إبراهيم النهشلي	188	ابن البعبع	221
أبي الحسن بن أبي الرجال	189	أبي الحسن علي بن حمدون الأندلسي	188
محمد بن علي بن جعفر	238	أبو بكر بن أبي الفتوح	207
أبو حسن علي بن حمدون بن ثابت الخولاني	190	أبو عبد الله محمد الكاتب	239
أبو عبد الله بن محمد بن أبي الفرج	239	أبو عبد الله بن علي بن عبادة القلعي	238
" **ب** "			
بلقيس	22	البكري	11 32 87 110 150 151 197 208 212
بشر بن فلان	57	بشر بن صفوان	72
البغدادي	138 139 140	بلكين بن زيري	165 166 186 193 195 224
باديس بن المنصور	169		
" **ج** "			
جورج مارسيه	63	جوهر الصقلي	139 145 148 163 165
الجاحظ	141 238	جوذر	145 147

جعفر بن علي بن حمدون	166		
" ح "			
حسان بن النعمان	4 36 45 51 55 64 83 244	حسن بن عبد الله الصناعي	52
حسين مؤنس	63 65 68	الحر بن عبد الرحمن الثقفي	69
حنظلة بن صفوان	5 76 78 79	الحلواني	130
حسن العيدروس	135 136	الحاكم بأمر الله	169
حماد بن بلكين	192 195 196 197 203 236 237 239249	حمّاد بن يوسف بن زيري	225
" خ "			
خالد بن يزيد	48	خليل بن اسحاق	151
خلف بن أبي حيدرة	206		
" د "			
الدباغ	51 183	الدرجيني	10 109
دواس بن صولات	133 137		
" ر "			
الرّسول– صلى اللّه عليه وسلّم –	21 23 26 27 28 42 131 136 153 159 182 183 221	ربعي بن عامر	66
		الربيع ابن حبيب	100
" ز "			
زرارة بن أحمد	140	زيري بن مناد	161 165 166 179 185 191 195 249
زيادة الله	142	زهير بن قيس	39

		البلوي	
الزهري	42	زيد بن ثابت	100
" **س** "			
سعيد بن خزرون	168	سليمان بن عبد الملك	69 67
سالم بن أبي راشد	137	سعد زغلول	144 138 12
سيّدنا سليمان	141 22		
" **ش** "			
شعيب	26 20 19 17		
" **ص** "			
صاحب الحمار	247 193 161 158 146		
" **ط** "			
الطبري	30	طارق بن زياد	59 58
" **ع** "			
عبد الرحمان بن رافع التنوخي	64	عمر بن عبد العزيز	244 75 70 68 67 66
عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة	71	علي بن أبي طالب	100 30
عياش بن أخيل	57	عتبة	30
عمر بن العاص	30	عقبة بن نافع	44 41 40 39 37 36 4 244 243 221 95 5564
عمر بن الخطاب	96 38 24	عبد المالك بن مروان	218 53
عروس المؤذن	159	عبد الله محمد بن عبد الله السدري	159

عبد الله بن محمد الكاتب	168	عنبسة بن سحيم	72
عبيدة بن عبد الرحمن السلمي	73	عبيد الله بن الحبحاب	244
عكاشة الصفري	76	عمر بن عبد الله المرادي	74
عبد الواحد بن يزيد الهواري	76	عبد الرحمان بن حبيب	5 79
عبد الرحمن بن زياد	82	عبد الله بن فروخ الفارسي	82
عبد الرحمن بن رستم	88 89 91 92 94 96 97 101 103 123 246	عبد الوهاب بن عبد الرحمن	96 246
عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب	101	عبد العزيز بن الأوز	116
عبيد الله المهدي	5 131 133 134 135 139 146 150 156 159 187 247	العباس بن أحمد بن طولون	124
عبد الله بن محمد بن القديم	139	عبدون بن حباسة الكتامي	144
" ف "			
فاطمة الزهراء	129		
" ق "			
قيصر	53	قاسم بن أصبغ	115

القاضي النعمان	9 140 141 142	الإباضي	
القائم بأمر الله	135 136 146 149 175	القائد بن حمّاد	199
" ك "			
كسيلة	36 42	الكاهنة	47 48 51 52
كلثوم بن عياض	71 76		
" ل "			
لوط	26	الليث بن سعد	76
لبيب	105		
" م "			
مدين	17 19 20	المقريزي	165
المنصور بن بلكين	168 169	موسى بن أبي العافية	185
المقدسي	31		
معاوية بن أبي سفيان	30 37	موسى بن نصير	5 36 40 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 69 74 244
معاوية بن حديج	31 37		
موسى بن أبي خالد	74	موسى لقبال	11 44 74
المعز بن باديس	170 172 174 182 188 193 197 198 200 204206 226 248	محمد بن يزيد القرشي	69 77
		محمد بن الأشعث	81 136
		المعز لدين الله	5 135 141 145 148 160163 165 166 169 187
محمد بن يحي بن عبد الأعلى المروزي	137	محمد بن حسين	170
		مبارك الميلي	10 89

مدرار بن إلياس	91	مسعود الأندلسي	96 97 98
معاذ بن جبل	100	محمد بن سلام	113
المهدي النفوسي	116	محكم الهواري	117
محمد بن عرفة	121	محمود بن الوليد	121
محمد بن بكر	125	محمد ابن عمران النفطي	140
المنصور بن الناصر بن علناس	221 250	ماغون القرطاجي	178
		محمد بن هاني	187
" **ن** "			
نزّار الفاطمي	168	النويري	170 173 227
النّاصر بن علنّاس	219 233		
" **هـ** "			
هلال بن ثروان	45	هشام بن عبد الملك	73 76
" **ي** "			
يوسف بن تاشفين	204 205	يوسف	
يوليان	59	يحي بن سلمة الكلبي	72
يزيد بن حاتم بن قبيصة	5 81 345	يزيد بن عبد الملك	72
يزيد بن فندين	97	يحي معمر	118
اليسع بن مدرار	133	يطوفت	167 169
يزيد بن الطفيل التجيني	82		

2- فهرس الأماكن والبلدان والدوّل:

اسم (المكان- البلد-الدّولة)	الصّفحة	اسم (المكان- البلد-الدّولة)	الصّفحة
" أ "			
أودغست	77	الأغالبة	84 85 100 107 122 123 128 130 136 137 150 245
الأدارسة	86 87 103	إيكجان	132
الإسكندرية	147 241	إيطاليا	150 240
أوروبا	5 59 192 200 203 235 240 243	آشير	20 164 165 167 179 182 185 185186 190 192 194 195 198 199 200 225
إيغلي	40	أغمات	62
إشبيلية	64 69 217	إسبانيا	64
الأصنام	75		
" ب "			
بني غمارة	185	برغواطة	186
بني هلال	202 219	بجاية	8 33 34 87 188 198 200 207 208 210 212 211 212 216 220 221 220 223 230 231 233 235 238 239 240 241 249 250 258
بغاية	207		
البحر الشامي	32		
بلزمة	198		
بحر الظلمات	32 241		
برشك	33		
البحر المحيط	34 40	البحر	72 74 87 102 152 248

		المتوسط	
برقة	51	بني ونيف	102
بدر	76	بني مدرار	133
بغداد	114 116 119 120 122 129 138 139 140 176 194 220	بونة	151 207 208 210 211 212 214 231 239
بلرم	151	بسكرة	179 200 206 208
" ت "			
تلكاتة	196	تاقربوست	197
تيجس	203	تاجنة	208
تاهرت	31 86 87 88 94 95 101 103 104 105 106 108 109 111 112 113 114 115 116 121 122 123 125 126 133 137 167 169 191 195 198 213	تونس	8 12 49 50 51 58 65 73 150 152 173 200 237
		تلمسان	32 33 34 43 61 102 205 211
		تدلس	33
تازا	33	تاكيروان	44
تنس	33 192 212	تارودانت	65
" ج "			
جربة	102	جزائر بني مزغنة	33 190 191 194
جيجل	33 207 208		195 200 213 224
جزيرة شريك	44	الجزيرة الخضراء	40
" ح "			
حمير	167	الحضنة	198
الحجاز	212 237		

" خ "			
خراسان	31		
" د "			
درعة	65	دمشق	220 129 78 75 66
دمر	101		
" ر "			
رادس	58	رقادة	140 138 137 134 133 247 152 142
" ز "			
زغوان	56	زواغة	102
الزاب	198 195 191 178	زانة	179
زواوة	198		
" س "			
سرت	150 102 87	سبتة	87 59 34
سجلماسة	133 103 91 61 34	السوس الأدنى	57
سردانية	72 58	السوس	61
السودان	228 227 214 184 179 176 142 104 93 87	سبيبة	227 209 200
سطيف	207	سيدي تواتي	237 233
سوق حمزة	209 198 192 182	سوق عبدون بن سنان	182
سوق ابن خلف	182	سوق ابن وردة	182
" ش "			
الشام	248 237 212 147 30	شرشال	208 207

الشلف	225		
" ص "			
صقلية	58 72 78 137 148 150 151 152 179 193 237	الصعيد	147
صفاقس	179 200	الصين	210
" ط "			
طنجة	30 56 57 58 60 64	طرابلس	64 75 78 87 88 91 94 101 108 124 171
طبنة	166 168 198 207 208	طولقة	208
" ع "			
العراق	212 237	عندة	179
عجيسة	196		
" غ "			
الغدير	33 211	غالية	64
غدير خم	156	غانا	113
" ف "			
فارس	81	فزّان	102
فاس	103 109 114 186 205 239	الفيوم	149
" ق "			
قرطاجنة	44 47 51	القاهرة	9 169 173 176 177 193 195 220
قلعة بني حماد	190 197 207 208 213 238	قسنطينة	200 203 207 211 213
القل	208	القلعة	192 193 196 197 198 199 200 209 211 212 213

قفصة	171		216 217 218 219 220 230 236 237 238 249 250
قرطبة	64 69 138 161 194	القرن	76
قابس	102 171		
" ك "			
الكوفة	30	كورسيكا	72
كوكو	113		
" ل "			
لومبارديا	230		
" م "			
المغرب	2 4 5 7 8 9 10 11 12 30 31 33 ...	المغرب الأدنى	6 31 83
مصر	30 74 81 104 124 145 163 169 173 175 180 202 212	المغرب الأوسط	2 4 5 7 8 9 11 12 43...
		مليانة	33 190 192 194 195 200 211 223
المغرب الأقصى	12 31 33 34 80 86 94	متيجة	34 207 208
		مراكش	34
المسيلة	33 166 187 191 198 208 213 216	مجانة	57 210 211
		ميورقة	58
المرية	34	ملوية	87
ماسة	41	مازونة	87
المشرق	9 31 59 64 68 84 86 90 91 99 114 116 129 165 176 185 194 199 202	المدية	87 192 194 195 223 224
		مدينة العباسية	109
		المنصورية	140 145 146 172 226

	212 215 220 250	مقرة	198 208
مرسى الخرز	151 210 211 214 231	مرسى الدجاج	192 198 208
المنصورة	144 221	مغيلة	33 227
المهدية	137 138 140 143 144 145 146 147 148 150 151 152 193 201 206 247		
" ن "			
نفوسة	106 108 115 116 120 122 124		
" هـ "			
هيطل	31	الهند	211
" و "			
وهران	33 34 87 102 211	وادي مجمع	33
ورجلان	102 160 187 223		
" ي "			
اليمن	147		

3- فهرس الفرق والشعوب والقبائل:

اسم (الفرق-الشعوب-القبائل)	الصفحة	اسم (الفرق-الشعوب-القبائل)	الصفحة
" أ "			
الأقباط	50	الأفارقة	46
الإباضية	10 81 83 86 88 89 97 99 104 105 110 115 116 121 129 140	الأتراك	176
		آل البيت	129 131 134 157 162
الإسماعيلية	129 130 131 133 140 142 157 159		
" ب "			
بني يفرن	33	بني وماتو	33
بني يلومي	33	بني عبد الواد	33
بني مادين	33	البيزنطيين	3 36 44 53 58 71 152 243
بنو زيري	169 177 184 248		
البربر		بني أمية	55 69 75 77 79 82 83 245
بنو حماد	202 208 209 212		
" ت "			
توجين	33		
" خ "			
الخوارج	10 11 75 76 77 78 79 81 83 86 140 155 158 160 163 245		
" ر "			
الروم	رياح	227	86 104 114 116 126
" ز "			
زناتة	8 32 33 57 165 168 172	زرافة	94

	173 193 201 202 224 232	الزيريون	177 178 180 183 184 188
" س "			
السلاجقة	176	سليم	227
" ش "			
الشيعة	86 129 133 156 157 159 170 174 175 187 194 204 248		
" ص "			
صنهاجة	8 34 80 156 184 193 195 196 198 222 226 229 249	الصفرية	76 78 83 103 110
" ع "			
العجم	121 237	العبيديون	160
العرب	1 8 19 31 41 43 44 6162 63 64 65 77 121 155190 192 201 212 226228 233		
" ق "			
القوط	61 62 65		
" ك "			
كتامة	130 131 132 133 134 147 148 172		
" م "			
المسلمين	3 27 28 37 39 43 44 46 49 56 62 64 67 68 71 72 75 77 78 80 93 100 124 213 216 232	مديونة	33
		مطماطة	33 94 102
		المالكية	140 154 158 176 187 194 248
مغراوة	33	المصريين	51
مكناسة	94	المغاربة	176

المرابطون	214	الموحدين	239 238 237 202 2
" ن "			
نفزاوة	171 94	النكارية	98 97
النصارى	213 205		
" هـ "			
هوارة	94 57		
" و "			
الوندال	71	ورفجومة	80
الوهبية	97	الواصلية	97
" ي "			
اليهود	222 213		

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا.

أوّلا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر.

1- ابن أبي دينار، أبو عبد الله الشّيخ محمد بن أبي القاسم القيرواني.

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدّولة التّونسية، د. بن، 1289 هـ.

2- ابن أبي زرع، علي الفاسي.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د. ط، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

3- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشّيباني.

- أسد الغابة في معرفة الصّحابة، ط1، د. ط، دار ابن حزم، بيروت، 2012 م.

- الكامل في التّاريخ، تح: عبد الله القاضي، ج3،، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

4- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم.

- تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، د. ط، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت، 1960م.

5- ابن تيمية تقيّ الدّين أحمد بن عبد العليم.

- السّياسة الشّرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، د.ط، طبع ونشر وزارة الشّؤون الإسلامية والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربية السّعودية، 1419هـ.

6- ابن حمّاد، أبو عبد الله محمد بن علي.

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التّهامي نقرة، د. ط ن دار الصّحوة للنشر والتّوزيع، القاهرة، 1401 هـ.

7- ابن حوقل، أبي القاسم النّصيبي.

- صورة الأرض، ط2، دار صادر، بيروت، 1938م.

8- ابن خلدون، عبد الرّحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم الحضرمي الأندلسي.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر،تح:خليل شحادة وسهيل زكار، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.

9- ابن خلكان، أبي العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر.

- وفيات الأعيان وأنباء الزّمان، تح :إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت،1978 م.

10- ابن خيّاط خليفة.

- تاريخ خليفة بن خياط، تح : أكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1985 م.

11- ابن خياط خليفة.

- كتاب الطّبقات، تح: أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد، 1967م.

12- ابن الصّغير.

- أخبار الأئمّة الرّستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د. ط، دار الغرب الإسلامي، د. ت. ن.

13- ابن عبد الحكم.

- فتوح مصر والمغرب، تح : عبد المنعم عامر، د. ط، شركة الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة، 1961م.

- سيرة عمربن عبد العزيز، تص وتع: أحمد عبيد، ط6، عالم الكتب، بيروت، 1984م.

14- ابن عذارى، أبو عبد الله المرّاكشي.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح : ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، . 1987م.

15- ابن عماد، أبو فلاح عبد الحيّ بن محمد العكري الحنبلي.

- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير للطّباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، 1988م.

16- ابن غليون، أبو عبد الله محمد بن خليل الطّرابلسي.

- شرح تاريخ طرابلس الغرب المسمّى بالتّنكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، تح:طاهر الزاوي، د. ط، المكتبة السلفية، القاهرة، 1948م.

17- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين.

- البداية والنّهاية، ط1، مكتبة دار المعارف، بيروت، 1990م.

- تفسير القرآن العظيم، تح: مصطفى السيد رشاد، ط1، مؤسسة قرطبة، د. ت. ن، 2000

18- أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي المغربي الإفريقي.

- طبقات علماء إفريقية، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2012م.

19- أبو زكريا يحيى بن عمر الأندلسي.

- أحكام السّوق، تح: محمود علي مكي، ط1، المعهد المصري للدّراسات الإسلامية، مدريد، 1956م.

20- الأتابكي، جمال الدّين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي.

- النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح : جمال الدّين الشيّال ومحمد شلتوت، د. ط، الهيئة المصرية العامّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر، مصر، 1972 م.

21- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمّودي الحسيني.

- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

22- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مجمد.

- المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدّراسات والبحوث، د. ط، مكتبة نزّار مصطفى الباز، د. ب. ن، د. ت. ن.

23- البرّادي، أبو القاسم بن إبراهيم.

- الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات، د. ط، د. ب. ن، د. ت. ن.

24- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التّميمي.

- الفرق بين الفرق، تح: مجدي فتحي السّيد، د. ط، دار التّوفيقية للتّراث، القاهرة، د. ت. ن.

25- البقاعي، برهان بن أبي الحسن بن عمر.

- نظم الدّرر وتناسب الآيات والسّور، تح: عبد الرزّاق غائب المهدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

26- البكري، أبو عبد الله.

- المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، د. ط، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، د.ت.ن.

27- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي.

- فتوح البلدان، د. ط، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، 1901 م.

28- البلخي، مقاتل بن سلمان.

- الوجوه والنّظائر في القرآن الكريم، تح: حاتم صالح الضّامن، ط1، مركز جمعية الماجد للثّقافة والتّراث، دبي، 2000م.

29- التّجاني، أبو محمد عبد الله بن أجمد.

- رحلة التّجاني، دط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.

30- الجوذري، أبو علي منصور العزيز.

-سيرة الأستاذ جوذر،تح: محمد كامل حسين،د.ط، دار الفكر العربي، مصر، د.ت. ن.

31- الحموي، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت الرّومي البغدادي.

- معجم البلدان، ط3، دار صادر، بيروت، 1977م.

32- الحميدي، عبد الله بن فتوح بن عبد الله.

- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح : بشار عواد معروف، ط1، دار المغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

33- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم.

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

34- الحيدري، أبو عبد الله بن محمد الحيحي.

- رحلة الحيدري المسماة الرحلة المغربية، تح: محمد الفاسي، د. ط، نشر جامعة محمد الخامس، الرباط، 1368هـ.

35- الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي.

- تاريخ بغداد، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1931م.

36- الداعي إدريس، عماد الدين.

- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح:محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

37- الدباغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي.

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تص :إبراهيم شبوح، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968 م.

38- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد.

-طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، د.ط، مطبعة البعث، الجزائر، د. ت. ن.

39- الدمشقي أبو الفضل جعفر بن علي.

- الإشارة إلى محاسن التجارة، تح: البشير الشودبجي، د. ط، مكتبة الغد، الإسكندرية، 1977م.

40- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

الإمامة والسياسة، تح :علي شيري، ط1، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، 1990م.

41- الذهبي، شمس الدين الحافظ.

- العبر في خبر من غبر، تح: مجمد السعيد بن بسوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

42- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر بن عبد السلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989 م.

- سير أعلام النبلاء، تح : مأمون الصاغرجي، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 1956 م.

43- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر.

- مختار الصجاح، د. ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.

44- الرازي، محمد فخر الدين أبو عبد الله.

- مفاتيح الغيب، ط1، دار الكتب العلمية للتوزيع، بيروت، د. ت. ن.

45- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر.

-كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت. ن.

46- السّعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000.

47- السّلاوي، أحمد بن خالد النّاصري.

- الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تح : جعفر الناصري، د. ط، دار الكتب، الدّار البيضاء، المغرب، 11954 م.

48- السّمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد.

- بحر العلوم، تح: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

49- الشّافعي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ.

50- الشّماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد.

- السّير، تح: السيابي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1992م.

51- الشهرستاني، أبو الفتح محمد، بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد.

- الملل والنّحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993م.

52- الضّبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة.

- بغية الملتمس في تاريخ الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.

53- الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير.

- تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1971م.

- جامع البيان في تفسير القرآن، تح: محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.

54- الغبريني، أبو العباس أحمد بن عبد الله.

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

55- الفّاسي، أبو عبد الله محمد التميمي.

- المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس ومايليها من البلاد، تح: محمد الشريف، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، 2002م.

56- الفّيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط3، المطبعة الأميرية، مصر، 1912م.

57- القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي ضيفة.

- كتاب الخراج، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

58- القاضي النعمان.

- افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1990م.

- المجالس والمسايرات تح: الحبيب الفقي، ط1، دار المنتظر، بيروت، 1996م.

- الإيضاح، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2007م.

59- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى بن عياض.

- تراجم أغلبية، تح : محمد الطالبي، د. ط، المطبعة الرسمية، تونس، 1968م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ن تح :أحمد بكير محمود، د. ط، مكتبة الحياة، بيروت ن 1968م.

60- القرطبي، أبو عبد الله محمد شمس الدين.

- الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، ط2، دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1964م.

61- القزويني، زكريا بن محمد بن محمد.

- أثار البلاد وأخبار العباد، د. ط، دار صادر بيروت، د. ت. ن.

62- القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق.

- تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم محمد غرب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، د. ب. ن، 1994م.

63- المالكي، أبو بكر عبد الله بن عبد الوهاب.

- رياض النفوس، تح: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

64- المجيلدي، أحمد بن سعيد.

- التّيسير في أحكام التسعير، تقديم، موسى لقبال، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت. ن.

65- المعزّ بن باديس الصنهاجي.

- عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب في صفة الخط والأقلام والمداد والحبر والأصباغ وآلة التّجليد، تح، نجيب مايل الهروي وعصام مكية، د. ط، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، 1409هـ.

66- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله.

- أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

67- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي.

- إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: جمال الدين الشيال، ط2، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1996.

68- مؤلف مجهول.

- الإستبصار في عجائب الأمصار، تع : سعد زغلول، ط2، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.

- أخبار مجموعة، تح: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989 م.

69- النّويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب.

- نهاية الإرب في فنون الأدب، تح : عبد المحيد الترجيبي، د. ط، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ن.

70- الورجلاني، أبو زكريا بن أبي بكر.

- سيّر الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل الغربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

71- الوسّاني، أبو الربيع.

- مشائخ المغرب، تح: إسماعيل العربي، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م.

72- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب.

- كتاب البلدان، د، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ن.

ثالثا: المراجع

1- ابن الذيب عيسى وأخرون.

- الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر، د. ط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، الجزائر، 2007م.

2- ابن عبد الله عبد العزيز.

- تاريخ الحضارة المغربية، د. ط، طبعة دار السلمي، الدار البيضاء، 1966م.

3- ابن محمد شواط حسين.

- مدرسة الحديث بالقيروان، ط1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ.

4- أحمد شلبي.

- تاريخ التربية الإسلامية، ط5، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1976م.

5- أحمد عزيز.

- تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980م.

6- أحمد موسى عز الدين.

- النشاط الإقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1983م.

7- إخلاص علي وأخرون.

- التّاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى ق10هـ/16هـ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954من الجزائر، 2007م.

8- أرشيبالد. ر. لويس.

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد محمد عيسى، د. "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت. ن.

9- الإستنبولي محمود مهدي.

- ابن تيمية بطلا للإصلاح الدّيني، ط2، دار المعرفة، دمشق، 1977م.

10- إلياس حسين أحمد.

- الإباضية في المغرب العربي، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيعن سلطنة عمانن 1992م.

11- أوميل علي.

- الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن19م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة ندوات ومناظر، رقم:07، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1982م.

12- أيمن عبد اللطيف.

- الحياة الثقافية في بلاد المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية، ط1، المكتبة الثقافية الدينية، د. ب. ن، 2018م.

13- الباروني سليمان باشا.

- الأزهار الرياضية في أئمة الإباضية، مراجعة: محمد علي الصليبي، ط1، دار الحكمة، لندن، 2005م. مختصر تاريخ الإباضية، د. ط، مكتبة الإستقامة، تونس، 1938م.

14- بحاز إبراهيم.

- الدولة الرستمية، ط2، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1993م.

15- بدوي يوسف محمد علي.

- عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة، د. ب. ن، 2010م.

16- البعلبكي منير.

- معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.

17- بلغيث محمد الأمين.

- مدينة بجاية الناصرية، دراسة في الحياة الإجتماعية والفكرية، د. ط، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006م.

18- بلقزيز عبد الله.

- الخطاب الإصلاحي في المغرب، ط1، دار المنتخب، بيروت، 1997م.

19- بلهواري فاطمة.

- الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، د. ط، دار المسك للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م.

20- بن عميرة محمد وبشاري بن عميرة لطيفة.

- تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين، ط1، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

- مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد:26، الجزائر، سبتمبر، 2008م.

21- بن عميرة محمد.

- دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

22- بن قربة صالح وأخرون.

- تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، د. ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

23- بن قربة صالح يوسف.

- تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.

24- بن قربة صالح.

- المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

25- بن مليح عبد الإله.

- الرّق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة دار الإنتشار العربي، لبنان، 2004م.

26- بوركبة محمد.

- الجزائر الإجتماعية في عهد الدولة الرستمية، د. ط، دار الكفاية، د.ب.ن، د. ت. ن.

27- بوعزيز يحي.

- موضوعات من تاريخ الجزائر والعرب، د. ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م.

28- بيضون إبراهيم.

- الدّولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى الخلافة، ط3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

29- التّازي عبد الهادي.

- التاريخ الدبلماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم(مج الخامس) عهد المرابطين، مطابع فضالة، المحمدية المغرب، 1987م.

30- التليسي بشير رمضان.

- الإتّجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن4هـ/10هـ، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م.

31- التوهامي إبراهيم.

- جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، 2005م.

32- الثّعالبي عبد العزيز.

- تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح: أحمد بن ميلاد محمد إدريس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

33- جمال الدين عبد الله.

- الدولة الفاطمية، د. ط، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.

34- الجيلالي عبد الرحمان.

- تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دارمكتبة الحياة، الجزائر، 1965م.

-

35- حاجيات إبراهيم.

- تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، ط5، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، د. ت. ن.

36- حركات إبراهيم.

- مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى ق9هـ، ط1، دار الرشاد الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

37- الحريري محمد عيسر.

- الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.

38- حسين حمود ععبد الحميد.

- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007م.

39- حسين محمد عبد الغني.

- موسى بن نصير، د. ط، دار المعارف، مصر، 1957م.

40- حسيني حسن عبد الوهاب.

- بساطة العتيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن الرشيق، د. ط، المطبعة التونسية، تونس، 1330هـ.

41- الحسيني محمد باقر.

- تطور النقود العربية الإسلامية، ط1، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1969م.

42- حسيني محمد.

- الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، د. ط، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973م.

43- حمدي عبد المنعم محمد حسين.

- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د. ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.

44- الحميدي عبد العزيز بن عبد الله.

- الأمويون والعباسيون والعثمانيون، ط1، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، 1998م.

45- حوالة يوسف بن أحمد.

- الحياة العلمية بإفريقيا "المغرب الأدنى" منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس للهجرة، ط1، مركز البحوث للدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 2000م.

46- الخضيري أحمد حسن.

- علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، د. ت. ن.

47- خطاب محمد شيت.

- قادة فتح المغرب العربي، ط7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ب. ن، 1984م.

48- خلفات مفتاح.

- قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين(ق6هـ . 9هـ/ 12م . 15م) دراسة سياسية وحضارية، د. ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م.

49- خليل عماد الدين.

- ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ط2، الدار العلمية، بيروت، 1971م.

50- دبوز محمد علي.

- تاريخ المغرب الكبير، ط2، مؤسسة تاوالت الثقافية، د. ب. ن، 2010م.

51- الدشراوي فرحات.

- الخلافة الفاطمية بالمغرب، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

52- ذنون طه عبد الواحد.

- الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

53- رشيد رضا محمد.

- تفسير المنار، ط2، دار المنارة، القاهرة، 1947م.

54- روجي إدريس الهادي.

- الدولة الصنهاجية، د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

55- الزاوي محمد الطاهر.

- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

56- الزبيري باسم.

- الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجهه استخداماته، ط1، سلسلة دراسات استراتيجية، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيروت، فلسطين، 2005م.

57- زرقانة إبراهيم.

- المغرب العربي، د. ط، معهد الدراسات الإسلامية، د. ب. ن، د. ت. ن.

58- زغلول سعد عبد الحميد.

- تاريخ المغرب العربي، د. ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993.

59- سالم عبد العزيز والعبادي مختار.

- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1969م.

60- سالم عبد العزيز.

- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1989م.

61- السامرائي إبراهيم خليل.

- تاريخ العرب في الأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

62- ذنون طه عبد الواحد ومطلوب ناطق صالح ،تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

63- سرور محمد جمال الدين.

- سياسة الفطميين الخارجية، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967م.

64- سنوسي يوسف إبراهيم.

- زناتة والخلافة الفاطمية، ط1، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1986م.

65- مجاني بوبا وأخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، ط1، دار بهاء الدين للنشر، الجزائر، 2007م.

66- السّيد أيمن فؤاد.

-الدّولة الفاطمية، ط1، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.

67- شامي يحي.

-موسى بن نصير، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2005م.

68- الشّرفاوي عوض.

-التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة(ق2هـ وق3هـ)، د. ط، مؤسسة تاوالت الثقافية، د. ب. ن، 2011م.

69- الشعراوي، محمد متولي.

-تفسير الشعراوي، د. ط، دار أخبار اليوم، د. ب. ن، 1991م.

70- شكري فيصل.

-المجتمعات الإسلامية في القرن 1 الهجري، ط1، مطبعة دار الملايين، بيروت، 1973م.

71- شهاب أحمد نهلة.

-المغرب العربي في عهد عقبة ابن نافع، د. ط، در الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

-عقبة ابن نافع، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

-تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، د. ت. ت.

72- صابر محمد دياب.

-سياسة الدّولة الفاطمية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن 2 للهجرة حتى نهاية العصر الفاطمي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1975م.

73- الصابولي محمد علي.

-روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، ط3، مكتبة الغزالي، دمشق، 1400هـ.

74- الصلابي محمد علي.

-الدّولة العبيدية في ليبيا، ط1، دار البيادق، عمان، الاردن، 1998م.

-صفحات شرقية من التاريخ الإسلامي، د. ط، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003م.

-الدّولة الفاطمية، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

75- طلس محمد أسعد.

-التربية والعلوم في الإسلام، د. ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

76- طمار محمد.

- الرّوابط الثقافية بين الجزائر والخارج، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

- المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.

- تاريخ الأدب الجزائري، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

77- عبد الباقي زيدان.

- العمل والعمال والمهن في الإسلام، د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة، 1987م.

78- عبد الرزاق محمد إسماعيل.

-الخوارج في بلاد المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.

79- عبد الرزاق محمود إسماعيل.

-الخوارج في بلاد المغرب، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1976م.

80- عبد العزيز محمد حسن.

-التربية الإسلامية في المغرب، أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، د. ط، الهيئة العليا للكتاب، مصر، 1987م.

81- عثمان فتحي.

-الحدود الإسلامية البزنطية بين الإحتكاك الحربي والإتّصال الحضاري، د. ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرةن 1967م.

82- عثمان نجوى.

-مساجد القيروان، ط1، دار كرمة، دمشق، 2000م.

83- العدوي إبراهيم أحمد.

-موسى بن نصير مؤسس المغرب العربي، د. ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د. ت. ن، 1967م.

84- العدوي أحمد إبراهيم.

-الأساطير العربية في البحر الأبيض المتوسط، د. ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957م.

-بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، د. ط، مكتبة النحو المصرية، القاهرة، 1970م.

85- العربي إسماعيل.

-دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

86- العروي عبد الله.

-مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996م.

87- العزاوي عبد الرحمان حسين.

-تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ط1، دار الخليج للنشر والتوزير، 2011م.

88- العزاوي عبد الرحمن حسين.

-المغرب العربي في العصر الإسلامي، ط1، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م.

89- عمارة محمد.

-الإصلاح بالإسلام، ط1، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

90- عويس عبد الحليم.

-دولة بني حماد، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.

91- العيدروس محمد حسن.

-حضارة دولة المغرب العربي في عصر الدولة الفاطمية، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2010م.

92- الغنيمي عبد الفتاح.

-موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.

93- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف.

-تاريخ المغرب والأندلس، د. ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م.

94- قطب محمد علي.

-أبطال الفتح الإسلامي، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2006م.

95- الكيالي عبد الوهاب.

-موسوعة السياسة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993م.

96- لطيفة بنت محمد البسام.

-الحياة العملية في إفريقيا في عصر بني زيري، د. ط، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 22001م.

97- لقبال موسى وأخرون.

-الجزائر في التاريخ . العهد الإسلامي من الفتح إلى العهد الحمادي . ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1999م.

98- لقبال موسى.

-دور كتامة في تاريخ الخلافة الإسلامية، د. ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م.

-المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

99- لومبارد موريس.

-الإسلام في مجده الأول(ق2هـ، ق5هـ)، تر: إسماعيل الغربي، ط3، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1990م.

-الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، تر: عبد الرحمان حميدة، ط2، دار الفكر، دمشق، 1998م.

100- مارسيه جورج.

-بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمد عبد الصمد هيكل، د. طن منشأة دار المعارف، الإسكندرية، 1999م.

101- محمد زيتون محمد.

-القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988م.

102- محمد محمود جمال الدّين.

-أصول المجتمع الإسلامي، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1992م.

103- محمود حسن أحمد.

-قيام دولة المرابطين، د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت. ن.

104- المدني أحمد توفيق.

-كتاب الجزائر، د. ط، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ.

105- المراغي أحمد مصطفي.

-تفسير المراغي، د. ط، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، د. ت. ن.

106- مرسي محمد منير.

-التّربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، د. ط، دار المعارف، مصر، 1987م.

107- المسعودي الباجي.

-الخلاصة النقية في أمراء إفريقيا، تح: محمدزينهم محمد عزب، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2012م.

108- المطوي محمد العروسي.

-سيرة القيروان، رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي، د. ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.

109- مؤنس حسين.

-فجر الأندلس، "2، دار الرشاد، القاهرة، 2008م.

110- مؤنس حسين.

-فتح العرب للمغرب، د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، د. ب. ن، د. ت. ن.

111- الميلي، مبارك بن أحمد.

-تاريخ الجزائر في القديم والحديث، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.ن.

112- هيصام موسى.

-التّمكين للمذهب المالكي في المغربين الأدنى والأوسط(ق4هـ، ق6هـ)، د. ط، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م.

113- يحيى معمر علي.

-الإباضية في موكب التاريخ، ط3، مكتبة مري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008م.

114-يوسف جودت عبد الكريم.

-العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، د. ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

115-يونس عبد الحميد.

-الهلالية في التاريخ والأدب الشّعبي، د. ط، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، 1956م.

رابعا: القواميس والمعاجم.

1-ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس.

-معجم مقاييس اللغة، تح :عبد السلام محمد هارون، د. ط، دار الفكرللطباعة والنشر، د. ب. ن، 1979م.

2-أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور.

-لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414 هـ.

3-الفراهيدي، أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد.

-العين، تح : صدى المخزومي وإبراهيم السامرائي، د. ط، مكتبة الهلال، د. ب. ن، د. ت. ن.

4-الكفوي، أبو البقاء رجب عبد الجواد إبراهيم.

-الكليات معجم المصطلحات، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998 م.

خامسا: قائمة الرّسائل الجامعية والدّوريات.

1- ابن زاوي طارق.

-استقلال المعزّ بن باديس الزّيري عن الدّولة الفاطمية (406هـ .454هـ/1016م . 1062م) رسالة ماجستير في التّاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008م.

2- ابن سادات نصر الدّين.

-المغرب الأدنى والأوسط تحت الحكم الزّيري، مجلة الخلدونية، العدد:06 (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية) جامعة تيارت، 2013م.

3- أبو دياك صالح محمد فياض.

-المظاهر السّياسية والحضارية للدّولة الرّستمية في المغرب، مجلة دراسات تاريخية، العددان: 55، 56، جامعة دمشق، آذار، حيزران، 1996م.

4- أبو علي عبد القدوس مريم.

-الصلح والإصلاح في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1999م.

5- أحمد شافعي لمياء.

-المغرب الأدنى في عهد ولاّة بني العبّاس حتى قيام الأغالبة(132هـ .184 هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشّريعة والدّراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السّعودية، 1410هـ.

6- الأحمد ناصر بن محمد بن عبد الله.

-حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدّولة الأموية، أطروحة دكتوراه في الدّراسات الإسلامية، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، بيروت، 2008م/2009م.

7- بلعربي خالد.

-البيئة المعمارية لمدينة قلعة بني حماد، مجلة كاف التاريخية، العدد:05، الجزائر، 2009م.

8- بلعيد بن حمدة وسيلة.

-الزّاوية ودورها التربوي والاجتماعي، مجلة الهداية، العدد:4، السنة التاسعة عشر، الجزائر، 1995م.

9- بن عميرة محمد.

-الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2004م/2005م. 19.

10- جاسم لطيف جاس.

-الإنجازات الحضارية والفكرية للوالي موسى بن نصير في المغرب والأندلس، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، العدد:11، آذار 2013م.

11- خلفات مفتاح.

-علماء زواوة والإرث الثقافي القلعي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد:10، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009م.

12- .عبد السلام رزق الواوي.

-منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي "مريم" و"طه"، رسالة ماجستير، كلية أصول، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2012م.

13- شنعة خديجة.

-اعتناق البربر للإسلام، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، 2011م/2012م.

14- عبد القادر رضوان فاطمة.

-المغرب في عصر الولاة الأمويين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1984م.

15- العلياني الحجايا ريم عطوة.

-الإصلاح والمصلحون في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في الشريعة، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، 2014م.

16- عمارة علاوة.

-التّطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العهد الإسلامي الوسيط، مجلة جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية ، العدد:26،الجزائر،سبتمبر 2008 م.

-الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البيئة الاجتماعية لبلاد الزاب، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد:40، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009م.

17- فائق عوض هالة.

-الإصلاح الإجتماعي في تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المملكة العربية السّعودية، 2009م.

18- محمدي محمد.

-المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، حوليات التراث، العدد:13، الجزائر، 2013 م .

19- مزيان عبد المجيد.

-الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، وزارة الثقافة والسياحة، العدد:09، الجزائر، 1985م.

20- نايت بلقاسم مولود قاسم.

-المسجد جامع وجامعة، مجلة الأصالة، العددين:46، 47، الجزائر، 1977م.

21- نجيب زينب.

-الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995م.

22- هيصام موسى.

-أثر التحصينات العسكرية الحمادية في تأسيس الدولة والحفاظ على استقرارها. قلعة بني حماد نموذجا، أعمال الملتقى الدولي حول قلعة بني حماد ألف سنة من التّأسيس، جامعة المسيلة، 2007م.

-الجيش في العهد الحمادي (405هـ-547-هـ/1014م -1152م) رسالة ماجستير في التّاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000م/2001م.

سادسا: المراجع الأجنبية.

1- *De mas Latrie,traites de paix et de commerce entre les chretiens et les arabes de l,Afrique seprionale au moyen age ,Paris ,1966.*
2- *Gaid Mouloud, les berberes dans l,histoire de la kahina à l,occupation turque ,edition mimouni ,Alger ,tom 2, 1990 .*
3- *Gay Julesl, l,Italie meridionale et l,empire Byzantine ,New york , 1960 .*
4- *Immamudin,some aspeect of the socio-economique and culturel history of musulman spain , Teindenbril,1965 .*
5- *Laroui Abdellah , the history of MaghrIb an interpretive essay , princeton university, New Jersy,1977.*
6- *Provvençal levi ,histoire de l,Espagne musulmane , vol 2 ,paris ,1950.*

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

قائمة الرّموز و المختصرات .....
مقدّمة 1
مدخل: مفهوم الإصلاح وجدلية التّسمية و الموقع لبلاد المغرب 13
1- تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا..... 14
أ-الإصلاح لغة..... 14
ب_الإصلاح اصطلاحا..... 15
2-الإصلاح في القرآن الكريم..... 16
أ-ميادين الإصلاح في القرأن الكريم..... 18
ب-المصلحون في القرآن الكريم..... 25
3- جدلية والمصطلح و الموقع..... 30
أ- مصطلح المغرب..... 30
ب_ موقع المغرب..... 31
الفصل الأوّل: الجهود الإصلاحية للفاتحين والولاّة..... 34
المبحث الأوّل: الجهود الإصلاحية للفاتحين 36
1- عقبة بن نافع(50هـ-55هـ/671م-675م)..... 36
2-أبو المهاجر دينار(55هـ-62هـ/675 م-681 م)..... 41
3- حسّان بن النّعمان(68هـ-88هـ/688م-705م)..... 44
4- موسى بن نصير(89هـ-97هـ/706م-712م)..... 53
المبحث الثّاني: نماذج من إصلاحات الولاّة..... 63
1-إسماعيل بن أبي المهاجر(99هـ-101هـ/717م-719م)..... 67
2-حنظلة بن صفوان(124هـ-126هـ/"740م-742م)..... 73

3-عبد الرحمان بن حبيب(127هـ-137هـ/742م-751م)..... 76
4-يزيد بن حاتم بن قبيصة(142هـ-160هـ/755م-772م)..... 79
الفصل الثّاني:السّياسةالإصلاحية في الدّولة الرّستمية وأثرها(160هـ-296هـ/776م-909م)..... **83**
المبحث الأوّل: جغرافية المغرب الأوسط في العهد الرّستمي 84
1- حدود المغرب الأوسط في ظلّ دولة الرّستميين..... 84
2-تأسيس الدولة الرّستمية 85
المبحث الثّاني: إصلاحات الأئمّة الرّستميين..... 86
1- الإصلاح في عهد عبد الرحمن بن رستم(160هـ-171هـ/777م-787م)..... 86
2- جهود عبدالوهاب بن عبد الرحمن الإصلاحية(171هـ- 211هـ/787م-826م) 93
3- السّياسة الإصلاحية لأفلح بن عبد الوهاب(211هـ-240هـ/826م-854م) 105
4- إسهامات أبي اليقضان بن أفلح الإصلاحية(241هـ-281هـ/855م-894م) 116
الفصل الثّالث: ميادين الإصلاح في الدّولة الفاطمية ببلاد المغرب **125**
المبحث الأوّل: قيام الدّولة الفاطمية على أرض المغرب..... 127
1-الحركة الإصلاحية لأبي عبد الله الشّيعي قبيل قيام الدّولة..... 127
2- التحاق المهدي بأرض المغرب وقيام الدّولة الفاطمية..... 130
المبحث الثّاني: ميادين الإصلاح الفاطمي على أرض المغرب..... 132
1- الإصلاح السّياسي و الإداري..... 132
2- الإصلاح المالي..... 139
3- الإصلاح في الميدان العسكري..... 144
المبحث الثّالث: مظاهر الإصلاح عند المعارضة..... 150
1-موقف علماء أهل السّنة من تجاوزات الفاطميين..... 151
2- ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد..... 154

الفصل الرّابع: مجالات الإصلاح عند الصنهاجيين..... 161
المبحث الأوّل:ميادين الإصلاح السّياسي و والإداري والإقتصادي عند الزّيريين..... 163
1- الإصلاح السّياسي والإداري..... 163
2-الإصلاح الاقتصادي..... 174
المبحث الثّاني: إصلاح الشأن الإجتماعي والثقافي والعمراني..... 180
3 – الإهتمام بالشّأن الاجتماعي والثّقافي..... 180
4 -التّطور العمراني..... 187
الخاتمة..... 193
الملاحق..... 200
الفهارس..... 210
فهرس الأعلام..... 211
فهرس الأماكن والبلدان والدوّل..... 219
فهرس الفرق والشّعوب والقبائل 225
البيبليوغرافيا 228
فهرس المحتويات..... 261